جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

تحليل الخطاب في كتاب العقد الفريد: الخطب أنموذجا

دراسة نصية تداولية

إعداد
مؤيد عبدالرؤوف محمود عودة

إشراف
أ. د. مهدي عرار

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراه في برنامج اللغة العربية وآدابها فلسطين/ نابلس/ جامعة النجاح الوطنية
2022م

تحليل الخطاب في كتاب العقد الفريد: الخطب أنموذجا

دراسة نصية تداولية

إعداد

مؤيد عبدالرؤوف محمود عودة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2022/1/16م، وأجيزت:

أ.د. مهدي أسعد صالح عرار	
المشرف الرئيسي	التوقيع
أ.د. خليفة بوجادي	
الممتحن الخارجي	التوقيع
أ.د. يحيى جبر	
الممتحن الداخلي	التوقيع
أ.د. خليل عودة	
الممتحن الداخلي	التوقيع

الإهداء

ليس أعز علي من فلسطين، شهيدها، وأسيرها، وثائرها، فلها أهدي هذا العمل المتواضع

إلى النبع المتدفق بالحب والعطاء،

أمي

إلى من عانى ليرانا بأفضل حال رحمه الله،

أبي

إلى من ساندوني منذ بداية الطريق وشغلت عنهم، العشق المتجدد،

زوجتي الغالية وأبنائي الأعزاء

إلى من طوقوني كرما، وأغرقوني بذلا،

إخواني

إلى جامعة النجاح الصرح الشامخ، وزملائي وأصدقائي جميعا.

شكر وعرفان

ابتدئ بحمد الله الرحمن الرحيم على ما تفضل به علي من آلاء عظيمة، والثناء عليه أن وفقني في إتمام هذه الدراسة، وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى من ساندني منذ أن كان هذا العمل فكرة مجردة إلى أن أصبح حقيقة ملموسة، أستاذي وملهمي الأول الأستاذ الدكتور مهدي عرار، متّعه الله بالصحة والعافية، الذي كان شيخا ناصحا، وأستاذا موجها، وأخا صبورا، فلولاه ما كنت لأصل إلى ما وصلت إليه، فما بخل علي لحظة واحدة بالتوجيهات السديدة التي أنارت لي الدرب، فأحمد الله أن جعلني عنده طالبا متعلما، فاكتسبت من علمه وأخلاقه وتواضعه الشيء الكثير.

وبالغ التقدير والشكر إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء اللجنة الموقرة لقبولهم مناقشة هذه الدراسة، وتقويمها وإبداء الملاحظات التي أغنت هذه الدراسة.

وما دمت في مقام الاعتراف بالفضل فأرى لزاما علي أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أساتذتي في جامعة النجاح الوطنية، وجميع من ساعدني في إخراج هذا العمل.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

تحليل الخطاب في كتاب العقد الفريد: الخطب أنموذجا

دراسة نصية تداولية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة اليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: مؤيد عبد الرؤوف محمود عودة

التوقيع:

التاريخ: ٢٠٢٢/١/١٦

المحتويات

الإهداء .....ج
شكر وعرفان..... د
الإقرار .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
الملخص.....ط
المقدمة 1
أهمية الدراسة 4
أهداف الدراسة 4
مشكلة الدراسة.....5
الدراسات السابقة 5
منهج الدراسة.....7
مخطط البحث.....7
تمهيد 10
الفصل الأول.....12
مصطلحات البحث الكبرى لغة واصطلاحا ونشأة وفروعا.....12
مهاد.....12
المبحث الأول: الخطاب وتحليل الخطاب.....12
المبحث الثاني: النص والنصية.....18
المبحث الثالث: نحو النص 24
المبحث الرابع: التداولية.....28
المبحث الخامس: الحجاج.....42
الفصل الثاني 45

آليات التماسك النصي في خطب العقد الفريد (دراسة تطبيقية نصيّة) 45
المبحث الأول: وسائل الاتساق النصي..... 45
الخطبة الأولى: خطبة أبي بكر الصديق..... 50
الخطبة الثانية: خطبة عمرو بن سعيد..... 73
المبحث الثاني: وسائل الانسجام النصي..... 91
الخطبة الأولى: خطبة معاوية بن أبي سفيان..... 93
الخطبة الثانية: خطبة هارون الرشيد 107
الفصل الثالث..... 123
الأبعاد التداولية في خطب العقد الفريد (دراسة تطبيقية تداوليّة)..... 123
المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلامية..... 123
الخطبة الأولى: خطبة الحجاج..... 124
الخطبة الثانية: خطبة أبي حمزة بالمدينة 130
المبحث الثاني: الاستلزام الحواري في خطب العقد الفريد 139
الخطبة الأولى: خطبة عمر بن الخطاب..... 142
الخطبة الثانية: خطبة علي بن أبي طالب..... 146
الفصل الرابع..... 152
الحجاج في خطب العقد الفريد: دراسة تطبيقية..... 152
الروابط الحجاجية..... 152
العوامل الحجاجية..... 152
السلالم الحجاجية..... 153
المبادئ الحجاجية..... 154
أنواع الحجج..... 154
الخطبة الأولى: خطبة علي بن أبي طالب..... 157
الخطبة الثانية: خطبة صالح بن علي..... 172
الخطبة الثالثة: خطبة لقطري بن الفجاءة في ذمّ الدنيا..... 180
الخاتمة 200
المصادر والمراجع..... 204
Abstract ..... B

تحليل الخطاب في كتاب العقد الفريد: الخطب أنموذجا

دراسة نصية تداولية

إعداد

مؤيد عودة

إشراف

أ. د. مهدي عرار

الملخص

سعت هذه الدراسة إلى الوقوف على كتاب قيم من كتب التراث العربي القديم، كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، متخذة من الخطب أنموذجا للدراسة النصية التداولية.

فعمدت هذه الدراسة إلى تحليل الخطب الواردة في كتاب العقد الفريد وفق الدراسات اللسانية الحديثة، معتمدة على النصية والتداولية، فجاءت الدراسة مقسمة وفق هذين الجناحين العريضين.

جاءت الدراسة مقسمة إلى أربعة فصول، جاء الأول منها فصلا تنظيريا، اشتمل على خمسة مباحث، جاءت في الخطاب وتحليل الخطاب، والنص والنصية، ونجو النص، والتداولية، والحجاج، وقف الباحث على مفهومها لغة واصطلاحا، ومبادئها، وأركانها، ومعاييرها.

حوت الفصول الأخرى المادة التطبيقية التحليلية، التي ارتكزت على نحو النص في الفصل الثاني، وتناول الباحث مبحثي الاتساق والانسجام في الخطب المدروسة، وعلى الأفعال الكلامية والاستلزم الحواري في مبحثين في الفصل الثالث الذي وقف فيه الباحث على التصنيف الثلاثي للأفعال الكلامية وأصنافها في الخطب المدروسة في المبحث الأول، وعلى مظاهر خرق مبدأ التعاون، والمعاني المستلزمة في المبحث الثاني.

جاءت نظرية الحجاج في فصل رابع، وقف الباحث على كل من الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، والمبادئ الحجاجية، وأنواع الحجاج في أربع خطب متناولة.

المقدمة

الحمد لله الحميد المستحمَد، وصلى الله على النبي محمد، الحمد لله ذي الفضل والإنعام على الجميع، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الخاتم والشفيع.

وبعد؛ فلقد حظيت اللغة الإنسانية بمكانة سامية جعلتها محط أنظار الكثيرين ودراساتهم، أجل معرفة مكنوناتها، وسبر أغوارها، وقد كانت الجملة محور الاهتمام والعناية والتحليل؛ لتنتقل محورية الدراسة قبل نصف قرن إلى ما هو بنية لغوية أكبر وأوسع، متمثلة في النص، فنشأ ما يعرف بلسانيات النص، وهو ذاك العلم الذي يبحث في تماسك النصوص بعدّها وحدة كلية تؤدي أغراضًا معينة في مقامات تبليغية محددة.

لم يعد بالمستطاع الإغماض عن تلك الجِدّة الحادثة، وتلك السمة التي تميز بها الفكر اللساني الحديث، في الانتقال من النظرة الجزئية للخطاب، وهيمنة الوقوف عند حدود الكلمة المفردة، إلى النظرة الشمولية للنص المكتوب والخطاب المنجز، فتخلّقت حركة انتقالية من نحو الجملة إلى نحو النص، أو علم لغة النص، فأصبح منهج التحليل الجديد قائمًا على تجاوز الجزئي إلى الكلي.

يعود الفضل في ثورة الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص إلى بحثة متعددين منهم: زليغ هاريس(Z.Harris)، في بحث له بعنوان " تحليل الخطاب"، فكان من أوائل من قدم تحليلا منهجيا لنصوص بعينها، مما عدّ خروجًا عن التقاليد التي أرساها بلومفيلد(Bloomfield) الذي رأى أن النص ليس إلا مظهرًا من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد[1].

وبناءً على ما تقدم فلسانيات النص: هي دراسة النص اللغوي دراسة وصفية تحليلية، في إطار من الترابط والتماسك والانتظام، سواء أكان النص نثريًا أم شعريًا، مكتوبًا أم شفويًا، وللوصول إلى هذا المبتغى فقد اجترحت لسانيات النص لنفسها مجموعة من المقاييس والضوابط الحاكمة لتحليل النصوص وتفسيرها؛ لتجعل النص كلًّا قائمًا برأسه، من خلال وسائل الربط والتماسك السطحي

[1]. ينظر: بحيري، سعيد. علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات، ط 7، الشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت، 1997م، ص18.

المعروف بالاتساق، ومن خلال العلاقات الدلالية والبنى الكبرى المعروفة بالانسجام، إضافة إلى التناص والمقصدية والتأويل وغيرها.

وفي هذه الدراسة سيقف الباحث، في شطر عريض منها، على جزء من هذه المقاييس، فهي، أعني الدراسة، تحلّق بجناحين عريضين هما: النصية والتداولية؛ فاختير القسم الاول منها لدراسة ظاهرتي الاتساق (Cohesion)، والانسجام (Coherence) في بعض الخطب المبثوثة في العقد الفريد.

أما الشطر الثاني الذي ستوليه الدراسة اهتمامًا فلا يقل شأنًا عن سابقه، وهو رجع البصر في الدراسات التداولية عامة، واهتمامها الواسع بقطبي الخطاب الرئيسين: المتكلم والمتلقي.

تعد التداولية مبحثًا جديدًا من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة، وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي تهتم في المقام الأول بكيفية فهم الناس بعضهم بعضًا، فركزت على دراسة الأساليب الكلامية، ومراقبة الآثار الدلالية المرتبطة بالموقف الدلالي، والحقّ أن التداولية قد برزت خلاصة لتيارات لسانية وفلسفية، عني بعضها بالمستوى التركيبي، و عني قسم آخر بالمستوى الدلالي، فيما اهتمت التداولية بالمستويات التركيبية والدلالية والسياقية مجتمعة معًا، ويعود الفضل في تأصيلها وتقعيدها إلى البريطاني جون أوستين(John Austin)، من خلال كتابه الشهير: "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" (How to do Things With Words)، الذي رأى أن وظيفة اللغة لا تنحصر في نقل أخبار أو وصف وقائع، وإنما في اللغة أفعال تنجز بل تقع، بمجرد النطق بها، كما أن الكلام يهدف إلى التأثير في الآخر، وتحقيق غاية ما، فهو ـ أي الكلام ـ لا يعبر عن شيء فقط، وإنما يفعل أيضا.

ولكي تكتمل عملية التخاطب ويكتب لها النجاح، وجب ارتباط التخاطب التداولي بأطراف ثلاثة: منتج الخطاب سواء أكان كاتبًا أم مؤلفًا أم متكلمًا، والمتلقي سواء أكان قارئًا أم متلقيًا أم شخصية مقابلة للذات المتكلمة، والعنصر الثالث يرتبط بالسياق أو المقام قصد الإيصال والتبليغ.

ومما يحسب للتداولية أنها ـ في دراستها للظاهرة اللغوية وتفسيرها ـ لجأت إلى دمج مجالات معرفية أخرى وحقول أخرى مساندة، فتتقاطع معها جملة من الاختصاصات؛ كالبلاغة والمنطق والفلسفة وعلم الاجتماع، كما اهتمت في دراستها بأقطاب العملية التواصلية، كالمتكلم ومقاصده بصفته أساس عملية التواصل وركنه الأول، وتعنى بالمخاطّب أثناء الخطاب، والعناية كذلك بالظروف والعوامل الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، وإلا فما قيمة الملفوظات وهي بعيدة عن السياق الموجّه من المتكلم من خلال الظروف المحيطة بزمان التخاطب ومكانه؛ كي تتضح نيّات المتكلم ومقاصده التي يسعى إلى إيصالها للمتلقي؟

وعلى غرار ما جاء به القسم الأول من هذه الدراسة، فسيقف القسم الثاني على: نظرية الأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري، والأفعال الحجاجية.

ومن وجهة أخرى خائضة في مادة هذه الدراسة ومادتها، يعد كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي(ت. 328هـ) عينًا من عيون التراث العربي، وموئلًا رئيسًا من الكتب الجامعة في التراث العربي، فابن عبد ربه علّامة في عصره، وله مصنفات مختلفة ، أما الخطب في العقد – موضع الدراسة – فكانت منتسبة إلى عصور أدبية مختلفة، فقد كانت تلك الوسيلة الأساس في خطاب الجماهير، وإثارة حماستهم بما تحمله من خصائص وميزات أهمها الإقناع والتأثير، واسترعاء الانتباه بما يتوافق مع طبيعة المتلقي واحتياجاته، وهذا أمر جِدُّ عظيم أن يظفر به الخطيب، ويتمكن من معرفة طبائع الخلائق، فلا يكلمهم إلا فيما يعرفون، فيكون في أتم المعرفة بنواميسهم ومشاربهم التي تقوّي عملية الاتصال والتواصل، وتصل بالخطيب إلى غايته؛ لتحقيق النجاح، وإلا فلن يكون له ما يريد[1].

ولهذا جاء عنوان الدراسة: (تحليل الخطاب في كتاب العقد الفريد: الخطب أنموذجا ـ دراسة نصية تداولية)، مسلطة الضوء على أبرز الخطب وقائليها، ودراستها دراسة لسانية نصيّة، ملتفتة إلى منهج لساني حداثي؛ إذ جمعت الدراسة بين النظري والتطبيقي في التركيز على بعض الخطب الواردة في كتاب العقد الفريد.

---

[1]. ينظر: أبو زهرة، محمد: الخَطَابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط 1، مكتبة العلوم، القاهرة، 1934م، ص3–6.

يشتمل كتاب العقد الفريد على مئة وعشرين خطبة موزعة على عصور مختلفة، منسوبة لفئات متنوعة، وموضوعات متباينة، بما فيها خطب الخوارج، وخطب الأعراب، وخطب النكاح وغيرها، وقع اختيار الباحث على أحد عشرة خطبة، استأثر القسم الأول بأربع خطب، والقسم الثاني على سبع خطب، إثنتين منها لأفعال الكلام، وإثنتين للاستلزام الحواري، وثلاث للحجاج.

حاول الباحث في اختياره لهذه الخطب أن يوائم بين الاختلاف الزمني والاختلاف الموضوعي؛ فمن جهة الزمن اختلفت الخطب تبعًا لاختلاف العصور، الإسلامي والأموي والعباسي، إضافة إلى خطبة من خطب الخوارج وأخرى من خطب الأعراب، ومن حيث الموضوعات تباينت الخطب المختارة في الموضوعات التي تناولتها تناولًا مقصودًا؛ طلبًا للتنويع عرضًا وتحليلًا.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها دراسة جامعة بين التنظير والتطبيق، تسعى لتوسيع آفاق التحليل من خلال الاستفادة من منظار اللسانية الحديثة، ومناهجها، ومعطياتها، والاهتمام بالخطب القديمة، وبيان مدى اتساق هذه الخطب وانسجامها، مركزة على البعد الحجاجي والإقناعي، وأفعال الكلام داخل اللغة.

لذا، فقد كان اختيار الباحث لهذا الموضوع متأتيًا من دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، أما الأسباب الذاتية فتتمثل في دراسة منهج حديث النشأة لم تطرق فيه الأبواب كلها، ففرص البحث فيه ممكنة ومثمرة في آنٍ، أما عن الأسباب الموضوعية التي جعلته يقتفي أثر هذا الموضوع، فتتمثل في الوقوف على بعض الأبعاد التداولية والجوانب النصية التي شكلت محورا رئيسًا في الخطب المختارة، والكشف عن أهمية اللسانيات النصية في العملية التبليغية التواصلية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى استشراف طرائق تحليل الخطاب في الخطب المختارة من كتاب العقد الفريد، من خلال دراسات منهجية حديثة تقوم على النصية والتداولية، كما تهدف الدراسة إلى الربط بين المناهج اللسانية الحديثة وكتب التراث القديم، وتهدف الدراسة كذلك إلى الوقوف على ظاهرتي

الاتساق والانسجام وبيان عناصرهما، ومدى ظهورهما في الخطب، علاوة على دراسة اللغة في الاستعمال في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، وتوضيح الأساليب الخطابية من خلال الإبانة عن الاستلزام الحواري والعوامل والآليات الحجاجية التي تظهر في بنية النصوص.

مشكلة الدراسة

تتلخص مشكلة الدراسة في كيفية ربط التراث العربي القديم، والمنجز الأدبي بالمناهج اللسانية الحديثة، ومدى استجابة هذه النصوص لهذه المناهج الحديثة، لذلك فقد سعت إلى الإجابة عن عدة أسئلة عريضة:

ـ هل للدراسات النصية الحديثة أصول في التراث اللغوي العربي؟

ـ هل يمكن للنصية التداولية أن تعيننا على تحليل أبلغ للخطب المختارة من العقد الفريد؟

ـ ما الجديد الذي تقدمه لسانيات النص في تحليل الخطاب؟

ـ ما المشترك بين النصية والتداولية في تفسير النص وتأويله، بحكم أنهما مجالان من مجالات تحليل الخطاب؟

أما عن الصعوبات التي واجهت الباحث فتتمثل في قلّة الدراسات التطبيقيّة في مجال الدراسات اللسانية التي من شأنها أن تخدم هذا البحث.

الدراسات السابقة

أما الدراسات السابقة فلم يقف الباحث، في حدود اطلاعه، وحدود ما أتيح له، على دراسة تداولية تناولت كتاب العقد الفريد بالدراسة النصية والتداولية، ولكن ثمّ دراسات وأبحاث تناولت تحليل الخطاب إما من خلال بعض الجوانب التداولية، أو في قضايا غير ما جاء بها هذا البحث، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1ـ الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، سورة البقرة أنموذجا، رسالة ماجستير للطالب عيسى تومي، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2014م.

2ـ الأبعاد التداولية في مقامات الحريري، رسالة ماجستير للطالب النذير ضبعي، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2014م.

3ـ تحليل الخطاب وعلاقته باللسانيات التداولية لفوزية عمارة، بحث صادر عن مجلة الاستواء، جامعة قناة السويس، عدد7، 2018م.

4ـ آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء، رسالة ماجستير للطالبة آمنة جاهمي، جامعة باجي مختار، الجزائر، 2011م.

هذا بالإضافة الى بعض الأبحاث المنشورة في مجلات تناولت ظاهرتي الاستلزام الحواري والحجاج.

أفادت الدراسة من مجموعة من الكتب التي اتخذت من الحديث عن الخطاب والنصية والتداولية مدخلا وموضوعًا، بعد الكتاب الأساس "العقد الفريد"، المعوّل عليه في الدراسة، ومنها:

كتاب محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب[1]، وكتاب سعيد بحيري، علم لغة النص[2]، وكتاب محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر [3]، وكتاب علي محمود الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي [4]، واعتمد البحث أيضا على المصادر العربية التي عنيت بالتداولية ونظرياتها مثل: كتاب التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، لمسعود صحراوي[5]، وكتاب في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، لطه عبد الرحمن[6]، وكتاب الوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكل[7].

---

[1]. الصادر عن: المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1991م.

[2]. الصادر عن: الشركة المصرية العالمية للنشر،القاهرة، 1997م.

[3]. الصادر عن: دار المعرفة، الإسكندرية، 2002م.

[4]. الصادر عن: مكتبة الآداب، جامعة الكويت، 2010م.

[5]. الصادر عن: دار الطليعة، بيروت، 2005م.

[6]. الصادر عن: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.

[7]. الصادر عن: دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م.

من المصادر المترجمة إلى العربية اعتمد البحث على مجموعة من المراجع منها: كتاب النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي لفان دايك ترجمة عبد القادر قنيني [1]، وكتاب نظرية أفعال الكلام العامة–كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني لأوستين[2]، وكتاب اللغة والعقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي لجون سورل[3].

منهج الدراسة

تتردد هذة الدراسة بين منهجين: الوصفي والتحليلي، فيبدأ الباحث بالوصف، ويعرِّج على مقولات تحليل الخطاب، وعناصره، والتداولية، وأبعادها، وعناصرها، أما الشق الثاني ففيه يعتمد الباحث على منهج تحليلي آنَ دراسة هذه الخطب دراسة تحليلية قائمة على استشراف النصيَّة، والتداوليَّة.

مخطط البحث

سار البحث في محاور ومضمونات تقوم على: مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وخاتمة تشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وقد جاء التقسيم على النحو الآتي:

- التمهيد: وفيه يقدم الباحث كلامًا موجزًا عن سيرة ابن عبد ربه، ونبذة مختصرة عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وتعريفًا بالخطب المدرجة.
- الفصل الأول: ويشتمل على المادة النظرية للدراسة من حيث ماهية المصطلحات الواردة، تعريفها، ونشأتها، وقواعدها، ويتكون من خمسة مباحث: أولها الخطاب وتحليل الخطاب، وثانيها النص والنصية، وثالثها نحو النص، ورابعها التداولية، وخامسها الحجاج.

---

[1]. ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م.

[2]. ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991م.

[3]. ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006م.

- الفصل الثاني: ووسم بعنوان " آليات التماسك النصي في خطب العقد الفريد (دراسة تطبيقية نصية)، واجتمع فيه مبحثان:

المبحث الأول: وسائل الاتساق في خطب العقد الفريد، ممثلا بخطبتين: خطبة أبي بكر الصديق، وخطبة عمرو بن سعيد.

المبحث الثاني: وسائل الانسجام في خطب العقد الفريد، ممثلا بخطبتين: خطبة معاوية بن أبي سفيان، وخطبة هارون الرشيد.

- الفصل الثالث: وجاء تحت عنوان: " الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري في خطب العقد الفريد (دراسة تطبيقية تداولية)، وقد جاء هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلامية في خطب العقد الفريد، وضمّ هذا الفصل خطبتين وهما: خطبة للحجّاج، وخطبة لأبي حمزة.

المبحث الثاني تحت عنوان الاستلزام الحواري في خطب العقد الفريد، تناول فيه الباحث خطبة لكل من: عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب.

- الفصل الرابع: وعنونه الباحث بـ" الحجاج في خطب العقد الفريد (دراسة تطبيقية تداولية)، وقف فيه الباحث على ثلاث خطب: خطبة لعلي بن أبي طالب، وخطبة ل صالح بن علي، وخطبة لقطري بن الفجاءة.

وقبل أن تشارف المقدمة للوصول إلى خط النهاية، أرجو من العلي القدير أن تكون هذه الدراسة قد حققت الأهداف والغايات التي وضعت لأجلها، بعد قطع أشواط من البحث والدراسة في أمات الكتب ومعجمات اللغة؛ لفهم هذا العلم وما يحيط به من سمات وخصائص ونظريات، وما اعترض طريق الباحث من غموض وإبهام في بعض الأحيان، وفي بادئ قطع الخطوات كانت تجليه القراءة التأملية التدبرية المتأنية، وتوجيهات وإيضاحات من المشرف على هذه الرسالة، وتجدر الاشارة إلى أن وقوف الباحث على بعض المفاهيم والمصطلحات جاء موجزًا، وعلى عجالة من الأمر إذ إن

كتب اللسانيين والتداوليين لم تترك شيئا من تلك المصطلحات إلا وتناولته بشيء من التفصيل الدقيق، فكان تناول الباحث لها في الفصل الأول بعدّه مقدمة مؤسسة قبل الولوج في التطبيق.

لم تكن دراستي ومعرفتي _ وحدهما _ للتداولية والنصية، كفيلتين بإخراج هذه الدراسة لما هي عليه الآن، بل كان لإشارات الدكتور مهدي _ حفظه الله _ وإرشاداته الدور البارز في توجيه دفة هذه الدراسة الوجهة الصحيحة، من حيث الترتيب والتبويب وحسن الاختيار، وقد وجدت في إشرافه مدرسة للهداية العلمية والأخلاقية.

في الختام، أرجو من الله العلي القدير، أن أكون قد وفقت في وضع لبنة إضافية لهذا العلم إضافة على الأبحاث السابقة، وقدمت ما يفيد القراء والباحثين، وإن كان من خير في هذه الدراسة فما ذلك إلا توفيق الله، وإن لم أصب فيما رجوته، فما أنا إلا بشر يخطئ ويصيب، فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبا مباركا، وله الكمال وحده، إنه نعم المَولى ونعم المُعين.

تمهيد

ابن عبد ربه وكتابه العقد الفريد[1]

العلامة الأديب الأخباري صاحب كتاب " العقد "، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير المرواني مولى أمير الأندلس هشام بن الداخل الأندلسي القرطبي، كان بليغا شاعرا نبيلا. عاش اثنين وثمانين سنة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[2].

ولد ونشأ في قرطبة، وتتلمذ على عدد من علمائها، ظهرت ثقافته الواسعة في مصنفه العقد، ولم يكتف بذلك فهو أيضا شاعر مثقف، مكنته ثقافته الشعرية من التقرب إلى أمراء بني مروان، ومدائحه فيهم تدل على صلته الوثيقة بهم وثقتهم به[3].

لقد تبوأ ابن عبد ربه منزلة رفيعة في مجالي العلم والأدب، حتى عدّ من أعلام العربية الكبار، وحتى في مجال العلوم الدينية، يقول جبرائيل جبّور: لقد كان ابن عبد ربه فقيها، ولعلّ ما أوصله لذلك طرقه باب الفقه وعلوم الدين أيّام الأمير عبد الرحمن الناصر حيث كان الأخير يحب الفقه وعلوم الدين، حتى نعته ابن عبد ربه بالعابد الزاهد التقي النقي[4].

قال فيه الحُمَيْدي: وكان لأبي عمر بالعلم جلالة، وبالأدب رياسة وشهرة، مع ديانته وصيانته، واتفقت له أيام وولايات للعلم فيها نفاق ؛ فساد بعد خمول ، وأثرى بعد فقر، وأشير بالتفضيل إليه، إلا أنه غلب الشعر عليه[5].

---

[1]. الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

[2]. ينظر: الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومجموعة، ط 1، مؤسسة الرسالة، 2001م. 283/15، وينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، 87/1.

[3]. ينظر: ابن عبد ربه، أحمد: الديوان، تح: محمد الداية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م، ص5-8.

[4]. ينظر: جبور، جبرائيل: ابن عبد ربه وعقده، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص40.

[5]. ينظر: الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، ص101.

يبدو أن صاحبه اعتمد الطريقة ذاتها التي اعتمدها ابن قتيبة في تصنيف عيون الأخبار، وفي ذلك يقول أحمد أمين في مقدمة العقد: "تأثر ابن عبد ربه كثيراً بكتاب ابن قتيبة عيون الأخبار، واستغله أعظم استغلال سواء في ترتيبه وتبويبه أو في مشتملات أبوابه، ولكنه غمطه حقه في التصريح بما أخذ عنه إلا في القليل النادر" [1]، فقد استهل الأندلسي عقده بكتاب السلطان وجعله اللؤلؤة الأولى، كما استهل ابن قتيبة عيون الأخبار بكتاب السلطان، والكتاب الثاني عند إبن عبد ربه هو كتاب الفريدة في الحروب، والكتاب الثاني بعيون الأخبار هو الحرب[2].

وفي كتاب العقد الفريد يقول جورجي زيدان: "إن في بعض أبوابه فصولا، تجد مثلها في كتب التاريخ، فأخبار زياد والحجاج والطالبين فيها حقائق يعز العثور عليها في كتاب"[3].

خلاصة ما يقوله الباحث عن ابن عبد ربه إنه ألف واحدا من أوائل كتب الثقافة العربية الأدبية العامة في الأندلس، وقد برهن فيه على اطلاع جمّ على آداب العربية، وأخبار من قبله دون أن يرحل الى مواطنها في المشرق[4].

يحتوي كتاب العقد الفريد على خمسة وعشرين كتابا أو قسما، قسمه صاحبه وسماه وفقا لبعض مسميات الأحجار الكريمة ، أو الجواهر ، فتخيله عقدا في كل جهة اثنتا عشرة جوهرة تجمعها واسطة، جعلها خالصة للخطب، فجاء كتابه أشبه بالعقد الذي يزين جيد العربية.

---

[1]. الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص9

[2]. ينظر: جبور، جبرائيل: ابن عبد ربه وعقده، ص57.

[3]. نقلا عن: عيد، يوسف،: دفاتر أندلسية، في الشعر والنثر والنقد والحضارة والإعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، (د.ت)، ص71.

[4]. ينظر: ابن محمد، أحمد: النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس، مضامنه وأشكاله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1990م، 291/1.

الفصل الأول

مصطلحات البحث الكبرى لغة واصطلاحا ونشأة وفروعا

مهاد

يجدر بالباحث قبل الخوض في غمار هذه الدراسة، والوقوف على فصولها المتنوعة بالشرح والتفصيل والتطبيق، معالجة المفاتيح الأساسية لهذه الفصول، وتناول المفهوم المصطلحي الوارد في فصول هذه الدراسة؛ إذ تعد بداية معرفةِ كل علم مفهوما ومضمونا العتبةالتي يرسو عليها، المجلِّية عن دلالاته المعرفية، والكامنة في جوانيته وبرانيته[1].

ويجد الباحث أن الاختلاف يكتنف المفاهيم الأساسية الدائرة في فَلَكِ اللسانيات الحديثة، فيجد الاختلاف والتباين في معاني المصطلحات بين باحث وغيره؛ وما ذلك إلا لأنها مستقاة من علوم متنوعة، مترجمة من لغات أخرى إلى العربية، ومع ذاك كان لزاما على الباحث أن يعرج على الأقوال كما تداولها أصحابها من العرب والغرب، ويسعى لإيجاد الرابط المشترك بينهم؛ ل يخرج بمفهوم يشملها كلها، ينطلق من الجذر اللغوي، مرورا بالنشأة التاريخية له، حتى الوصول إلى أهدافه ومجالاته وطبيعة سيره في الوقت الحالي.

المبحث الأول: الخطاب وتحليل الخطاب

الخطاب عند العرب

يعد الخطاب من المصطلحات المثيرة للجدل في لسانيات النص؛ إذ تعددت الرؤى واختلفت في تحديد مفهومه، وذلك لتداخله مع مصطلح النص إلى حد يصعب التفريق بينهما، وانطلاقا من هذا الإشكال المعرفي، سيحاول الباحث النظر في مفهومه في التراث اللغوي العربي، ليعرج بعد ذلك على مفهومه في الدرس اللساني الحديث.

[1]. ينظر: المسدي، عبد السلام: قاموس اللسانيات: عربي فرنسي فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، ص11

يعود هذا المفهوم إلى أصل لغوي واحد لا لَبس فيه ولا تباين[1]، وقف ابن فارس على معناه فقال: " الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي النِّكَاحِ الطَّلَبُ أَنْ يُزَوَّجَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا عَرَّضتُم بِهِۦ مِن خِطبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [2]، وَالْخُطْبَةُ : الْكَلَامُ الْمَخْطُوبُ بِهِ، وَيُقَالُ: اخْتَطَبَ الْقَوْمُ فُلَانًا، إِذَا دَعَوْهُ إِلَى تَزَوُّجِ صَاحِبَتِهِمْ، وَالْخَطْبُ : الْأَمْرُ يَقَعُ ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّخَاطُبِ وَالْمُرَاجَعَةِ"[3].

وورد في "لسان العرب" لابن منظور في مادة (خ،ط،ب): أن " الخِطابَ والمُخاطَبَةَ : مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ، والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخاطِبُ عَلَى المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، والمُخاطَبَة، مُفاعَلَة، مِنَ الخِطاب والمُشاوَرَة، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَفَصلَ ٱلخِطَابِ)[4]؛ قَالَ : هُوَ أَن يَحْكُم بالبَيِّنة أَو اليَمِين؛ وَقِيلَ :مَعْنَاهُ أَن يَفصِلَ بينَ الحَقِّ والباطِل، ويُمَيِّزَ بيْن الحُكْمِ وضِدِّهِ؛ وقيلَ فَصْلَ الْخِطابِ"[5]، وقال الزمخشري: "خاطَبَهُ فَأَحْسَنَ الخِطَابَ أَيْ المُواجَهَة بِالكَلامِ"[6].

وقد وردت الكلمة في أصلها اللغوي (خطب) في القرآن الكريم في اثني عشر موضعا[7]، تدور في معناها في فلك واحد، هو فصل الكلام، وقد أرجعها العديد من المفسرين إلى هذا المدلول[8] .

من خلال المعاني الواردة للمصطلح السابق يمكننا القول: إنّ "للفظ الواحد والمصطلح الواحد أحيانا عدة مفاهيم وكثرة من المعاني، حتى تكاد اللفظة الواحدة تضج في تشعّب دلالاتها"[9]، والملاحظ أن تعدد المفاهيم وكثرة المعاني له لم تخرجه عن المعنى المسرتعمل في يومنا الحاضر، وهو الكلام، والاقتران بالحديث الحاصل لتحقيق غرض ما.

---

[1]- بعض الكلمات قد يحدث فيها لبس، ومرد ذلك الاختلاف في الأصل الاشتقاقي للكلمة المقصودة، ولمزيد من الاطلاع في اختلاف الأصل الاشتقاقي ينظر: عرار، مهدي: ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتفاصل، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان،2003م، ص98.

[2]- البقرة: آية 235.

[3]. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1999م، 2/ 198 مادة " خطب".

[4]. ص: آية 20.

[5]. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، مادة "خ.ط.ب".

[6]. الزمخشري: أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، (د.ت)، مادة خطب.

[7]. ينظر في ذلك على سبيل المثال: سورة الفرقان، آية63، وسورة القصص، آية23، وسورة ص، آية20، وآية23.

[8]. يظهر ذلك في تفسير ابن كثير بقوله: هو الفصل في الكلام وفي الحكم، ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تح: حكم بن بشير بن ياسين، ط 1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1431هـ، 6/ 414.

[9]. ابن الأثير، أبو الفتح: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، 139/3.

الخطاب عند الغرب

ظهر هذا المصطلح عند الغرب في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته[1]؛ لما شهدته هذه الحقبة من تحول جذري في المناخ الفكري في إنجلترا وفرنسا[2] أدى للاهتمام بدراسة الخطاب.

تعددت تعريفات الخطاب، وقد يعزى السبب في ذلك إلى بروز مصطلح الخطاب في الدراسات الألسنية الحديثة وتأثر النقاد ونظريات الأدب مع ظهور البنيوية في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات[3].

ومثلما اختلف العلماء في تحديد مفهوم جامع للخطاب، فقد اختلفوا أيضا بحجم القول الذي نعده خطابا، أهي الجملة المكتملة نحويا ودلاليا، أم أن الخطاب يجب أن يتجاوز حدود الجملة؟

يتناول شابمان هذه المسألة حين يقول: إن جملة العناصر المشكلة لوحدة من الأداء اللغوي تقف مكتملة في ذاتها، تسمى في العموم خطابا. وليس لهذا الاسم أي دلالة على الحجم أو الأسلوب أو النوع؛ ففي الحد الأدنى يمكن أن تكون هذه الوحدة كلمة أمر مفردة: "قف"؛ وفي الحد الأعلى تكون هذه الوحدة مفتوحة بكل معاني الكلمة أمام التحليل، معتمدة على عناصر من التخطيط والثبات لا تمثل ظواهر لغوية[4].

وَالقول السابق لا يختلف كثيرا عن قول فوكو بأن كل نص أو كَلام له معنى وتأثير في المتلقي يعد خطابا[5]، لكن الأقوال السابقة لا تعني بحال من الأحوال أن أي جملة أو مجموعة من الجمل تعد خطابا، فالجمل الاعتباطية التي لا تحمل معنى، ولا ترتبط بتماسك وتآزر بين تراكيبها أبعد من أن نطلق عليها خطابا.

---

[1]. ينظر: ميلز، سارة: الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2016، ص13.

[2]. يعود ذلك إلى أحداث 1968م، حيث شهدت سجون فرنسا حركات تمرد على نظامها المتبع آنذاك، وشهدته أيضا من الطلبة على نظام الجامعات وعلى أهداف المناهج التي يدرسونها، وسيطرة الأفكار الأمريكية فيها خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ينادون بسيادة الخطاب بلسان العامة، الصوت المنخرط في الواقع العملي والمعيش، والدعوة إلى التحرر من الحكم الاستبدادي، حتى أصبحت ألوان الخطاب شائعة "في عديد من أفرع المعرفة، منها النظرية النقدية وعلم الاجتماع وعلم اللغة والفلسفة وعلم النفس الاجتماعي وغير ذلك، ينظر: مكدونيل، ديان: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة وتقديم عزالدين إسماعيل، ط1، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 2001، ص11.

[3]. ينظر: مكدوتيل، ديان: مقدمة في نظريات الخطاب، ص27.

[4]. السابق: ص29.

[5]. ينظر: فوكو، ميشيل: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2007م ص26.

يعود مصطلح الخطاب بمفهومه المعاصر إلى الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو "Foucault Michel"، وهو مصطلح لساني يتميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها، ويشمل كل إنتاج ذهني، سواء أكان نثرا أم شعرا، منطوقا أم مكتوبا، فرديا أم جماعيا، ذاتيا أم مؤسسيا. وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها، أو يحمل معناها، أو يميل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما[1]، وهو شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام بوصفه خطابا[2].

وهو صناعة يتكلف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يرادون أن يصدقوا به[3]، وهو عبارة عن "النسق الذهني المجرد للكلام، الذي نتكلمه بالقوة أو الفعل"[4]، وهو "وحدة تواصلية تبليغية ناتجة عن مخاطب معين، موجهة إلى مخاطب معين في سياق معين، يدرس ضمن ما يسمى باللسانيات "[5]، والخطاب عند بنفنيست:" كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[6].

في حين يعرفه كل من هارتمان (Hartman) وستوك (Stuk): بأنه محكوم بوحدة كلية واضحة، ومتكون من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث يبلغ رسالة ما[7].

ولبسط القول أكثر في وجوه التطور الحاصل في المفهوم نورد ما قاله فرحات الحربي في ذلك:

---

[1]. ينظر: فوكو، ميشيل: نظام الخطاب ص8.

[2]. ينظر: بوقرة، نعمان: المصطلح اللساني النصي، قراءة سياقية تأصيلية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، الجزائر،2006م، ص234.

[3]. ينظر: البحراني، كمال الدين: مقدمة شرح نهج البلاغة، تح: عبد القادر حسين، ط 1، دار الشروق، بيروت، 1987م، ص163.

[4]. الحميري، عبد الواسع: الخطاب والنص (المفهوم.العلاقة.السلطة)، ط 1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008م، ص36.

[5]. مليكة، اعمارن، ووسيلة بوسويرة: الاتساق والانسجام في سورة المجادلة دراسة في ضوء لسانيات النص، (رسالة ماجستير)، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، 2017م، ص12.

[6]. ينظر يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 19.

[7]. ينظر: إبراهيم، عبد الله: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب،1999م، ص108.

الخطاب مصطلح مرادف للكلام، بحسب رأي دي سوسير اللساني البنيوي، وهناك خطاب أدبي بحسب رأي موريس.

الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباث (المتكلم)، تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة، بحسب رأي هاريس، هو "وحدة لغوية تفوق الجملة، تولد من لغة جماعية بحسب بنفنست، وهو نظير بنيوي لمفهوم الوظيفة في استعمال اللغة، بحسب رأي تودوروف، فهو أب منطوق، أو فعل كلامي، يفترض وجود راو أو مستمع، وعند الأول فيه نية التأثير في الآخر"[1].

لذلك فالخطاب عملية تفاعلية بين المتكلم والمتلقي، من خلال المعلومات التي يرغب المرسل إرسالها إلى المتلق.

أما مصطلح تحليل الخطاب فتعود بدايات ظهوره إلى زليج هاريس(Z.Harris)، الذي عرفه بقوله: إن تحليل الخطاب منهج في البحث في أيما مادة مشكلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي، سواء أكانت لغة، أم شيئا شبيها باللغة، ومشتملة على أكثر من جملة أولية، أو لنقل إنها بنية شاملة تشخص الخطاب في جملته، أو أجزاء كبيرة منه[2].

فعمد هاريس إلى تحليل النصوص في ضوء ظروف إنتاجها، والمشاركين فيها، والمؤثرات التي تركت أثرا فيها.

أما بنفنست فيقدم تعريفا أعمق للخطاب وتحليله من هاريس، ويرى بنفنست الجملة أصغر وحدة في الخطاب، تتكون من علامات لا من علامة واحدة، ويعرف الخطاب " باعتباره الملفوظ منظورًا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل" [3]، فكل تلفظ عنده يفترض وجود طرفي الخطاب المرسل والمستقبل، وهدف الأول التأثير في المستقبل/ السامع، وبناء على ما سبق نجد أن الخطاب عنده يقع تحت التلفظ (أداءً وفعلا) لا تحت الملفوظ (اللغة / الكلام الناتج عن التلفظ).

---

[1]. الحربي، فرحات: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2000م، ص39.

[2]. ينظر: مكدونيل، ديان: مقدمة في نظريات الخطاب، ص30.

[3]. يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي، ص19.

اهتم علماء اللسان بتحليل الخطاب في الربع الأخير من القرن العشرين عندما أدركوا أن التحليل يجب أن يتجاوز معطيات اللغة في ذاتها إلى ما هو أعمق معنى ووصفا وفهما وتناولا لوظائفه وكيفية إنجازه [1]، فانتقلوا من الاهتمام باللغة في ذاتها ومن أجل ذاته ا إلى البحث عن وظائفها والهدف من استعمالها[2].

وتحليل الخطاب لجأت إليه اللسانيات للتفريق بينه وبين الخطاب؛ إذ إن علم اللسان يهتم بما يقال، ويبين كيف يقع القول داخل نظام اللغة في مستوياتها، ويتخذ اللغة موضوعا له، ويقف عند هذا الحد غير مجاوز تلك المساحة.

وتجدر الإشارة حقا أن محللي الخطاب يولون وجوههم شطر العلوم الأخرى منتفعين وآخذين منها ما طلب التحليل منهم ذاك، فلا يمكن فصل الخطاب عن سياقه الذي حدث به، خاصة السياق الاجتماعي –الثقافي الذي يتعلق به أيما تعلق[3]، ويرمي تحليل الخطاب إلى إعطاء النص قراءة مضبوطة يتفق عليها عدد كبير من القراء، بالإمساك بمقاصد الكاتب الإبلاغية أولا، وبالمقاصد التي تخرج من يد الكاتب إلى يد القارئ الذي يقوم بعملية التفكيك والتركيب، من خلال البناء على قراءات متتابعة[4].

ولا أبالغ إن قلت إن الغاية الكبرى لتحليل الخطاب هي الوقوف على دلالات النص الأكثر عمقا، ومنح النص القراءة الدلالية الدقيقة، مع قناعتنا أنها لن تكون القراءة النهائية لأي نص كان.

---

[1]. ينظر: مكدونيل، ديان: مقدمة في نظريات الخطاب، ص34.

[2]. ينظر: حمو الحاج، ذهبية: التداولية واستراتيجية التواصل، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م. ص68.

[3]. ينظر: حمو الحاج، ذهبية: التداولية واستراتيجية التواصل، ص105.

[4]. ينظر: خالفي، حسين: البلاغة وتحليل الخطاب، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2011م، ص26.

المبحث الثاني: النص والنصية

لدراسة أي موضوع لا بد من ضبط المدار الذي يجري فيه، والوقوف على المفاهيم والمصطلحات التي يعتمد عليها، وصولا للمفاتيح على هذه المفاهيم، فلا يستقيم الحديث عن الاتساق والانسجام، وما اتصل بهما من أدوات وآليات، دون الإشارة إلى النص الذي يعتبر اللبنة الأساسية للتحليل.

إنّ المتصفح للمعجم العربي يلاحظ أن أغلب معاني كلمة النص تعني الظهور والارتفاع، وورد عن ابن منظور أن " النَّصّ: رفْعُك الشَّيْءَ .نَصَّ الْحَدِيثَ يَنُصُّه نَصًّا : رفَعَه. وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ :مَا رأَيت رَجُلًا أَنصَّ لِلْحَدِيثِ مِنَ الزُّهْرِي أَي أَرْفَعَ لَهُ وأَسْنَدَ .يُقَالُ : نَصَّ الْحَدِيثَ إِلى فُلَانٍ أَي رفَعَه، وَكَذَلِكَ نصَصْتُه إِليه .ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها :رفَعَتْه. ووُضِعَ عَلَى المِنَصَّةِ أَي عَلَى غَايَةِ الفَضِيحة وَالشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ .والمَنَصَّةُ :مَا تُظْهَرُ عَلَيْهِ العروسُ لتُرَى، وَقَدْ نَصَّها وانتَصَّت هِيَ، والماشِطةُ تَنُصُّ العروسَ فتُقْعِدُها عَلَى المِنَصَّة، وَهِيَ تَنْتَصُّ عَلَيْهَا لتُرَى مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ"[1].

وفي كتاب العين: "نص :نَصَصْتُ الحديث إلى فلان نَصّاً أي رَفَعْتُه، لقول طرفة بن العبد:

ونّصَّ الحديثَ الى أهله فان الوَثيقَةَ في نَصِّهِ[2]

ونَصَصْتُ ناقتي : رَفَعْتُها في السير، ونَصَصْتُ الرجلَ : استَقصَيْتُ مَسْأَلتَه عن الشيءِ، يقال نَصَّ ما عنده أي استقصاه، ونصُّ كلُّ شيءٍ، مُنَتهاه"[3].

وقد جاء في مختار الصحاح في مادة (ن ص ص)، ما يأتي:" نَصَّ الشَّيْءَ رَفَعَهُ وَبَابُهُ رَدَّ وَمِنْهُ مِنَصَّةُ الْعَرُوسِ (بِكَسْرِ الْمِيمِ)، وَنَصَّ الْحَدِيثَ إِلَى فُلَانٍ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَنَصُّ كُلِّ شَيْءٍ مُنْتَهَاهُ .وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : إذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ يَعْنِي مُنْتَهَى بُلُوغِ الْعَقْلِ"[4]، وورد في أساس البلاغة للزمخشري في مادة (ن ص ص) ما يأتي: " نصص: الماشطة

---

[1]. ابن منظور: لسان العرب، مادة: (ن ص ص).

[2]. طرفة بن العبد: الديوان، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص51.

[3]. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تج: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال، (د.ت)، باب الصاد والنون.

[4]. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ، ط5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، مادة نصص.

تنص العروس فتقعدها على المنصة، وهي تنص عليها، أي: ترفعها، ومن المجاز : نص الحديث إلى صاحبه، وبلغ الشيء نصه: بلغ منتهاه ونصصت الرّجل إذا أحفيته في المسألة ورفعته إلى حدّ ما عنده من العلم حتى استخرجته. وبلغ الشيء نصّه أي منتهاه "[1]، وعند الفيروزأبادي:" نَصَّ الحديثَ إليه : رَفَعَهُ، النَّصُّ :الإِسْنَادُ إلى الرئيسِ الأَكْبَرِ، والتَّوْقيفُ، والتَّعْيينُ على شيءٍ ما"[2].

والظاهر أن المعجمات العربية تجمع على أن النص هو الرفع، وتشترك جميعا في معان على نحو: الرفع، واقصى الشيء، وضم الشيء إلى الشيء، كما لم يخرج معناه عن مفهوم البروز والظهور ومعنى النسيج الذي تُغزل خيوطه لتشكيل لوحة متكاملة منسجمة بمحتواها من الملفوظ[3].

النص في الاصطلاح

على الرغم من أن النص أصبح الحجر الأساس الذي تقوم عليه العديد من العلوم اللغوية، إلا أن إمكانية الحصول على مفهوم واحد له يجمع عليه الباحثون يعد أمرا غير متحقق، وقد أفضى ذلك إلى تعدد تعريفات النص، ويعود السبب في ذلك إلى اختلاف التخصص الذي ينطلقون منه، مما يؤدي في نهاية المطاف لتشعب السبل، وعدم الوقوف على مفهوم معين يختص به المصطلح ذاته[4]، وقد أجمع عديد الباحثين على أن تعريفات هذا المصطلح تختلف باختلاف المرجعيات المعرفية التي ينطلق منها الباحثون [5]، حيث تعددت تعريفاته وتنوعت، بل تداخلت إلى حد الغموض أحيانا، فبعض التعريفات تعتمد على مكوناته الجملية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وغيرها مما يجعلنا نقف على حصيلة كبيرة من التعريفات [6]، وظهر الاختلاف في التعريفات أيضا بتعدد النظرات من منحى نظرة المدارس اللغوية، فالمدرسة البنيوية يرى أصحابها "بضرورة قطع النص عن مبدعه، وعن سياقاته التاريخية والاجتماعية والنفسية، ويركزون على البنية النصية نفسها، ويتعاملون مع النص على أنه

---

[1]. الزمخشري، أساس البلاغة، مادة نصص.

[2]. الفيروزأبادي: القاموس المحيط ، مادة نصص.

[3]. ينظر: حمو الحاج، ذهبية: التداولية واستراتيجية التواصل، ص103.

[4]. ينظر: قياس، ليندة: لسانيات النص: النظرية والتطبيق–مقامات الهمذاني أنموذجا، ط 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م،ص14.

[5]. من هؤلاء سعيد بحيري الذي يرى مسالة وجود تعريف جامع مانع للنص مسالة غير منطقية، من جهة التصور اللغوي، ويؤكد ذلك الاختلاف علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم.(علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص107).

[6]. ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م، ص21.

بنية مغلقة في مستوييه النحوي والدلالي" [1]، وما تقوم عليه البنيوية الأمريكية هو أساس مقولة بلومفيلد: الجملة أكبر مقولة لغوية[2]، أما السيميائية فقرنت النص بمفهوم التناص على أنه مجموعة من نصوص متداخلة، واهتمت بالنصوص غير المكتوبة التي توضع لمقصد مثل الرسومات وإشارات المرور وغيرها [3]، أما علماء اللغة الاجتماعيون فنظروا للنص على أنه يتشكل من خلال موقف يتفاعل فيه الأفراد والجماعات مع بعضهما، مما يستدعي بحث العلاقات الاجتماعية وقضايا الاتصال المحيطة بالنص من المكان والزمان والسياق وغير ذلك[4].

وسيقف الباحث على بعضها بغية الاقتراب من مفهوم اصطلاحي شامل، من ذلك أن" النص الأدبي ليس كينونة قابلة للتعريف، غير أنه إذا كان شيئا فهو حدث دينامي"[5].

وتعريف البلغارية جوليا كريستيفا حظي باهتمام خاص، فقد تجاوزت النظر إلى سطح النص، وأدخلت الجانب الدلالي في تعريفها، حيث عدته شبكة من العلاقات، فالنص عندها: "عبارة عن عملية إنتاجية علاقته باللغة التي يتموقع فيها هي علاقة إعادة التوزيع من طريق التفكيك وإعادة البناء"[6].

وأما بارث (Barthes)، فقد قدّم تعريفا أوسع وأشمل للنص بأنه ليس إلا "نسيجا في حالة نسجه، أي في حالة تشابك الأنظمة، والصيغ، إنه الذي يتموضع فيه الفاعل الناسج، وينحل فيما ينسج مثل عنكبوت ينحل في عواشة"[7].

وهو عند آخر:" كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل، يحدد من جهة الموضوع، ويُعنَي بوظيفة تواصلية يمكن تعرفها، أي يحقق كفاءة إنجازية يمكن تعرفه"[8].

---

[1]. أبو زنيد، عثمان: نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2009م، ص13، وينظر: ميلز، سارة: الخطاب، 60-88.

[2]. ينظر: بحيري، سعيد: علم لغة النص، ص137.

[3]. ينظر: أبو زنيد، عثمان: نحو النص، ص15.

[4]. السابق: ص17.

[5]. إيزر، فو لفغانغ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر: حميد لحمداني، والجلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس، 1994م، ص11.

[6]. علم النص، تر: فريد الساعي، ،ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997م، ص21.

[7]. الحميري، عبد الواسع: الخطاب والنص . المفهوم، العلاقة، السلطة، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008م، ص121.

[8]. زتسيسلاف واورزنياك: علم النص، مدخل إلى مشكلات بناء النص، تر: بحيري، سعيد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2010م، ص58.

وهذا القول يبرز حقيقة أفضلية نص على آخر، اعتمادا على ما ينتجه المؤلف، وكيفية اختياره للألفاظ، ومبادئ الربط السليم بين الجمل، فكثيرا ما يقع بين أيدينا جمل سليمة نحويا ولغويا، ولكنها تفتقر إلى الترابط بينها، فانعدم التكامل والانتظام الداخلي.

النص عبارة عن نسيج من الجمل المتضامنة، والمتضافرة والمتجادلة، والمتراكبة والمتتابعة، لا يمكن فهمه إلا بتتبع ملفوظاته، واستقصائه جملة جملة؛ بغية إدراك المعنى، والغاية، والمنتهى، والفائدة المرجوة[1]، فجمل النص من خلال هذا التعريف لا يمكن الفصل بينها، ولا يفهم النص إلا من خلال تماسك هذه الجمل.

أما برينكر Brinker فيذهب في تعريفه للنص على أنه سلسلة من الجمل المتتالية، ومتى ما وضعت النقطة أو علامة الاستفهام أو التعجب بعد الجملة دلّ على وجود نص، ورمزت إليه، مما يدلل على أن الجملة جزء من النص، وهناك علاقة بين الجملة والنص من خلال وجود رمز بعد الجملة[2].

وفي تعريف للباحثين: "براون" و "يول" للنص، قالا عنه : "التسجيل الكلامي لحدث تواصلي، ولكن عددا من الكتاب سعوا إلى الإتيان بتفسير أكثر ضبطا، وأكثر تقنينا، واهتم هؤلاء الكتاب بمبادئ الترابط "الوصل و الفصل" التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض"، فالباحثان بإلحاحهما على شرط التواصل في النص يؤكدان فكرة أن النص يجب أن يكون دالا حتى يتحقق ذلك المفهوم، أي الحدث التواصلي[3].

ومنهم من عرف النص على أساس تداولي، فهو عند هارتمان علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي [4]، وفي أثناء التحليل اللغوي للنص ننطلق من الوحدات الصغرى (الجمل وأجزاء الجمل) إلى الوحدات الكبرى، فالنص عبارة عن وحدة كلية كبرى تتشابك فيها المستويات

---

[1]. ينظر: حمداوي، جميل: محاضرات في لسانيات النص، ط1 ،الألوكة، 2015م، ص 6.

[2]. ينظر: بحيري، سعيد: علم لغة النص، ص103.

[3]. ينظر: ج.ب.براون ، و ج. يول: تحليل الخطاب تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة الملك سعود، السعودية، الرياض، 1997م، ص227.

[4]. ينظر: بحيري، سعيد، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص108.

الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لتلمس مواضع التعالق بين تلكم المستويات، فتكون سهمتنا في النص لا تقل عن منتج النص[1].

والنص عند فاينرش (Weinrich) "وحدة كلية مترابطة الأجزاء؛ فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل"[2]، ويعرفه برينكر بأنه تتابع مترابط من الجمل، على أساس محوري موضوعي من خلال علاقات منظمة دلالية [3]، والملاحظ أنهما استندا في تعريفهما للنص في إطار بعده الدلالي.

إضافة إلى ما تقدّم ذكره فهناك من وقف في تعريفه للنص لا على الحجم، فالنص عندهم لا يتحدد بالطول أو القصر، أو بكونه منطوقا أو مكتوبا، فتزيفتان تودوروف يرى أن النص:" يمكنه أن يتطابق مع جملة كما يمكنه أن يتطابق مع كتاب كامل. وإنه ليتحدد باستقلاله وبانغلاقه حتى لو كانت بعض النصوص غير مغلقة بمعنى ما، وهو يكون نسقا يجب ألا يتطابق مع النسق اللساني، ولكن أن يوضع في علاقة معه؛ إنها علاقة تجاور وتشابه في الوقت نفسه"[4].

أما الأزهر الزناد، فقد ركز على خاصية التماسك والترابط في تعريفه للنص بقوله: "إنه نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض بخيوط تجمع أجزاءه المتباينة في كل موحد"[5].

وهو عند محمد مفتاح حد اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير[6]، أما سعيد يقطين فيجعله مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة، فيكون شكلا لسانيا للتفاعل الاجتماعي مسايرا لمقامات معينة، ولا يشترط فيه الطول ما دام قابلا للتقسيم[7].

---

[1]. ينظر: السابق: ص98.

[2]. العبد، محمد: اللغة والإبداع الأدبي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،1989م، ص:36.

[3]. ينظر: الزناد، الأزهر: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993م، ص12.

[4]. عياش، منذر: العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، 2003م، ص110.

[5]. الزناد، الأزهر: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص12.

[6]. ينظر: مفتاح محمد: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ط 3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992م، ص120.

[7]. ينظر: يقطين، سعيد: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987م، ص44.

وقد ورد عند البحيري تعريف قد يكون الأقرب إلى الأقوال السابقة، وهو: "النص كلٌّ تترابط أجزاؤه من جهتي التحديد والاستلزام، إذ يؤدي الفصل بين الأجزاء إلى عدم وضوح النص، كما يؤدي عزل أو إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم تحقق الفهم، ويضيف قائلا هو: "مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل"[1].

وبالعودة إلى عنوان هذا البحث نجد الشق الثاني منه يرتبط بمصطلح آخر هو النصية، ومن أوائل ظهور دراسات نصية بالإنجليزية دراسة نصية عام 1976م، في كتاب (Cohesion in English) لهاليداي ورقية حسن، وفي عام 1977م جاءت محاولات فان دايك بتأليفه كتابا جديدا يركز فيه على الظواهر الدلالية والتداولية، وقام بتسميته (Text and Context)، وفي عام 1980م بدأت دعائم نحو النص تترسخ على يد دي بوجراند في كتابه (النص والخطاب والإجراء).

وتلا ذلك مؤلفات أظهرت جهود العرب في الدراسات النصية، ومنها جهود محمد مفتاح عام 1987م في كتابه دينامية النص: تنظير وإنجاز، ومحمد خطابي عام 1991م في كتابه "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب"، والأزهر الزناد عام 1993م في كتابه "نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا".

ومصطلح النصية لا يقل أهمية عن النص، وقد احتل مكانة سامية في الدرس اللساني كونه يقوم على بيان الطرق والوسائل التي تساعد على انسجام النص، أو الخطاب، فالارتباط بينهما وثيق.

فالأصل في النص أن ينظر إلى مدى انسجامه واتساقه في علاقاته القَبلية وعلاقاته البعدية مع ما سبقه من جمل سابقة أو تالية؛ حينها نستطيع أن نطلق عليه تسمية "النصيّة" بتوافر خصائص النص فيه، فليس كل نص يمكن أن يصدق عليه هذا الاسم "النص" ، فهناك عناصر لغوية تسهم في تكامل النص ، ووحدته منها : الإحالة والتكرار المعجمي وغيرهما، فإن توافرت تلكم العناصر أطلق عليها النصية وإلا فلا[2].

---

[1]. بحيري، سعيد: علم لغة النص، ص110.

[2]. ينظر: خطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص13.

المبحث الثالث: نحو النص

فرع من فروع علم اللغة، يدرس النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، ويبين جوانب عديدة فيه منها التماسك والترابط ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي ودور المشاركين في النص عند إنتاجه وتلقيه سواء كان منطوقا أو مكتوبا [1].

يخطر ببال الكثيرين أسئلة ترتبط بالعنوان السابق: ما علاقة نحو النص بنحو الجملة؟ وهل هي علاقة اتفاق أم افتراق؟ وهل نحو النص جاء بديلًا من النحو التقليدي؟

بات النظر الى النص باعتباره بنية كلية، بينما مثلت الجمل بنى فرعية، وبات النظر كذلك إلى النص وسياقه وظروفه ومعانيه المتعالقة القبلية والبعدية، ومراعاة ظروف المتلقي، وكل ما يحيط بالنص، باتت هذه الأمور جميعها محط أنظار دارسي النصوص، ولم يكتَفَ بالوقوف على النص في شرح مفرداته وعدم الانتباه إلى العلاقات العضوية بين أجزاء النص، كل ما سبق أدى الى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، فتجاوزت قراءة النص القراءة العادية، والمتعارف عليها بحدود الجملة، إلى قراءة النص كبنية كلية، وتحليله مع مراعاة الترابط بين أجزاء الجمل معنى ودلالة، فضلا عن الأثر الذي يتركه نحو النص للمتلقي للتفاعل مع النص بمراعاة السياق والمقام[2].

كل ما سبق لا يعني بحال من الأحوال أن نحو الجملة لم يعد له مكان في ظل هذه التطورات، وأن هذا التراث النحوي الذي قدمه لنا السابقون قد عفى عليه الزمن، حتى إن كثيرا من محاولات التفريق بين نحو الجملة ونحو النص قد باءت بالفشل، ومما لا شك فيه أن نحو الجملة كان قد عرض لكثير من الظواهر في إطار أهداف محددة، ومع اتساع الظواهر التركيبية النصية كعلاقات التماسك، وأبنية التطابق والتقابل وحالات الحذف والجمل المفسرة وغيرها من الظواهر التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، كان لزاما تفسير هذه الظواهر وفق وحدة النص الكلية، وخلاصة لما سبق يغدو بالمكنة القول: إن نحو النص هو الكلية ويشتمل على نحو الجملة الجزئية، من احتواء الكل على الجزء[3].

---

[1]. ينظر: الفقي، صبحي: علم اللغة النصي، ص36.

[2]. ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص، ص9.

[3]. ينظر: الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ط 1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001م، ص100.

يتجلى مما ذكر آنفا أن نحو النص أوسع وأشمل من النحو التقليدي، فنحو الجملة يقف عند وصف الجمل مستندا إلى القواعد النحوية، أما نحو النص فيتخذ من وصف الجمل عتادا لوصف النصوص، ونحو النص يتجاوز دراسة الجملة، ويرتكز على معرفة القواعد والعلاقات التي تنتظم النص، وبرغم ذلك لم يجهضه في سيرورة ما نحاه من منحًى دلاليٍّ مغاير عنه، وبقي الاعتماد على النحو التقليدي ظاهرا في الكثير من جزيئات نحو النص [1]، وما ذلك إلا للإضافة عليه، والانتقال من الاهتمام بالجملة إلى النص، فما هو إلا "نمط مركب من التحليل يشمل فحص علاقات متدرجة تمتد من داخل الجملة إلى النص والخطاب"[2].

وفوق ذلك كانت اللغة بحاجة لنحو النص ، وأن يخرج من فوهة نحو الجملة إلى ما فيه ارتقاؤه وعلوّ مكانته في التحليل وفهم السياق والعناية به، ولفهم أوجه العلاقة التي تربط الجمل بعلاقات وليدة السياق والمعنى يولّى الوجه شطر نحو النص الذي يحوي بداخله نحو الجملة[3].

يقوم نحو النص على الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، "ويشترك مع هذا المصطلح مصطلحات أخرى: كعلم النص، وعلم اللغة النصي، ونظرية النص" [4]، وفان ديك "ميزه وخصه بمصطلح نحو النص أو نحو الخطاب أو آجرومية النص"[5].

على ما يبدو أن إرهاصات هذا العلم بدأت على يد هاريس بدراستين له في تحليل الخطاب[6]، ويرى بعض الباحثين [7] أن فان دايك هو مؤسس علم النص، ربما بمفهومه اللغوي الذي يعني علم لغة النص، وانتهت محاولاته بإقامة نحو عام للنص يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية، ورأى أن ميدان هذا العلم يشمل ميدان اللسانيات بشكل خاص[8].

---

[1]. ينظر: المشني، مروة: تحليل الخطاب في كتاب الكامل (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2019م، ص66.

[2]. السيد حامد، عبد السلام: نحو النص عند سعد مصلوح، جامعة السلطان قابوس، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، (د.ت)، ص534.

[3]. ينظر: خليل، إبراهيم: في اللسانيات ونحو النص، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007م. ص215.

[4]. شبلنر، برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، تر: محمود جاد الرب، ط 1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة،1987م، ص183.

[5]. بحيري، سعيد: علم لغة النص، ص218.

[6]. ينظر: مصلوح، سعد: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1990م، ص407.

[7]. ينظر: فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992م، ص252.

[8]. ينظر: يقطين، سعيد: انفتاح النص الروائي ، ص15.

تطور هذا العلم بشكل ملحوظ لما له من أهمية قصوى، واتصال مباشر بتحليل الخطاب، ويعد أكثر شمولا وتماسكا واقتصادا من النحو المصور في حدود الجملة[1].

إن موضوع اللسانيات النصية أو نحو النص يأخذ صفة النصية، في ارتكازه على المعايير النصية السبعة التي تمخضت عن بحوث لغوية عديدة في نحو النص، أسفرت عن صياغة الكثير من النظريات حوله، ووصلت إلى التمييز بين النص واللانص[2]، فقد قيل فيه إنه: "حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير"[3].

فهذا دي بوجراند (D. Baugrand)، يعتمد على سبعة معايير لتحديد النصية[4]، فيقول: " وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعماله"[5]، وتتمثل هذه المعايير في ما يأتي:

1- الاتساق : ويتمثل في الوسائل والآليات التي تسهم في تحقيق الترابط بين العناصر الشكلية للنصوص بصورة يؤدي فيها السابق إلى اللاحق، ويتعلق فيها اللاحق بالسابق ما يسمح باستمرارية النص.

2- الانسجام : يختص الانسجام بتحقيق الاستمرارية في باطن النص(البنية العميقة) ونعني بها الاستمرارية الدلالية، على عكس الاتساق الذي يختص برصد الاستمرارية المتحققة في ظاهر النص.

---

[1]. ينظر: مصلوح، سعد: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص415.

[2]. ينظر: خليل، إبراهيم: في اللسانيات ونحو النص، ص186.

[3]. مصلوح، سعد: نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلد 10، عدد 1،2، 1991م، ص154.

[4]. لم يعن دي بوجراند تحقق هذه المعايير السبعة جميعها في كل نص، ولكنه أكد أهمية وضرورة تحقق ولو بعضها ليتحقق الاكتمال النصي بوجودها، ينظر: سعيد بحيري، علم لغة النص، ص146.

[5]. دي بو جراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء، تر: نمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص103.

3- القصدية: وتتضمن موقف منتج النص لأنه الفاعل في اللغة والقادر على تشكيلها وتركيبها، ويعد أوستين AUSTIN أول من قال بأن اللغة نشاط ينجزه ، فلكل نص غاية وقصد يود إيصاله للمتلقي عبر المتكلم مدعما بنية وقصدا يريد تحقيقه نصه

4- المقبولية : والمقصود من ذلك هو مدى استحسان القارئ للنص الذي تلقاه، باعتباره شريكا في العملية الإنتاجية للنص، وبالتالي فقراءته تعد عملية إبداعية

5- الموقفية : وتشمل جميع العوامل التي تجعل نصا معينا مرتبطا بموقف معين يمكن استرجاعه، كما يمكن مراقبته وتغييره.

6- التناص: ويتضمن العلاقات التي تربط بين نص ما ونصوص أخرى وقعت في حدود تجربة سابقة ، وتعد جوليا كريستيفا J. Kristiva من أوائل من قدم مفهوما محددا للتناص في منتصف الستينيات من القرن العشرين وقالت بأن النص الواحد ماهو إلا محاورة لجملة من نصوص أخرى سبقته، في حين يرى بارت A. Barth أن النص لا يظهر إلا في عالم مليء بالنصوص السابقة له أو التي تحضر فيه.

7- الإعلامية: ترتبط بمدى توقع المتلقي للمعلومات الواردة في النص من عدمها ؛ إذ يمكن أن تقود إلى رفض النص إذا كان لا يتوفر على الكم المناسب من المعلومات.

إن تلكم المعايير تسهم سهمة واسعة في تحليل النص، وتبيان قوة تماسكه وترابط أجزائه، والحكم على نصية النص، مما يستدعي من منشئ القول أن يتمثلها، ويحاول جاهدا أن يضمنها في نصه، ومع ذلك قد يختلف تجليها من نص إلى آخر تِبعًا لقدرة الكاتب على الكتابة ، أو الخطيب على الخطابة[1].

ويمكن أيضا تصنيف هذه المعايير على النحو الآتي:

1_ ما يتعلق بالنص ذاته وهما: الاتساق والانسجام.

[1]. ينظر: المشني، مروة : تحليل الخطاب في كتاب الكامل، ص70.

2_ ما يتعلق بالمرسل والمتلقي وهما: القصدية والمقبولية.

3_ ما يتعلق بالسياقين المادي والثقافي المحيطين بالنص: الموقفية والتناص والإعلامية.

لهذا يمكن القول لكي تكون لأي نص نصية ينبغي الاعتماد على مجموعة من الوسائل والأدوات، لتساعد هذه الوسائل في وحدة النص الشاملة.

ولكي تستكمل مهمة هذه المعايير، لا بد من مقومات تقوم عليها، أرجعها Bertinetoo بالنظر للنص على أنه مجموعة من الجمل أو جملة واحدة لمعايير يجب توافرها فيه[1]:

انسجام الجملة من حيث الموضوع، وأن تكون الجمل ذات وظيفة تواصلية، وأن تكون الجمل منجزة في عملية تواصلية، وهذه المقومات المتقدم بيانها بالإضافة إلى التركيز على السياق محتاجة إلى بسط من القول وتجلية وشرح وتفصيل، سيأتي فضل بيان وتبيين عليها في قابلِ البحث بإذن الله.

المبحث الرابع: التداولية

يرجع مصطلح "التداولية في الدراسات الغربية إلى الكلمة اللاتينية (Pragmaticus) المبنية على الجذر (Pragma)، أوعلى العمل أو الفعل (Action) [2].

وقد أخذ مصطلح التداولية[3] مادته اللغوية من "د.و.ل"، وقصدته معاجم اللغة بمعنى مداولة الأمر بين هذا وذاك، والانتقال من حالة إلى أخرى، ومن مكان إلى مكان [4]، فقد ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري: "دول دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه"[5].

---

[1]. ينظر: الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب، ص105

[2]. ينظر: أبو زيد، نواري: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ص18.

[3]. مصدر صناعي من المصدر تداول، على وزن تفاعل، المحملة بمعنى التشريك بين اثنين وأكثر. ينظر لبسط القول في الوزن ومعناه: الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد: شذا العَرف في فن الصرف، ط 12، دار كيان، 1957م، ص82-83.

[4]. ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956م، مادة "دول"، والأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داوودي، ط4، دار القلم، دمشق، 2009م، ص322.

[5]. الزمخشري: أساس البلاغة، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1966م، مادة دول.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: دُولة، بِالضَّمِّ، وَهُوَ مَا يُتداوَل مِنَ الْمَالِ فَيَكُونُ لِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ.، ويُقَالُ : صَارَ الْفَيْءُ دُولة بَيْنَهُمْ يَتَداوَلونه مَرَّة لِهَذَا وَمَرَّةً لِهَذَا،ودَوَالَيْك مِنْ تَداوَلوا الأَمر بَيْنَهُمْ يأْخذ هَذَا دَولة وَهَذَا دَولة، وَقَوْلُهُمْ دَوالَيْك أَي تَداوُلًا بَعْدَ تَدَاوُلٍ، وَيُقَالُ :تَداوَلْنا العملَ والأَمر بَيْنَنَا بِمَعْنَى تعاوَرْناه فعَمِل هَذَا مَرَّة وَهَذَا مَرَّةً"[1].

وجاء في مقاييس اللغة، في باب الدال والواو وما يثلثهما أن:" دَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ.

نجد أن الفلك الذي تدور حوله هذه اللفظة هو الانتقال والتحول، وهو ما نجده في اللغة التي تتحول من حال إلى آخر، من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، وهذا التحول بعد أس التفاعل والتواصل.

التداولية تيار فلسفي يأخذ مكاسبه من مجموعة من المعارف المتنوعة نحو: علوم اللسان، وعلم النفس، والمنطق، وعلم الاجتماع، وعلم الاتصال، وقد كان للفلسفة التأثير الأكبر فيها، فنظريات التداولية كأفعال الكلام انبثقت من علم الفلسفة التحليلية، ونظرية المحادثة خرجت من لدن فلسفة بول جرايس، وولدت نظرية الملاءمة من رحم علم النفس المعرفي [2]، والتداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء الاستخدام، فهي "علم جيِّد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"[3].

وقد وجد العلماء صعوبة في تحديد تعريف جامع مانع للتداولية، ومرد ذلك إلى أن هذا المصطلح لا يملك حدودا، ولا يخص مجالا بعينه، فجذورها ضاربة في علوم متنوعة، فجاءت تعريفاتها متعددة بناء على المجال الذي يهتم به الباحث نفسه، فالتداولية تنهل من مشارب عدة، فكانت ملتقى للكثير من النظريات المعرفية والفلسفية، ومن هنا تعددت تعريفاتها تعددا باعثه اهتمامات كل باحث.

---

[1]. ابن منظور: لسان العرب، (مادة دول).

[2]. ينظر: عكاشة، محمود: النظرية البراجماتية اللسانية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ط 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013م. ص12.

[3]. صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ص16.

ولعل أول تعريف لها يعود إلى الفيلسوف "تشارلز موريس" "CH Moris "عام 1938م، فقد عدّها جزءا من السيميائية فميّز بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي: علم التركيب الذي يعنى بدراسة العلاقات بين الكلمات، وعلم الدلالة الذي يهتم بالمعنى الحقيقي للملفوظات، وأخيرا التداولية التي تدرس – حسب رأيه– العلاقات بين العلامات ومستخدميها [1].

أما الباحث "ليفنسون" "S.C Levinson"، فيرى أن التداولية تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، واقترح مجموعة من التعاريف حاول أن يحدد من خلالها مفهوم التداولية، منها: التداولية دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق، والتداولية دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمى بأفعال الكلام[2].

ويعرفها "فان ديك (Van Dik)، بلّفها علم يختص بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجه عام[3].

أما الباحث ج.بول (J.Paul) فيتفق مع إيليوار من حيث تعريفه للتداولية، فيعدّها "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل، فهو يسير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا برتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد، وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"[4].

واعتبرها الفيلسوف رودولف كارناب (Rudolf Carnap) قاعدة اللسانيات، ربما لأنه رآها تجيب عن مجموعة من الأسئلة التي عدّها أساسا للسانيات، ومنها: "ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط، حين نتكلم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا، بينما يظهر واضحًا أن في إمكانه ذلك؟ فمن يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم؟ من يتكلم ومع من؟... ما هي استعمالات اللغة[5].

---

[1]. ينظر: روبول، آن، وجاك موشلر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، نر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2003م، ص29.

[2]. ينظر: مقبول، إدريس: الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م، ص264.

[3]. ينظر: دايك، فان: النص والسياق، ص294.

[4]. الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م، ص22.

[5]. ينظر: مقدمة المؤلف في كتاب: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر:سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1987م. ص7.

أما بدايات البراجماتية في الدرس اللساني العربي الحديث فتعود إلى ستينيات القرن العشرين، وقد تعرض هذا المصطلح للتعريب عند ترجمته إلى العربية، فأنتج مسميات تطلق على المصطلح ذاته، من بينها: التداولية، التداولية اللسانية، اللسانية التداولية، علم اللغة التداولي، علم التخاطب، التخاطبية، علم المقاصد، علم الذرائع[1]، المقامية، الفائداتية، النفعية، وغيرها من الترجمات، وأشهرها استخداما التداولية منذ ظهورها في بداية السبعينيات[2].

وقد أسهم الباحثون العرب في البحث عن تعريف وترجمة واضحة للتداولية، ومن بين المقابلات الترجمية للتداولية إلى الثقافة اللغوية العربية، نذكر ترجمة طه عبد الرحمن الواردة في قوله: وقع اختيارنا منذ 1970م على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي " براغماتيقا"؛ لأنه "يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيي: الاستعمال والتفاعل معا"[3]، بالإضافة إلى الجهد السابق نجد جهودا أخرى لا تقل عن سابقتها في دراسة هذا المفهوم[4].

فقد عرف ها عبد ال هادي الشّ هري انطلاقاً من وج هة نظر المرسل أنّ ها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السِياق، بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه[5]، وقد حدها حافظ إسماعيلي علوي بقوله: "إنّ التداوليات هي علم الاستعمال اللغوي، وإنها بحق علم جديد في التواصل"[6].

---

[1]. تعني الوسيلة المفضية إلى الشيء، وتعد الترجمة الأولى لمصطلح البراجماتية في العربية، ثم تلاها ترجمته إلى الفائداتية، ينظر: عكاشة، محمود: النظرية البراجماتية اللسانية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013، ص14-15.

[2]. ينظر: عكاشة، محمود: النظرية البراجماتية اللسانية، ص13-15.

[3]. عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص27.

[4]. ينظر في ذلك دراسات: المتوكل، أحمد: اللسانيات الوظيفية، منشورات عكاظ، الرباط، 1989م، ص30-38.
ومرتاض، عبد الجليل: اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصليين الشفهي والكتابي، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص90-95.

[5]. ينظر: الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب . مقاربة لغوية تداولية، ط 1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2004م، ص22.

[6]. علوي، حافظ اسماعيلي: التداوليات: علم استعمال اللغة، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث،2011م، ص3.

ويعرفها عمر بلخير قائلا: "والتداولية هي عبارة عن مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ومتفقة في أن اللغة هي نشاط يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد"[1].

ومستصفى القول أن التداولية مذهب تجاوز دراسة اللغة إلى دراسة استعمال اللغة، وعلاقة العلامات بمستعمليها تأثرا وتأثيرا، فأساس التداولية اللغة، مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب الاستعمالي لها من المتكلم والمتلقي ودراسة العلاقة بينهما في السياق التواصلي.

وقد رأى بعض الباحثين اللغويين أن التداولية تقوم بدراسة أربعة جوانب، تمحورت حول الإشارة Deixis، والافتراض المسبق Presupposition، والاستلزام الحواري Conversational Implicature، وأفعال الكلام Speech Acts[2]، وسيقف الباحث عندها بالشرح والتفصيل، مع التركيز على اثنين منهما وصولا إلى فصل التطبيق، وهما: أفعال الكلام، والاستلزام الحواري؛ ووقع اختيار الباحث عليهما من بين الأبعاد التداولية، لما للاستلزام الحواري الارتباط الوثيق بأفعال الكلام.

أ ـ الإشاريات

ويطلق عليه الإشارة أو الإشارية، وتعد من الضرورات التي تمنع وقوع اللَّبس في كلام الناس، ومن عناصرها الضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، و طرفا الزمان والمكان، وقد اختلف الباحثون في تقسيم الإشاريات، فمنهم من عدها خمسا، وآخرون أنها ثلاث، وعند بعضهم اقتصرت على أربع، والأغلب اتفق على خماسيتها، وهي: إشاريات شخصية، وزمانية، ومكانية، واجتماعية، وخطابية (نصية)[3].

ب ـ الافتراض المسبق

وهو ما يفترضه المتكلم عن السامع مسبقا، فيكون المقصد الدلالي معلوما عند المتلقي، ومن الأمثلة التي توضح هذا الجانب: "قال رجل لآخر: أغلق النافذة، فالمفترض سلفا أن النافذة مفتوحة،

---

[1]. بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، مشورات الاختلاف،2003م، ص8..

[2]. ينظر: أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة، ص15.

[3]. السابق: ص17.

وأن هناك مبررا يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الآمر، وهذا الافتراض المسبق يكون موصولا بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب"[1].

وهو ما نقله الباحثان ج . براون وج . يول عن ستالناكر: "إن عمليات الافتراض هي ما يعتبره المتكلم أرضية مشتركة مسلما بها لدى كل أطراف المحادثة"[2].

ج ـ الاستلزام الحواري

الاستلزام الحواري هو أحد أبرز المفاهيم في الدرس التداولي الغربي الحديث، وهو " لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شي يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه، ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية "[3]، يعني أن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي، أي أن هناك جملا تدل على معنيين اثنين في الوقت نفسه: أحدهما حرفي، والآخر مستلزم[4].

تعود أولى بداياته إلى أعمال بول غرايس (P.Grice) الذي لاحظ " أن المتخاطبين عندما يتحاورون يتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة للتواصل" [5]، واذا ما وقع خلل ما في هذه القواعد تعذر التواصل، وقد لاحظ أن الناس في أثناء حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وربما يقصدون عكس ما يقولون ، وقدر ركز غرايس اهتمامه على ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما تحدده العبارات الحرفية المتلفظ بها من معان ثابتة تعارف عليها المتحاورون، وأما ما يقصد فهو المعاني غير المباشرة التي تتغير فيها المقاصد تبعا لتغير المقام والظروف،؛ ويريد المتكلم أن يبلغها للسامع، لذلك نراه يشدد على نيات القائل وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا[6].

---

[1]. أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة: ص26.

[2]. ج.ب براون و ج.يول: تحليل الخطاب، ص51.

[3]. إسماعيل، صلاح: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2005م، ص78.

[4]. ينظر: صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ص33.

[5]. بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الح بلشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2007م، ص84.

[6]. ينظر: روبول، آن وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ص53.

لاحظ وجود نوعين من الاستلزام أولهما الاستلزام العرفي وهي الألفاظ التي تستلزم دلالات معينة وثابتة لا تختلف باختلاف السياقات، وثانيهما الاستلزام الحواري، وهو متغير بتغير السياقات التي يرد فيها.

وقد استنتج غرايس المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها الاستلزام الحواري إضافة إلى المحتوى القضوي و هي:

1. المحتوى القضوي: و هو مجموع معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

2. القوة الإنجازية الحرفية: و هي القوة المدركَة مقاليا، والتي يدل على ها بصيغة الفعل، كما هو الأمر بالنسبة إلى "الأمر"، أو الأداة، كما هي الحال بالنسبة إلى "الن هي"، أو بالتنغيم، أو النبر، أو بفعل إنجازي آخر كـ: سأل، التمس، وعد...إلخ.

3. القوة الإنجازية المستلزمة: و هي القوة الإنجازية المدركة مقامياً، و هي التي تستلزم ها الجملة في سياقات مقامية معينة، في غياب القرائن البنيوية الدالة عليها [1]. ولذلك "اقترح غرايس تنميطا تأويليا للعبارات اللغوية يقوم على تقسيم الحمولة الدلالية إلى معانٍ صريحة وأخرى ضمنية"[2].

واهتدى جرايس إلى مبدأ يجيب عن أسئلته التي دارت في ذهنه حول الاستلزام الحواري، وهي: "كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعنى شيئا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر"[3]، فأنشأ مبدأ التعاون (Co-Operative Principe)، هذا المبدأ الحواري المستند إلى قواعد أساسية، "يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولا إلى حوار مثمر"[4]، وهو مبدأ عام، يقضي بتعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من حوارهم، وصيغته: ليكن

---

[1]. ينظر: إدراوي، العياشي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، دار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر،2011م، ص97.

[2]. صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ص34.

[3]. أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

[4]. أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص34.

اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه[1]، صنفت من حيث الكم والكيف والعلاقة والأسلوب كالآتي[2]:

-مبدأ الكم **QUANTITY**: تقديم معلومات مكثفة لا تحتوي على حشو الكلام، ولا فيها معلومات أكثر مما يقتضيه المقام، إذ تعدّ حدا دلاليا القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة، وتتفرع إلى:

أ . لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

ب . لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب

-مبدأ الكيف **QUALITY**: تتحدث بما تعتقده صحيحا، وتمتلك بشأنه حججا كافية، والقصد منها منع ادعاء الكذب، أو ثبات الباطل، وتتفرع إلى:

أ . لا تقل ما تعلم كذبه

ب . لا تقل ما ليست لك عليه بينة

-مبدأ العلاقة أو المناسبة (RELEVANCE): الحديث بما يمد الصلة بالموضوع الأساس وله علاقة به، فلا يخرج عن صلبه، فتقوم هذه القاعدة على مقولة " ليناسب مقالك مقامك".

-مبدأ الأسلوب أو الطريقة (MANNER): الابتعاد عن ازدواجية المعنى، وتجنب اللَّبس(AMBIGUITY)، والتكلم بإيجاز، ووضوح وتسلسل الأفكار أثناء عرضها بشكل منظم بعيدا عن الغموض(OBSCURITY) في التعبير.

يرى غرايس أن هذه القواعد هي بمثابة الضوابط لكل عملية تخاطبية، وعلى الطرفين أو أحد الطرفين المتخاطبين الالتزام بها في أثناء الحوار، وإذا ما أخل أحد الطرفين بقاعدة من هذه القواعد " وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام،

---

[1]. ينظر: عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص103.

[2]. ينظر: ج.ب.براون وج.يول: تحليل الخطاب، ص40، ومحمود نحلة: آفاق جديدة، 34.

وهذا المعنى المصروف إليه يحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر، ومن القرائن، وذلك بالذات ما عبر عنه بالاستلزام التخاطبي"[1].

د ـ أفعال الكلام

يعد هذا المفهوم الأساس الجوهري الذي انبثقت منه التداولية، وهو كل ملفوظ له نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالأمر والنهي والوعد والوعيد...، وردود أفعال تأثيرية تخص المتلقي[2].

ونظرية الأفعال الكلامية تهدف إلى دراسة " مقاصد المتكلم ونواياه، فالمقصد يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الخطاب، ومن ثمة يصبح توفر القصد والنية مطلبا أساسيا، وشرطا من شروط نجاح الفعل اللغوي، الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى"[3].

يرتبط هذا المفهوم بجهود الفيلسوف اللغوي (أوستين) رائد نظرية الأفعال الكلامية ؛ إذ تأسست على يديه من خلال كتابه (How to do things with words)، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، وتبلّرَتْ بجهود تلميذه (سيرل) الذي قام بوضع الأسس المنهجية لهذه النظرية.

تباينت تعريفات العلماء لهذه النظرية؛ لاختلاف المرجعيات التي انطلقوا منها، فقد عرفه دومينيك مانغونو بقوله "والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد، ...) غايته تغيير حال المخاطبين، ان المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ"[4].

وعرفه أوستين بأنه الفعل المؤسس من قبل متكلّم يتمتع بصلاحيا ت معينة[5]، ثم تابع ذلك قائلا: "ونحن نتصور الفعل على أنه حدث مادي فيزيائي نقوم بإنجازه، ونعتبره متمايزا عن ضروب

---

[1]. عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 104.

[2]. صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، ص40.

[3]. بوقرة، نعمان: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة والأدب، عدد17، 2006م، ص170.

[4]. مانغونو، دومينيك: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م، ص7.

[5]. ينظر: صحراوي، مسعود: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي (رسالة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2004م، ص83..

التواضع والتواطؤ في كيفية الوقوع، ومتمايزا أيضا عن آثاره ونتائجه "[1]، فجوهر الفعل الكلامي هو الإنجاز.

وفي هذا الصدد يقول فان ديك: "وما نعنيه بقولنا إننا نفعل شيئا ما متى صغنا عبارة معينة، هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي، كأن نعد وعدا ما، ونطلب، وننصح، وغير ذلك مما شاع وذاع أن يطلق عليه أفعال الكلام"[2].

تعتبر هذه النظرية أول مفهوم أسس للفكر اللساني التداولي على يد جون أوستين John Austin فقد اعتبرت محاضراته بمثابة اللبنة الأولى التي أغنت هذا الحقل المعرفي وأدّت إلى تطويره.

واللغة عند أوستين لا تقتصر على وصف وقائع العالم الخارجي، والحكم عليه إما بالصدق أو الكذب، بل تتعدى ذلك إلى كونها أداة لبناء العالم والتأثير فيه، وبعبارة أخرى فإن وظيفة اللغة "ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، وإنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية"[3].

وقد وضع أوستن شرطين للأفعال الأدائية الموفقة لتحقق نجاحها، أولها الملاءمة ، وتتحقق حينما تؤدي وظيفتها بطريقة صحيحة، فإن أخفقت في أدائها للفعل يطلق عليها اسم "المخالفات" ، وهي تضم قواعد إن كسرت تجلت المخالفة، وظهر الأداء بصورة غير ملائمة[4]، وهي:

- الإجراء العرفي: يجب أن يكون مقبولا، ويتلفظ به بكلمات محددة من أشخاص معينين في ظروف معينة، محدثا أثرا عرفيا معينا كالزواج أو الطلاق.

- ملاءمة الأشخاص: أن يكون المشارك في الفعل الإجرائي مناسبا للقيام به، وملائما لتنفيذه.

- طريقة الإجراء: يجب أن ينفذ الإجراء من المشاركين بطريقة صحيحة.

---

[1]. أوستين: نظرية أفعال الكلام-كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص138

[2]. دايك، فان: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص263.

[3]. بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص155.

[4]. ينظر: عبد الحق، صلاح: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1، دار التنوير، بيروت، لبنان، 1993م، ص142.

– صفة الكمال: القيام بالفعل الإنجازي من المشاركين بشكل تام دون نقصان[1].

وثانيها القياسية، وثمّ شروط لتحققها، وهي:

– أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره ومشاعره ونياته.

– أن يلتزم بما يلزم نفسه فيه؛ فلا ينقض العهد، وينجز الأفعال التي تحتوي عليها الألفاظ، فمثلا قولي لصديقتي: أهلا وسهلا ومرحبا بك، وبعد ذلك تصدر مني تصرفات أمامها تكشف عن عدم ترحيب بها وقبول[2].

وبحسب نظرية أوستين فإن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تؤلف فعلا كلاميا، وتؤدى في آن واحد، وهي[3]:

1ـ فعل القول أو الفعل اللفظي (Locutionary act) هو النطق ببعض الألفاظ والكلمات ، أو إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة على نحو ما بمعجم معين ومرتبطة به ومتماشية معه، وخاضعة لنظامه.

2ـ الفعل المتضمن في القول (illocutionary act)، وهو الفعل الغرضي أو الإنجازي وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي، وهذا القسم من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، هو ما أطلق عليه أوستين بالقوة الإنجازية.

3ـ الفعل الناتج عن القول (Perlocutionary act)، أو الفعل التأثيري، ويتمثل في إحداث تأثيرات ونتائج في المخاطبين، قد يكون جسديا أو فكريا أو قوليا أو شعوريا، كالخوف أو الدهشة.

ومن الخصائص التي وضعها أوستين للفعل الكلامي:

---

[1]. : ينظر: عبد الحق، صلاح: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص142.

[2]. السابق: ص151.

[3]. ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الاشياء بالكلمات، ص116.

أ ـ القصدية

وهي أساس الفعل الكلامي باعتبار أنه لا يكون ناجحا إلا إذا حقق المقصد المراد منه، و"إذا لم يتحقق شرط القصد في الكلام فإن نتيجته الفِعلِية تصبح غير حقيقية، ولا يمكن أن تسمى حينئذ بفعل للكلام"[1].

ب ـ المواضعة والتعاقد

ترتبط هذه الخصيصة بأفراد البيئة اللغوية الاجتماعية المعينة؛ "فالمتكلّم ينظّم ما هو جاهز داخل قدرته التواصلية انسجاما مع نظام العلاقات الاجتماعية، بما يخوله هذا النظام من حريات، ويفرضه من قيود وإرغامات، وعليه إن أي إنتاج أو تحقيق ناجح للفعل يجب أن يعتمد على مجموع التعاقدات الاجتماعية، ولعل فكرة التعاقد هذه تقتضي أن يكون للأفراد المنتمين لنفس جماعة الفعل الاجتماعي قابلية للتفاهم حول العروض اللغوية الممكنة لهذا الفعل"[2].

ج ـ الحالية

فالفعل الكلامي فعل سياقي اجتماعي، ولن يتحقق ذلك إلا بالانسجام بين المتكلّم والإنتاج اللغوي من جهة، والمتكلّم والسياق من جهة ثانية، والمتكلّم والمخاطب من جهة ثالثة. فمن السهل استخدام الجملة الواحدة للإخبار أو التعجب أو الاستفهام مما يتطلّب من المستعمل له مراعاة الأحوال التي يستعمل فيها.

استندت نظرية الفعل الكلامي عند "جون أوستين على التمييز بين نوعين من الملفوظات:

أ . الثابتة التقريرية التي تمثل حالات الأشياء، وهي قابلة لأن تكون حقيقية أو خاطئة.

ب . الملفوظات الإنجازية، وترتبط بشروط تحقيقها، التي تحملها حال النطق بها[3].

طور تلميذه (سيرل) هذه النظرية، واستطاع بناءها من جديد، فقسم الفعل الكلامي إلى أربعة أقسام هي: الفعل النطقي، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، ثم تناول مجالات خاصة بالفعل الكلامي الإنجازي [4]، يمكننا من خلالها معرفة المجال الذي ينتمي له الفعل،

---

[1]. ناصر، عمارة: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط1، الجزائر منشورات الاختلاف، 2009م، ص71.

[2]. إسماعيلي علوي، عبد السلام: التلفظ والإنجاز، 2011م، brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post

[3]. ينظر: بوجادي، خليفة: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط 1، بيت الحكمة، الجزائر،2009م، ص53..

[4]. لمزيد بسط القول في تلكم الأبعاد شرحا تفصيليا وأمثلة توضيحية، ينظر: الصراف، علي محمود: في البراجماتية، ص56-60.

وملاحظة أبعاده المحيطة به، فيكون سيرل بهذا التصنيف قد خصص أنواع الأفعال الإنجازية إلى تخصيص أكثر دقة يوضح من خلاله المجال الذي ينتمي له الفعل الكلامي الإنجازي، وقد صنفها إلى تصنيفات خمسة: الإخباريات، والإعلانيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والتوجيهيات، وتقوم هذه التصنيفات على مقومات، وهي: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة [1] بين القول والعالم، وشرط الإخلاص [2]، وقوة الغرض الإنجازي، والعنصر المهم في إظهار كل ما سبق ألا وهو السياق، لأن الأفعال الإنجازية غير المباشرة تعتمد اعتمادًا أساسيّا على السياق، "لذلك فإن الأدائيات غير الصريحة تعتمد اعتمادا أساسيا على السياق ؛ إذ به تكون إنجازية أو لا تكون، وينطبق هذا على الصريح والأولي [3]، مع التقرير بأن إدراك الأدائيات الصريحة أيسر؛ لأنها تعلن عن نفسها في كل سياق تقال فيه" [4].

---

[1]. إذا كان اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم يكون في الإخباريات، بحيث يكون القول مطابقا للوقائع الموجودة في العالم الخارجي، أما اذا كان اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات فيكون في التوجيهيات والإلتزاميات، أما في التعبيريات فلا اتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، أما الإعلانيات فاتجاه المطابقة فيها قد يكون من الكلمات إلى العالم، أو من العالم إلى الكلمات، ينظر: أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49.

[2]. شرط الإخلاص في الإخباريات يتمثل في النقل الأمين للواقعة، والتعبير الصادق عنها، أما شرط الإخلاص في التوجيهيات فيتمثل في الرغبة الصادق، وهو في الالتزاميات القصد، وشرط الإخلاص في في التعبيريات هو الصدق، أما الإعلانيات فلا تحتاج إلى شرط إخلاص، ينظر: أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

[3]. هذه التجزئة تعود لأوستن، أطلقها حينما صنف الأفعال الكلامية إلى صنفين: الصيغة الأصلية (ومن مسمياتها الأولية أو الابتدائية)، ويقابها الصيغة الصريحة؛ ونمثل عليهما بقولنا " سأتواجد عندك "، و"أعدك أني سأتواجد عندك"، فالعبارة الأولى ابتدائية أولية لأن الإنشاء فيها يحتمل التأويل، فليس معروفا عندنا ما المقصد من عبارتها، وإن كان وعدا بالتواجد أم لا، وهلم جرا من التأويلات، أما العبارة الثانية فالصيغة الإنشائية فيها صريحة بلفظها "أعدك"، ويضعف فيها الاحتمالات والتأويلات، والغاية من هذا التصنيف التمييز بين الفعل الإنجازي وغيره؛ وأعني بقولي" وغيره " كأن أوجه سؤالا لزميلتي: متى تبدأ حفلة رانيا؟ وأكون لست مدعوة إليها، وتجيب: تبدأ الساعة الواحدة، وسأكون هناك تمام الرابعة عصرا، فجوابها لا يعني لي شيئا، لأنه لن يفيدني متى تكون هناك، فانا لست من المدعوات والمتواجدات فيها، والسياق دل على ذاك. وقد يسأل سائل أيهما يفضل أوستن من الصنفين في أداء الفعل الإنجازي؟ والإجابة: أنه فضل الصريحة على الأصلية لوضوحها للمتلقي وتعبيرها بشكل مباشر عن الفعل الإنجازي فيها، وضعف التأويل فيها. وقد قدم نقدا لتصنيفه يوحي بعدم رضائه وقَبوله وقناعته في اكتمال الصورة عنده لهذا التصنيف، ومن بين الانتقادات التي قدمها أنه يصعب أحيانا معرفة نوع الجملة لأي صنف تنتمي، فالظروف الاجتماعية تحتكم السياق والعرف الاجتماعي، وكذلك عناصر الخطاب والمحيط بها، ولغة الجسد، وظروف الزمان والمكان وصيغة الخطاب وغيرها توجب الرجوع إليها للاقتراب من صحة أخذنا القرار في نوعية الصنف الذي ينتمي له الفعل الإنجازي. ينظر: أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص 86-90، وأحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة، ص 67، ولمزيد بسط القول ينظر: إسماعيل عبد الحق، صلاح: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص162-167

[4]. أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة، ص67

والأصناف التي صنفها سيرل هي:

أ- الإخباريات أو التقريريات : غرضها الإنجازي هو جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع للأشياء، وهي ملفوظات تحتمل الصدق والكذب.

ب- التوجيهات أو الطلبيات: وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم حمل المخاطب على أداء فعل ما، وتضم الاستفهام والامر والرجاء والاستعطاف والتشجيع والدعوة والإذن والنصح والتحدي، وكثيرا من أفعال القرارات عند أوستن.

ج- الالتزاميات أو الوعديات: وغرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل كالوعد والوعيد والوصية.

د- التعبيرات أو الإفصاحيات: والغرض الإنجازي يعبر المتكلم فيها عن الموقف النفسي كالشكر والاعتذار والمواساة.

هـ- الإعلانيات أو الإيقاعيات : ويهدف الغرض الإنجازي فيها إلى إحداث تغيير في الواقع، كالحكم وصيغ العقود[1].

طور سيرل شروط الملاءمة عند أوستن، وجعلها أربعة شروط هي :

أ- شرط المحتوى القضوي: وهو المعنى الأصلي للقضية.

ب- الشرط التمهيدي: ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل.

ج- شرط الإخلاص: ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل.

د- الشرط الأساسي: ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع.

[1]. يتظر: أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

أما الإسهام الآخر لـ (جون سيرل) فقد تمثّل في تحديده للشروط التي بمقتضاها يكلل عمل متضمّن في القول بالنجاح، فيميز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل، وقاعدة المحتوى القضوي يقتضي الوعد من القائل أن يسند إلى نفسه إنجاز عمل في المستقبل والقواعد الأولية المتعلقة باعتقادات تمثّل خلفية من تلفَظ بأمر أن ينجز العمل الذي أمر به. والقاعدة الجوهرية التي تحدّد نوع التعهد الذي قدمه أحد المتخاطبين، وقواعد المقصد والمواضعة التي تحدّد مقاصد المتكلم والكيفية التي ينفذ بها هذه المقاصد[1].

المبحث الخامس: الحجاج

الحجاج لغة

الحُجّة هي البرهان، أو ما دُوفِعَ بِهِ الخَصْمُ، وتُجْمَعُ الحُجّةُ على حُجَجٍ وَحُجَاجٍ، وٌقالَ حاجّهُ مُحاجّةً وحُجَاجًا : نَازَعَهُ الحُجّةَ، والتحاجُّ هُوَ التخاصُمُ، والرّجُلُ المُحَاجُ هُوَ الرّجلُ الجَدلُ.

الاحتجاج: من احتج بالشيء أي اتخذه حجة، وجاء في لسان العرب:

"الحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ :الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ ، والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ ، حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. وَفِي الْحَدِيثِ: فَحَجَّ آدمُ مُوسَى ، أَي غَلَبَه بالحُجَّة ، واحْتَجَّ بالشيءِ، اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن الْقَصْدَ لَهَا وإِليها ، وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمَسْلَكُ .وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ: إِن يَخْرُجْ وأَنا فِيكُمْ فأَنا حَجِيجُه ، أَي مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بإِظهار الحُجَّة عَلَيْهِ . والحُجَّةُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ ، يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ، فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ: فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي، أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة"[2]، والاحتجاج سماه الزركشي إلزام الخصم بالحجة"[3].

---

[1]. ينظر: موشلار، جاك، وآن روبول: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدي دعفوس ومحمد الشيباني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،،2003م، ص34.

[2]. ابن منظور: لسان العرب، (مادة حجج).

[3]. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، حلب، 1958م، ص468.

ولا تختلف المعاني السابقة عن معان وردت في القاموس المحيط[1]، والقاموس الفقهي[2]، وهي في مجملها لا تتجاوز ثلاثة معان رئيسة: المخاصمة والمنازعة، والغلبة بالحجة، والمجادلة.

الحجاج اصطلاحا:

يجدر قبل الدخول في دراسة الحجاج في مضمار التداولي أن نعرض للدراسات العربية السابقة في هذا المجال.

تعود بدايات هذه الجهود إلى ما قدمه ابن وهب[3]، وما جاء في كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، لمؤلفه أبي الوليد الباجي، أما في الدراسات المعاصرة فقد لقي الحجاج عناية فائقة، فهو : "عبارة عن تصور معنى لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب"[4].

والحجاج عند طه عبد الرحمن: ".. كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[5]، من خلال هذا المفهوم يتضح لنا أن الحجاج عند طه عبد الرحمن ذو طابع تداولي جدلي؛ لأنه يتعلّق بالسياقات في الطبقات المقامية والاجتماعية المتنوعة، إضافة إلى المعارف والخبرات المشتركة بين المتخاطبين بعامة، بهدف الانسجام الحواري التخاطبي الذي يسعى إلى التأثير والإقناع. و لذا فالحجاج عنده أعم من البرهان، "لأنّه قائم على صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[6]. ويرى الشهري في كتابه "استراتيجيات الخطاب" أن الحجاج هو "الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجسد عبرها استراتيجية الاقناع، وبالتالي يكون الحجاج بحثا من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة، وممكنة؛ "[7].

وقد عرفه أبو بكر العزاوي بقوله: "إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيّنة، ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب"[8].

---

[1]. ينظر: الفيروزأبادي: القاموس المحيط، 168/1.

[2]. ينظر: أبو حيب، سعدي: القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص76.

[3]. اهتم بالحجاج، وحاول مقاربته بفهوم البيان من خلال كتابه (البرهان في وجوه البيان)، وتقسيمه البيان إلى أربعة أقسام منها: باب العبارة الأقرب إلى مفهوم الحجاج، فحاول من خلال ذلك تأسيس نظرية معرفية منطقية قائمة على البرهان والقياس والإقناع، قارب فيها من المصطلحات الحجاجية، ينظر: عرابي، محمد: العلاقات الحجاجية في القرآن الكريم، (رسالة دكتوراه)، جامعة وهران، 2014م، ص20.

[4]. سالم، محمد: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، ع2، 2000م، ص61.

[5]. عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان، ص226.

[6]. فتيحة، بن عياد: مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال(رسالة ماجستير)، جامعة وهران، الجزائر، 2015م، ص85.

[7]. الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب، ص456.

[8]. العزاوي، أبو بكر: الحجاج في اللغة، ط1، الدار البيضاء، 2006م، ص24.

لذلك نجد أن الحجاج يعمل على تفريغ الذهن من كل الاقتناعات السابقة، وملئه بما يراد من اقتناعات وإثباتات وحجج جديدة.

إنه الخطاب الذي يسعى إلى تعديل موقف المتلقي أو تثبيته، أو تعديل ذلك السلوك أو تثبيته، بالتأثير فيه بالخطاب أو بالكلام، سواء كان ذلك الكلام يغترف من مَعين العقل أو من مَعين العواطف والانفعالات [1]، وهو عند محمد العبد: "طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجات تلك الاستمالة" [2].

وفي البلاغة الجديدة يعد النموذج الحجاجي لبيرلمان وتيتيكاه النموذج الأمثل لهذه النظرية، خاصة بعد صدور كتابهما الشهير (مصنف في الحجاج ـ الخطابة الجديدة)، ويحددان مفهوم الحجاج بقولهما: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم" [3].

وبعد ما قدمناه فالحجاج هو تقديم البراهين والأدلة، وهو كذلك مجموعة من الأفعال القولية التي يدعم ويثبت بها المتكلم قوله ، وهو ما أكده بيرلمان في أن المتكلم في الحجاج يقف موقف الشريك المتعاون من أجل تحقيق غايته، والمتمثلة في استمالة عقول المتلقين لما يعرض عليه، فيجعلها تخضع لما يطرح عليها، وأن يزيد في درجة خضوعها، باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه [4].

وأهم هدف تسعى الأفعال الحجاجية إليه هو التأثير والإقناع، إذ: "يتمثل هدف الحجاج التأثير في الجمهور، والمعيار الأول الذي نقيس به خطابا ما هو نجاعته، بيد أنه ليس معيارا كافيا؛ لأننا لا يمكن أن نهمل نوعية الجمهور الذي يوجه الخطاب إليه، إننا نستطيع التمييز بين خطابات رجل السياسة والمحامي والعامل والمفكر" [5].

لذلك نجد أن كل متكلم يستخدم الأفعال الحجاجية الملائمة حسب ثقافته، ومراعيا ثقافة المستمعين والجمهور .

---

[1]. ينظر: الولي، محمد: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، مج40، عدد 2، 2011م، ص17.

[2]. النص والخطاب والاتصال، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005م، ص188.

[3]. صولة، عبد الله: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص298.

[4]. ينظر: بوجادي، خليفة: في الدراسات التداولية، مع محاولة تأصيله في الدرس اللغوي القديم، ص107.

[5]. الحباشة، صابر: التداولية والحجاج مداخل نصوص، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008م، ص70.

الفصل الثاني

آليات التماسك النصي في خطب العقد الفريد (دراسة تطبيقية نصيّة)

المبحث الأول: وسائل الاتساق النصي

مهاد

كان الباحث قد توقف في مبحث من مباحث الفصل الأول على نحو النص مفهوما ومصطلحا، مجلّيا أظهر معاييره، وما يَمِيزُه عن نحو الجملة، وسيقف الباحث في هذا الفصل على معيارين جليين يرتبطان ارتباطا مباشرا بالنص هما: الاتساق والانسجام.

اشتمل نحو النص على معايير تظهر ترابط النص ليغدو كلا واحدا، وتتضافر جميعا ضمن آليات محددة؛ لتجعله نصا تصدق عليه شرائط النصية، وتفترق هذه المعايير فيما بينها في التجلي، فمنها ما يتجلى أكثر من غيره في النص، ومنها ما يقل الاعتماد عليه، ومن هذه المعايير التي مثلت مرتكزا أساسيا لتحقيق النصية، معيارا التماسك النصي: الاتساق والانسجام، اللذان يتضافران معا لتحقيق التماسك في النص كله[1] •.

يمثل عنصرا الاتساق والانسجام عصب النص، ويعدان أهم معايير النصية، ويمكن اعتبارهما العمود الفقري لأي نص مهما اختلف نوعه•.

---

[1]. ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ط 1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، 93/1.

• يرى بعضهم أنْ لا حاجة لتحقق المعايير السبعة في النص الواحد، لكن اجتماع الاتساق والانسجام في النص يحقق للنص اتساق أجزائه تركيبا وانسجاما ودلالة، ويبعده عن الركاكة، ينظر في ذلك: المنظري، سالم: الترابط النصي في الخطاب السياسي: دراسة في المعاهدات النبوية ط1، بيت الغشام للنشر والترجمة، عمان، 2015م، ص43، ويرى آخرون أن توافر هذه المعايير يوصل النص إلى مرحلة الاكتمال، وتكون صياغة لغوية منجزة بما يقتضيه الإنجاز من تعيين للهدف، والفائدة والإفادة والحلول في السياق المقامي، ينظر: الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب، ص106.

• اختلفت المصطلحات الدالة على هذين المعيارين، فمنهم من أطلق عليها الاتساق والانسجام، ومنهم من يسميها الحبك والسبك، وآخرون يجمعون بينهما تحت مسمى التماسك النصي، أو الترابط النصي، ومرد هذا الاختلاف راجع للترجمة، وتعدد المدارس في الكثير الغالب، ينظر في ذلك: السعيد، حمودي: الانسجام والاتساق النصي، المفهوم والإشكال، مجلة الأثر، أشغال الملتقى الوطني الأول حول: اللسانيات والرواية، 2012م، ص109.

الاتساق

الاتساق لغة

الاتساق من الوَسَق، وهو ضم الشيء إلى الشيء، والطريق يأتسق ويتسق: أي ينتظم، والاتساق هو الانتظام يقول ابن منظور في معجمه: "استوسقَتْ الإبلُ: اجتمعتْ، ووسقَ الإبلَ: طَرَدَها وَجَمَعَها"[1]، وورد في القرآن الكريم قوله تعالى : (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) [2]، أي: جُمع وضُم، (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ)[3] أي: إذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة.[4]

وجاء في المعجم الوسيط: " وسقَت الدابة تَسِقُ وسقًا، ووسوقًا: حملت، وأغلقت على الماء رحمها، فهي واسق، ووسقت النخلة، حملت، ويقال: استوسقت الإبل، واستوسق الأمر: انتظم"[5].

فالملاحظ على هذه المعجمات أنها تُجْمَع في دلالة الاتساق على الجمع، والانتظام، وانضمام الأجزاء، وهي قريبة إلى حد كبير من المعنى الاصطلاحي.

الاتساق اصطلاحا

برز الاتساق واحدا من المصطلحات المحورية التي تندرج في إطار لسانيات النص، وهو منتسب إلى التماسك على المستوى البنائي الشكلي، فهو عند أحدهم ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية، التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب، أو خطاب برمته [6]، ورأى آخرون أنه: "مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحده كنص" [7]، وهو عند محمد الشاوش: "مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة؛ لجعل أجزاء النص متماسكة بعضها ببعض" [8]، يقصد بذلك الروابط الشكلية، أو العناصر النحوية والمعجمية البارزة في اللغة.

---

[1]. ابن منظور: لسان العرب، (مادة وسق).

[2]. الانشقاق: آية 18.

[3]- السابق: آية 19.

[4]. أبو القاسم، الزمخشري: تفسير الكشاف، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2009م، 220/6.

[5]. مصطفى، ابراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، ط1، القاهرة، 1960م، ص1032.

[6]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص5..

[7]. Halliday, M.A.K. and Hasan, R. Cohesion in English. P4

[8]. الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص124.

يهدف الاتساق إلى تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص ونهايته، دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة سواء أكانت صرفية، أم نحوية، أم صوتية، أم معجمية، ويساعد هذا الترابط على تفسير التراكيب داخل النص، فكل جملة لا تفهم إلا من خلال ترابطها بأخواتها من الجمل في النص[1]، لذا كان لزاما على المتلقي أن يكون ذا بصر ثاقب في البحث والاكتشاف لهذه الروابط الخبيئة.

يتكئ الاتساق على أدوات وروابط نحوية ومعجمية، يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي يتحقق بها مظهر الاستمرار اللفظي، " وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي" [2•]، يتعلق الأمر، بنسيج الخطاب الذي لا يمكن تعريفه بكونه التنظيم الصوري للنص، وذلك في الحدود التي يضمن فيها هذا الأخير استمراريته الدلالية. إنّ العلاقات بين الجمل ترصد بت عبيرات، أو تراكيب صنفها هاليداي وحسن في خمس أسر من العلاقات الكبرى، وهي علاقات: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والتماسك المعجمي[3].

يتحقق الاتساق عبر وسائل وآليات تجعل من النص الواحد كلا متكاملا [4]، والرسم الآتي يمثل علاقات الاتساق كما تصورها هاليدي وحسن[5]:

---

[1]. يتظر: عبد اللطيف، محمد حماسة: منهج في التحليل النصي للقصيدة، مجلة فصول، مجلد 15، عدد 2، 1996م، ص126.

[2]. دي بوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء، ص103.

•. الترابط الرصفي: هو الترابط النحوي، أو الترابط السطحي، ويكون من خلال الوسائل النحوية في النص من: ضمائر، وأدوات وغيرها، للمزيد من المعلومات ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص50.

[3]. آن يافو، ماري وجورج سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، تر: محمد الراضي، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013م، ص318.

[4]. ينظر: دي بوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء، ص301.

[5]. Halliday.M.A.K and R. Hassan, cohesion in English.P22

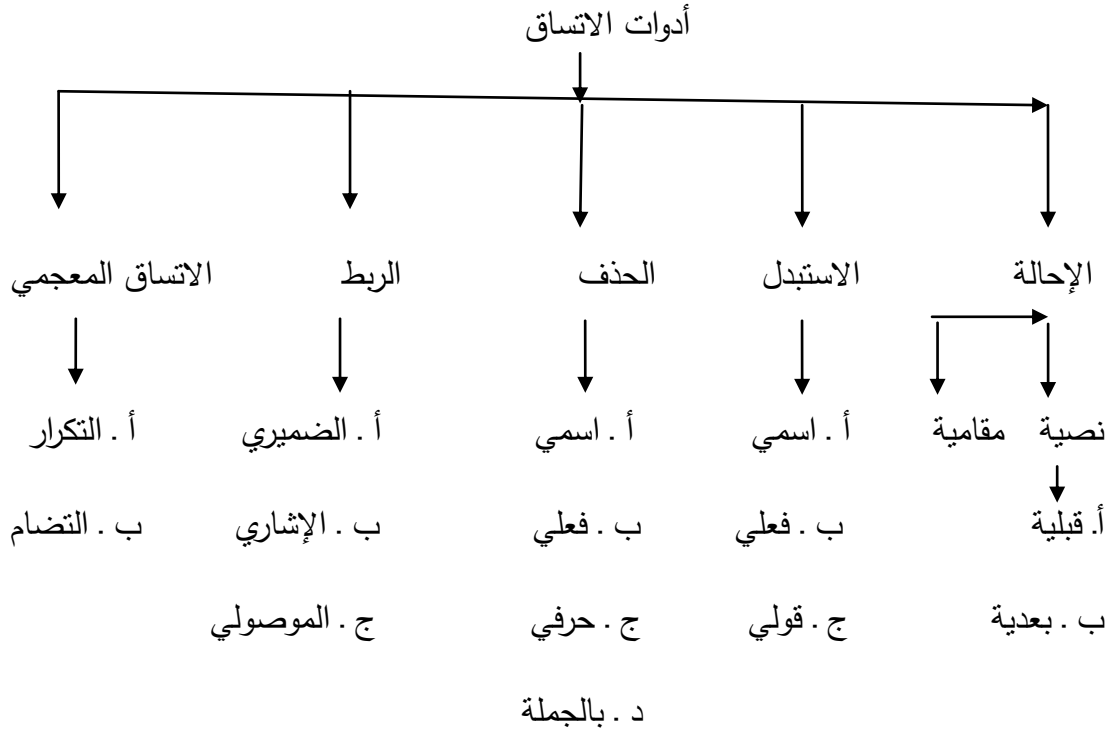

وقد جوبه تقسيم هاليدي ورقية بانتقاد كثيرين [1]، يؤكد بعض الباحثين أهمية العلاقات المعنوية الضمنية في عملية الربط، التي لا تقل أهمية عن الربط بالادوات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاتساق لا يقع على الصعيد الدلالي فحسب، وإنما يقع في مستويات أُخر، كالمستوى النحوي، والمعجمي، والصوتي.

ومن أجل وصف اتساق النص، يسلك المحلل طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة، إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة: كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك وهلم جرّا. كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص يشكل كلا متآخذًا[2].

[1]. ينظر في ذلك انتقاد بروان ويول اللذين رأيا أن موجب الربط بالأدوات لا يكفي للتماسك النص، وأن البحث عن العلاقات المعنوية الضمنية ينبغي أن يكون هو الأصل. ينظر :تحليل الخطاب، ص 229، وهو ما نادى به أيضا دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، ص 299، وأعتقد أن هذا المذهب سليم، فوجود الأدوات في جملة ما لا يعني الترابط، فقد تشتمل جملة ما على أداة ربط ولكنها تبقى مفككة متنافرة، على نحو قولنا: عانى الفلسطينيون من الاحتلال، ودخلت التكنولوجيا كل بيت في الوطن، فرغم وجود الواو إلا أنه لا رابط بين الجملتين.

[2]. ينظر: خطابي،محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص5.

وبناء على ما سبق، فالاتساق هو مظهر مميز للنص عن اللانص؛ لأن المتكلم اللغوي يعرف النص إذا توفر على وحدة كلية، وترابطت أجزا ؤه واتسقت وَحَداته، وتوفرت فيه مظاهر الوَحْدة والترابط. أما اللانص، فهو الذي يتسم بتفكك أواصره، وتهلهل روابطه البنيوية، وتمزق نسيجه النصي[1]، هذا قول، أما القول الآخر، فهو قول دي بوجراند الذي لا يهمل دور الاتساق، ولكنه يرى أن الاعتماد عليه وحده في التفريق بين النص واللانص لا يعطي كبير انتباه للارتباط الملحوظ للمعلومات في النص[2]، وهو الرأي الذي اعتمد عليه محمد خطابي أيضا، فرأى أن الاعتماد على العناصر الشكلية قد يضيع الكثير من جوانب الانسجام في النص[3]، ولتوضيح ذلك جملة وتفصيلا سيقوم الباحث في تطبيق هذا على خطبتين مختارتين من كتاب العقد الفريد، وهما: خطبة أبي بكر الصديق، وخطبة عمرو بن سعيد.

الخطبة الأولى: خطبة أبي بكر الصديق

الخطبة نصّا: "حَمِد الله، وأثنى عليه ، وصلى على النبي _ صلى الله عليه وسلم _ ثم قال: إن أشْقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرفع الناس رؤوسَهم؛ فقال: ما لكم يا معشرَ الناس ، إنكم لطَعانون عَجِلون، إن المَلِك زهّده اللّه فيما في يده، ورَغَبّه فيما في يديْ غيره، وانتقصه شطرَ أجله، وأشرب قلبَه الإشفاقَ، فهو يحسد على القليل، ويتسخْط الكثير، ويسأم الرخاءَ، وتنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمِل العِبْرة، ولا يسكُن إلى الثقة، فهو كالدرهم القسِيّ والسّراب الخادع، جَذْل الظاهر حزين الباطن، فإذا وَجَبَتْ نفسُه، ونَضَب عمرُه، وضَحَا ظِلُّه، حاسَبَه اللّه ، فأشدّ حِسابَه ، وأقل عفَوه ألا إنّ الفقراء هم المرحومون، وخير الملوك من آمن باللّه، وحَكَم بكتاب اللّه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوّة، ومَفْرِق مَحَجّة، وسَتَرَوْن بَعْدي مُلْكًا عضوضًا، وآفةً شَعَاعًا ودمًا مُفَاحًا ، فإن كانت للباطل نَزْوَة، ولأهل الحق جَوْلة؛ يعفو لها الأثَر، وتموت السُّنن ، فالزَمُوا المساجد، واستشِيروا القرآن، والزموا الجماعة، وليكن الإبرامُ بعد التشاوُر، والصفقة بعد طُول التناظُر، أي بلادكم خُرْسَةً فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها"[4].

---

[1]. حمداوي، جميل: محاضرات في لسانيات النص، ط1، الألوكة، 2015م، ص212.

[2]. ينظر: دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، ص299.

[3]. ينظر: خطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص225.

[4]. الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 150/4.

الخطبة تحليلا

وسائل الاتساق في خطبة أبي بكر الصديق

أ ـ الاتساق النحوي

1 ـ الإحالة

تعد من أهم العناصر التي تحقق الاتساق، ويتكئ عليها محلل النص في تحليله، ويراها جون لاينز" أنها العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها" [1]، ويذهب خطابي إلى القول : " إن الإحالة علاقة دلالية، و هي لا تخضع لقيود نحوية ، إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[2].

ويرى الباحثان هاليدي ورقية حسن أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتشتمل كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة[3].

يقول دي بوجراند عنها: "إنها العلاقة الرابطة بين العبارات وما تشير إليه من مواقف في العالم الخارجي"[4]، تأتي الإحالة للربط بين أجزاء النص، من خلال عناصر تتولى هذه المهمة، منها الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة وغيرها.

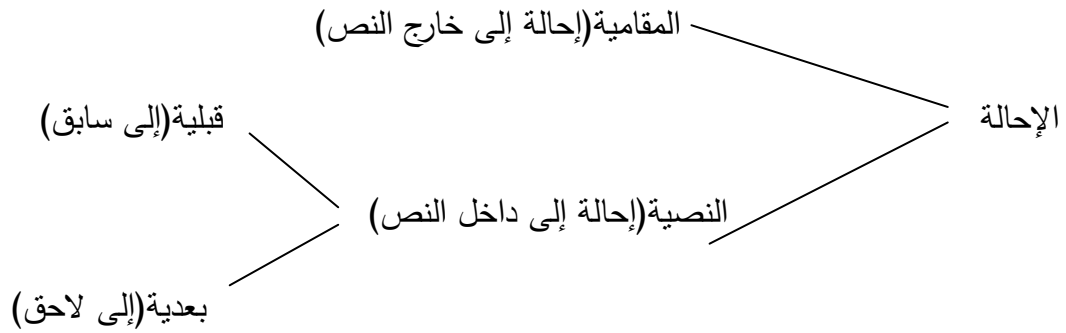

[1]. ج. ب براون، ج. يول: تحليل الخطاب، ص36.

[2]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص17.

[3]. السابق: ص16.

[4]. دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص172.

الإحالة المقامية

يقول الأزهر الزناد في تعريفه للإحالة المقامية: "هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم "[1]، فالإشارة هنا تكون إلى خارج الخطاب أو النص

فلما ارتبطت هذه الإحالة بما هو خارج النص كان لزاما على المتلقي معرفة المواقف التي تحيط بالنص، ومعرفة الأحداث وسياق الحال.

الإحالة النصية

وهي الإحالة إلى ما هو داخل النص، أو اللغة، وهي عند هاليدي ورقية حسن معيار مهم، فهي تقوم بدور فاعل في اتساق النص[2]، وتقسم إلى:

1- إحالة قبلية: وهي استعمال كلمة، أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى، أو عبارة أخرى سابقة في النص، أو المحادثة[3].

2- إحالة بعدية: وهي استعمال كلمة، أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى، أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص، أو المحادثة[4].

والحقيقة أن الحديث عن الإحالة من وجهة نظر لسانية حديث يطول، ويتفرع إذا ما أطلق العنان للقلم، لذا سيشرع الباحث في الجانب التطبيقي في دراسة الإحالة، ومواضعها، ودلالتها، وجمالياتها، ودورها في تماسك النص واتساقه ، ومن الإحالات الواردة في نص خطبة أبي بكر:

---

[1]. الزناد، الأزهر: نسيج النص، ص119.

[2]. Halliday.M.A.K and R. Hassan, cohesion in English p37.

[3]. الفقي، صبحي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص38.

[4]. السابق: ص40..

أ – الإحالة الضميرية

تبقى الضمائر دون معنى في ذاتها ، وتحمل المعنى حال دخولها في سياق خطابي ، فتشير إلى مراد ما، ويصبح لها إحالة / مرجع تحيل إليه ، وتعول عليه، وهذا المرجع قد يعود لمبهم واحد أو لمبهمين أو أكثر يحملان الإحالة نفسها والمعنى واحد، وقد يكون عكس ذلك، والدلالة تختلف معنى ومبنى[1]، على نحو قوله:

فهو يحسد على القليل ـ فهو كالدرهم القسرِيّ ـ هم المرحومون

فعند النظر في الضمائر من زاوية الاتساق، نجد أن أبا بكر استخدم الضمائر المنفصلة التي تشير إلى ما يتحدث عنه، فهي ضمائر تحيل إلى الملوك، وتحيل إلى الفقراء.

تظهر التعددية في الموضوعات في هذه الخطبة، وإن كانت في أغلبها تشير إلى الملوك وولاة الأمر، وواجباتهم ومسؤولياتهم، فجاءت الضمائر المتصلة في أغلبها تحيل إلى الملوك، وقد مثلت جلّها الإحالة القبلية، على نحو:

زهد(ه) ـ يد(ه) ـ رَغَب(ه) ـ غير(ه) ـ انتقص(ه) ـ أجل(ه) ـ أشرب(هو) ـ قلب(ه) ـ ف(هو) ـ يحسد(هو) ـ يتسخْط (هو)ـ يسأم(هو) ـ تنقطع(هو) ـ عن(ه) ـ يستعمِل(هو) ـ يسكُن(هو) ـ ف(هو) ـ نفسُ(ه) ـ نَضَب(هو) ـ عمرُ(ه) ـ ضَحَا(هو) ـ ظِلٌّ))(ه) ـ حاسَبَ(ه) ـ حِسابَه ـ عفَو(ه) ـ آمن(هو) ـ وحَكَم(هو).

يذكر العنصر الإشاري صراحة في بداية الكلام، ثم تأتي الضمائر بعد ذلك معبرة عنه ، وحاملة لمعانيه، فنجد أن ضمائر الغائب المنفصلة والمتصلة والمستترة، تحيل جميعها إلى الملوك، فهيمنت هذه الضمائر على النص، وأدت العمل ذاته الذي ستؤديه لفظة الملك، ولا غرابة في ذلك، لا من حيث المضمون ولا من حيث الخطيب، فالخطبة في مضمونها تتحدث عن الملوك، فسيستأثرون بمعظم الخطبة، وهم محور الكلام الذي يرغب أبو بكر بإيصاله لمستمعيه، والتنبيه والتحذير من بعض ممارسات الملوك، أما من حيث الخطيب فبكل تأكيد سيكون تركيز أبي بكر على هذه اللفظة

[1] ينظر: حمو الحاج، ذهبية: التداولية واستراتيجية التواصل، ص155–156.

أكثر من غيرها؛ لما عرف عنه من الزهد، ومخافة الله، والحرص على الحكم والعدل فيما يقول، وفيما يصنع، فكان دائم التحذير لولاته ومساعديه من هذه الممارسات التي ذكرت في الخطبة.

ويعود ضمير الغائب للظهور مرة ثانية ، ولكن ليحيل هذه المرة إلى الله بقوله: سيفتح(هو) ـ فتح(هو)، فعبرت عنه الضمائر وجعلته حاضرا حضورا معنويا، دون أن يعاد ذكره بلفظه، ما أحدث تماسكا وتلاحما بين أجزاء الكلام وأصبح بذلك نسيجا محكم البناء، لأن الله _ عز وجل _ موجود في كل جملة من جمل الفقرة[1].

فضمائر الغائب احتلت صدارة الترتيب، وأسرهمت بشكل فعال في اتساق الخطبة، وذلك بالنظر لما أحالت إليه، وحافظت على استمراره، ومنعت تكراره، فترابط الجمل المكونة لنص الخطبة من طريق الضمائر واضح، فنجد أغلب ضمائر الفقرة الواحدة يعود على مرجع واحد.

ولما كان المتلقي جزءا أصيلا من الخطاب، غدا لزاما على الخطيب أن يجعل له مساحة من الخطبة، فجاءت ضمائر المخاطب لتحيل إلى الناس/ المتلقي:

ما ل (كم) ـ وإن(كم) ـ سَتَر (و) ن ـ فالزَمُ (وا) ـ واستشِير (وا) ـ والزم (وا) ـ بلاد (كم) ـ علي(كم).

فضمير المخاطب ساعد الخطيب على تجنب التكرار الذي قد يؤدي إلى ملل السامع، وأ لغى الحاجة إلى ذكر الاسم الصريح ما دامت معرفته عند السامع مفهومة ضمنا، و يقدم إفادة للسامع من خلال استحضارها في الذهن متى شاء ذلك ، لذا فقد أفضت الإحالة هنا إلى سهمة جليّة في الإيجاز، والاقتصاد في سرد الألفاظ، وهو ما أطلق عليه دي بو جراند الكفاءة النصية، وهي: " صياغة أكبر كمية من المعلومات، بإنفاق أقل قدر ممكن من الوسائل"[2].

ولا يخفى كذلك استخدام الخطيب لضمير المتكلم؛ ليحيل إلى الخليفة نفسه/ الخطيب، على الرغم من قلة استخدامه فقد ورد مرة واحدة في قوله: بَعْد(ي)، ولعلي أرجح أن كون الخطبة ترمي إلى تنبيه الآخرين وتحذيرهم، هو الذي أذِن بتكاثر ضمائر الغائب والمخاطب وجعلها أكثر وضوحا وورودا في الخطبة من ضمائر المتكلم.

---

[1]. جاهمي، آمنة: آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء (رسالة ماجستير)، جامعة باجي مختار، عنابة، 2011م، ص52.

[2]. دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص2.

ويخلص الباحث إلى أن المراوحة باستخدام الضمائر لم يفكك أجزاء المقطوعة ، بل جاءت على هيئة سلسلة متتابعة دون إشعار المستمع بالتنقل بين الضمائر التي أحالت لتكوين مقطوعة مترابطة الأجزاء، كل جزء فيها يمثل حبات عقد منتظمة أخذت مكانها المناسب حتى تجمعت في مكانها اللائق، وأسلوبها الرائق.

ب – الإحالة الموصولية

هي وسيلة من الوسائل التي تُسْلِم إلى حفظ تماسك النص، وتسهم في ترابطه؛ لأنها " المفتقرة إلى صلة وعائد"[1]، وتوصف بأنها مبهمة الدلالة غامضة المعنى [2]، ولا يفهم مدلولها إلا بالعودة إلى ما تحيل إليه؛ ليفسر غموضها ويزيل إبهامها[3]، وقد وضعها تمام حسان تحت قسم الضمير، وجعل له دلالة ضمير الغيبة، فالذي مثل (هو)، ورأى أنه من وسائل الربط التي غفل عنها النحاة القدماء[4]،إلا أننا لا نسلم بهذا الحكم، فاستقراء مفهومه عند القدماء يجعله ذا دلالة إحالية مزدوجة، فهو محيل ومحال إليه في آن [5]، والموصولات حلقة وصل بين جملتين، تعوض بدلا من ألفاظ سابقة ؛ لتمنع تكرارها، وقد وردت الأسماء الموصولة في مواضع محدودة على نحو قوله: إن المَلِك زهده اللّه في(ما) في يده، ورَغَبه في(ما) في يديْ غيره، وقوله أيضا: وخير الملوك (من) آمن باللّه، فالإحالة بالاسم الموصول (ما) إحالة بعدية داخلية، وهي لغير العاقل، أما الإحالة بالاسم الوصول (من) فهي إحالة قبلية داخلية، استعمل للعاقل ليحيل إلى الملوك، وكلتا الإحالتين ذات مدى قريب؛ اذ لا يتعدى الفاصل بين اللفظ المحيل، واللفظ أو العنصر المحال عليه جملة واحدة؛ ما جعل للإحالة يدا ظاهرة في التماسك والترابط بين اللفظين، وفي الربط بين الصلة والموصول.

---

[1]. ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 1994م، ص101.

[2]. ينظر: حسن، عباس: النحو الوافي، ط13، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، 340/1.

[3]. ينظر: عفيفي، أحمد: الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005م، ص27.

[4]. حسان تمام: مقالات في اللغة والأدب، ط1، عالم الكتب، 2006م، 195/1.

[5]. للمزيد في ذلك ينظر: الأنباري، عبد الرحمن: أسرار العربية، تح: محمد شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 190، وينظر: الجوزية، ابن القيم: بدائع الفوائد، تح: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، 117/1.

2 الوصل

يعد الوصل من المباحث النحوية والبلاغة، وهو مبحث دقيق مأخذه، ظاهر أثره، يبين عن تعلق الكلم بعضه ببعض، جملا وكلمات؛ ليفضي إلى تعيين المعاني المستقاة من هذا المفهوم العريض، وأصعبها مسلكا لدقتها التي تمتاز بها، وأكد أرسطو أهمية الوصل لقوة تماسك بنائه ووحدة معناه وجمال حسنه بين أجزاء الجمل[1]، وهو عطف بعض الجمل على بعضها بالواو أو إحدى أخواتها ، وعكسه الفصل، ويحدث بين المفردات أو بين الجمل، وفائدته حدوث الشراكة بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم [2]، ولا يقع العطف الموقع الحسن إلا إذ وجد بين الجملتين مثلا جهة جامعة كاتحاد في المسند إليه أو في المسند، أو تماثل واشتراك فيهما وغير ذلك[3]، ومما يزيده حسنا اتحاد الجملتين في الكيفية كأن يكون نوعهما اسميا أو فعليا أو شرطيا وهلم جرا[4].

والوصل عند هاليدي ورقية هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم [5]، ويشير الوصل كذلك إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات، أو بين الأشياء التي في هذه المساحات[6]، ويختلف الوصل عن غيره من وسائل الاتساق النصي بأنه لا يتضمن إشارة موجهة تشير إلى السابق واللاحق؛ بل يحتاج إلى أدوات رابطة تربط تابعه بمتبوعه [7]، وقد برزت أدوات الوصل في الخطبة بشكل جلي، ومن أبرز الأدوات التي شكلت عاملا فاعلا في ترابط وتماسك النص:

---

[1]. ينظر: حسن، هادي نور: الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة، مجلة كلية الآداب، جامعة المثنى، العراق، ع 101، مج2، 2012م، ص214.

[2]. ينظر: الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2003م، ص118، وانظر: المراغي، أحمد: علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1993م، ص163.

[3]. ينظر: المراغي، أحمد: علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، ص165.

[4]. السابق: ص167.

[5]. –Halliday, M.A.K. and Hasan, R. Cohesion in English London.p227.

[6]. دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص346.

[7]. المنظري، سالم: الترابط النصي في الخطاب السياسي، ص95.

• **الواو:**

الواو تفيد الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، وجلّ ما اشتملت عليه الخطبة من معطوفات بالواو جاء في عطف جملة على جملة، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

زهده ، ورَغَبه ، وانتقصه ، وأشرب قلبَه الإشفاقَ/ يحسد ، ويتسخّط ، ويسأم ، وتنقطع / لا يستعمِل العِبْرة، ولا يسكُن إلى الثقة/ وَجَبَتْ نفسُه، ونَضَب عمرُه، وضَحَا ظِلُّه/ أشدّ حِسابَه، وأقل عفَوه/ خير الملوك من آمن باللّه، وحَكَم بكتاب اللّه / إن كانت للباطل نَزْوَة، ولأهل الحق جَوْلة / يعفو لها الأثَر، وتموت السُّنن/ الزَمُوا المساجد، واستشِيروا القرآن، والزموا الجماعة.

فقد فعلت الواو فعلها على أكمل وجه، وأدّى العطف معناه باستخدام أبي بكر حرف العطف الواو خاصة، والملاحظ أولا أن الجمل العاطفة هنا تشارك بعضها في الحكم الإعرابي، وبالوصل تحقق تمام المعنى المراد ، فالجملة العاطفة على الجمل الأخرى أدّى وجودها لوجود الجمل الأخريات متماسكات في المعنى والتركيب، متعلقة كل واحدة بالأخرى، فبين الجمل التي أمامنا علاقة ارتباط بحرف العطف الواو الذي أفاد الجمع والمشاركة.

فاختيار الواو في هذه المواضع جميعها كان صائبا، "فمن حق الجمل إذا ترادفت، ووقع بعضها في إثر بعض أن تربط بالواو لتكون متسقة منتظمة" [1]، فجاءت الواو لترتبط الأفعال دلاليا، وتكون متتابعة زمنيا، فنجد الفعلين "يعفو، تموت"، متوالي ين في زمن المضارع، وال فعلان " الزموا، استشيروا"، مرتبطان بدلالة الأمر، وهذا يضفي على الجمل الاستمرارية، والتسلسل والاتساق.

وجاء العطف في مواضع أخر متنوعا، فعطفت الواو مفردا على مفرد، وجملة على جملة، وذلك في نحو قوله: " إنكم اليوم على خلافة نبوّة، ومَفْرِق مَحَجّة، وسَتَرَوْن بَعْدي مُلْكًا عضوضًا، وآفةً شَعَاعًا، ودمًا مُفَاحًا. وليكن الإبرامُ بعد التشاور، والصفقة بعد طُول التناظُر "، فعطفت اسما على اسم في(خلافة ومفرق) و(الإبرام والصفقة)، و(سترون ملكا، وسترون آفة، وسترون دما)؛ فأوجب العطف بالواو؛ لتوالي الأفعال التي سيرونها، فجاءت على شكل مشاهد تخيلها أبو بكر، فتجلى دور الواو في الربط في أنها حققت الاتساع والاقتصاد في آن واحد، الاتساع في الجمع بين هذه

[1]. المراغي، أحمد: علوم البلاغة، ص167.

المتعاطفات، وضمّها لتشكيل النص واستمراريته[1]، والاقتصاد يتمثل في " اختصار العامل واشتراك الثاني في تأثير العامل الأول، فإذا قلت: قام زيد وعمرو فأصله: قام زيد وقام عمرو"[2].

وأفادت الواو في بعض الجمل إضافة إلى معنى الوصل فيما بينها دلالة الترتيب، وهو ما نلحظه في قوله: "خير الملوك من آمن باللّه، وحَكَم بكتاب اللّه "، فالواو هنا أفادت الترتيب، فالإيمان أولا يليه الحكم بكتاب الله.

ويبقى حقا على الباحث الإشارة إلى أن المتعاطفين في سياقهما ارتبطا ارتباطا متلاحما مع الموضوع العام للخطبة، فمراقبة الإنسان لأعماله في أجله المكتوب عليه يعتمد على التزامه لحدود الله والعمل بها، "وبذلك تصبح جزيئات المتعاطفات المجتمعة في النص غير مساوية في صورتها العامة لجزئياتها متفرقة خارج النص؛ ذلك أن الأزهار –مجتمعة في باقتها–ليست هي نفسها متناثرة خارجها"[3]، فتشابك العطف مع الموضوع العام للخطبة منحه قوة ربط لن تكون هي نفسها لو أن العلاقة بين المتعاطفات والعنوان لم تكن واحدة متواصلة، وتكشف هذه الأنساق العطفية عن علاقة وصل واتصال، تبرز الصورة للملوك إن هم خالفوا أمر الله وحكموا وفق أهوائهم.

- **الفاء:**

تأتي الفاء حرفا عاطفا يفيد الترتيب والتعقيب، فجاءت في معرض كلام أبي بكر عن تلك الأعمال التي تودي بالملوك الى التهلكة والعذاب حين قال: (حاسَبَه اللّه فأشدّ حِسابَه)، فربطت الفاء بين جملتين لإفادة الترتيب والمباشرة، فضلا عن اشتمال الجملة الثانية على الضمير الذي يحيل إلى لفظ الجلالة.

ولم يقف الأمر على الوصل الإضافي باستخدام الأدوات العاطفة، فقد شكل تناوب أدوات الوصل داخل النص أهمية كبيرة في إيجاد الترابط النصي، على نحو ما نجد في أداة الوصل الإضافي والسببي (فـإذا) في قوله: (فـإذا وَجَبَتْ نفسُه ونَضَب عمرُه ، وضَحَا ظِلُّه، حاسَبَه ...)، إذ ربط

---

[1]. عزام، منى: السبك النصي في معاهدة الرسول مع نصارى نجران، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد 116، 2008م، ص455.

[2]. ابن يعيش، بن علي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ت)، 75/3.

[3]. الشرقاوي، عفت: بلاغة العطف في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص155.

الوصل الإضافي بالفاء الجملة مع سابقتها، وربط الوصل السببي من خلال أداته (إذا) بين السبب (وجبت) والنتيجة (حاسبه)، فضلا عن إبراز عنصر التشويق في معرفة حواب الشرط المترتب على أفعال الملوك.

وعملت إعادة الوصل الإضافي والسببي مرة ثانية في اجتماعهما مع العطف بعدهما، نحو: (فإن كانت للباطل نَزْوَة، ولأهل الحق جَوْلة؛ يعفو لها الأثَر، وتموت السُّنن فالزَمُوا المساجد ...) على قوة التماسك، وأبرزت تتابع أحداث المشهد فيما لو وقعت الفتن، فربطت الفاء الجملة التالية بالجملة السابقة، وعملت الأداة (إن)، على الربط بين السبب(كانت)، والنتيجة (الزموا)، ومثّل الشرط ترابطا ذا امتداد متماسك طويل، في أسلوب مكوّن من ثلاثة أركان: الأداة، وجملة فعل الشرط، وجملة جواب الشرط، فهذه الأدوات جعلت بين جملتين تلازما لم يفهم قبل دخولها[1].

3 –الحذف

يظهر الحذف في اللغة العربية بصورة واضحة شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، فالعربية تميل إلى الإيجاز واختصار الكلام، فيكون الحذف في بعض المواضع أفصح وأجدر من الذكر، " إذ ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة" [2]، ويكون الحذف حين يشعر المخاطِب أن المتلقي عالم بما حذف من كلام ويستطيع تأويله بوجود قرينة دالة على المحذوف[3].

يعرف الزركشي الحذف فيقول: "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"[4]، ويقول عبد القاهر الجرجاني في الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك ترى به ترك الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة"[5].

---

[1]. ينظر: عليان، سليمان: التماسك النصي في اللغتين، العربية والانجليزية دراسة تقابلية في"الربط النحوي"، رسالة دكتوراه جامعة اليرموك، 2002م، ص104.

[2]. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: محمد وفايز الداية، ط1، دار الفكر، القاهرة، 2008م، ص104.

[3]. ينظر: سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، 24/1.

[4]. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 102/3،

[5]. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص100.

ويرى دي بوجراند أن الحذف هو "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع، أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وأطلق عليه الاكتفاء بالمبنى العدمي"[1].

وحدّده هاليداي ورقية حسن بأنه علاقة تحدث داخل النص، وعادة تكون قبلية، ولا يحل محل المحذوف عنصر آخر كالاستبدال، ويبقى فراغه موجودا ، ففي الجملة المحذوفة نجد " فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة السابقة لها، أو النص السابق لها، ولا بد لهذا الفراغ من دليل في النص يدل عليه"[2].

ومما يجدر الوقوف عنده أن تشابها ما بين الحذف والاستبدال، إلا أنه في الأول لا يحل شيء محل المحذوف، أما في الثاني فلا بد من وجود أثر يستعين به المتلقي.

تبرز وظيفة حرف العطف في كشف العبارات والألفاظ المحذوفة، وفي تسريع الأحداث من خلال الاقتصاد والحذف، وبرز ذلك بصورة أكبر في حذف الجمل، ومن النماذج على هذه الظاهرة في خطبة أبي بكر قوله: "إن المَلِك زهده اللّه فيما في يده، ورَغَبه فيما في يديْ غيره، وانتقصه شطرَ أجله، وأشرب قلبَه الإشفاقَ ".

فإذا ما رجعنا البصر في هذه الجمل وجدنا الرابط بينها (إن واسمها)، اللذ ين حضرا في الجملة الأولى ثم غابا في الباقيات، فدل عليه المذكور الأول، فالأصل في الكلام: إن المَلِك زهده اللّه فيما في يده، و(إن المَلِك) رَغَبه فيما في يديْ غيره، و (إن المَلِك) انتقصه شطرَ أجله، و (إن المَلِك) أشرب قلبَه الإشفاقَ، فالمذكور الأول دلّ على المحذوفات، وهذا أسلم إلى نوع من الترابط والتماسك بين الجمل، ولم يشكل ذلك عبئا على القارئ في ملء المحذوفات المناسبة.

ومن النماذج الأخرى التي تصور هذه الظاهرة الشائعة في الخطبة:

وخير الملوك من آمن باللّه، وحَكَم بكتاب اللّه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

[1]. دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص340.

[2]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص21-22.

وإنكم اليوم على خلافة نبوّة، ومَفْرِق مَحَجّة.

فإن كانت للباطل نَزْوَة، ولأهل الحق جَوْلة.

وليكن الإبرامُ بعد التشاور، والصفقة بعد طُول التناظُر.

وستَرَوْن بَعْدي مُلْكًا عضوضًا، وآفةً شَعَاعًا ودمًا مُفَاحًا.

يعفو لها الأثر، وتموت السنن.

والسبب وجود حرف العطف الواو الدالّ على الجمع والمشاركة مع الجملة السابقة التي دلت على محذوفها، فكثر في النص حمل الصيغ على تقدير العامل، وظهر الاشتراك في الموقع الإعرابي، ما أغنى عن إعادة اللفظة مرة ثانية، فالأصل في العبارات السابقة: وخير الملوك من آمن باللّه، و(خير الملوك من) حَكَم بكتاب اللّه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وإنكم اليوم على خلافة نبوّة، و(إنكم اليوم) على مَفْرِق مَحَجّة.

فإن كانت للباطل نَزْوَة، و(إن كانت) لأهل الحق جَوْلة.

وليكن الإبرامُ (عندكم) بعد التشاور، و(لتكن) الصفقة(عندكم) بعد طُول التناظُر.

وستَرَوْن بَعْدي مُلْكًا عضوضًا، و(سترون بعدي) آفةً شَعَاعًا، و(سترون بعدي) دمًا مُفَاحًا.

يعفو لها الأثر، وتموت(لها) السنن.

فالحذف راجع في معظم الجمل السابقة إلى استخدام أسلوب العطف، فبسبب اشتراك المتعاطفين في المعنى والحكم، ولاتحاد السياق الداخلي للتراكيب، ولوجود القرائن الدالة على الحذف؛ تم الاستغناء عن تلك المحذوفات؛ فحافظ النص على علاقاته الاتساقية، وكان واضحا دالا بعيدا عن اللبس المفضي إلى تعدد المعاني، أو الغموض المفضي إلى عدم وضوح المعنى وضبابيته.

ولم يقف الحذف على حذف الجملة، فالمتلقي للنص يلمح الحذف الاسمي، على نحو قوله: (فهو يحسد على القليل، ويتسخط الكثير، ويسأم الرخاءَ، وتنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمِل العِبْرة ، ولا يسكُن إلى الثقة).

فالضمير (هو) ورد في أول الكلام، ثم غاب عنه في ما بقي، إلا أنه حافظ على تماسكه واتساقه، فالجمل كلها تشترك في المسند إليه ، وهو الملك الذي تمت الإحالة إليه بواسطة (هو)، وبإمكان القارئ إدراكها وتحصيلها من سياق الكلام ؛ إذ إن أصل الكلام: فهو يحسد على القليل، و (هو) يتسخْط الكثير، و(هو) يسأم الرخاءَ، و(هو) تنقطع عنه لذة البهاء، (هو) لا يستعمِل العِبْرة، و(هو) لا يسكُن إلى الثقة.

وبرز بعض الحذف في الخطبة من خلال الحالة التي ظهر عليها المتلقون، وذلك نحو قوله: (فرفع الناس رؤوسَهم)، فللحالة التي كان عليها الناس وهم يستمعون إلى أبي بكر، كان حقيقا بالعبارة الواصفة أن تكون: فرفع الناس رؤوسَهم (متفاجئين، مندهشين).

4 -الاستبدال

يعد من العناصر الاتساقية التي تمنح النص ترابطا وتماسكا، وتزيده قوة ومتانة، وتضفي عليه مسحة من الإبداع والجمال، وفي هذه المادة يقول صاحب مختار الصحاح: " ب. د. ل، " الْبَدِيلُ الْبَدَلُ وَبَدَلُ الشَّيْءِ: غَيْرُهُ، يُقَالُ: بَدَلٌ وَبِدْلٌ: كَشَبَهٍ وَشِبْهٍ وَمَثَلٍ وَمِثْلٍ، وَأَبْدَلَ الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ، وَبَدَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْخَوْفِ أَمْنًا، وَ تَبْدِيلُ الشَّيْءِ أَيْضًا تَغْيِيرُهُ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ بِبَدَلِهِ، وَاسْتَبْدَلَ الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ، وَتَبَدَّلَهُ بِهِ إِذَا أَخَذَهُ مَكَانَهُ، وَالْمُبَادَلَةُ التَّبَادُلُ"[1].

ومن خلال الاطلاع على هذا المصطلح في بعض المعجمات يظهر أنه لا يخرج في معناه عما جاء به أبو بكر الرازي، وكانت جميعها تدور حول معنى التغيير والتعويض، وهذا المعنى ليس ببعيد عن تعريفات اللسانيين له، ومنهم من رأى أنه عملية تحدث داخل النص ، وعليه يكون استبدالا نصيا، حيث يحلّ عنصر مكان عنصر آخر بعلاقة اتساق ت قع في المستوى النحوي

[1]. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح،مادة بدل.

والمستوى المعجمي، وأكثر حالاته التي يأتي عليها تكون قبلية بين عنصر سابق وآخر لاحق يسميان المستبدِل والمستبدَل[1].

إنّ المتأمل لما ذكر سابقا في تعريف الاستبدال يجده ذا وظيفة لغوية تغني عن التكرار وذكر الضمير، فيؤدي دوره بشكل جوهري يدل على مدى رحابة اللغة ، واتساع مفرداتها الحالّة محل الأخرى، وصفوة القول هو آلية من آليات التماسك النصي التي تحدث على المستوى النحوي والمعجمي في هيئة كلمات اسمية أو فعلية أو على شكل أقوال تظهر عليها العلاقة بين عنصر متأخر وآخر متقدم[2]، "ويدل على غزارة اللفظ ، ويغني عن تكرار معنى بلفظه، ويغني عن الإشارة إليه أو تكراره"[3].

لذا فإن الاستبدال في جوهره أو في أساسه "علاقة ترابطية بين مكونين؛ مكون بعدي يرتبط ارتباطا وظيفيا وجماليا بمكون قبلي ، وكلاهما يضمن استمرار الآخر، وعلى هذا النحو فهما عنصران يحققان معا مفهوم اتساق النص؛ إذ لا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر"[4].

ومن نماذج ذلك قول الخطيب: دما مفاحا بدلا من دما مسفوحا، فاستبدال كلمة مفاح لم يغير في المعنى شيئا، ومن النماذج الاسمية الأخرى الواردة في الخطبة، قول أبي بكر: (وليكن الإبرامُ بعد التشاوُر، والصفقة بعد طُول التناظُر)، فجاءت لفظة الصفقة بدلا من الاسم الإبرام، وكلاهما من حقل دلالي واحد.

ب ـ الاتساق المعجمي

مظهر من مظاهر اتساق النص، يربط بين جملة وأخرى دون الاعتماد على الوصل أو الإحالة، وإنما عبر العلاقات المعجمية الحاصلة.

---

[1]. ينظر: خطابي، محمد: لسانيات النص، ص19.

[2]. ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص، ص122-124.

[3]. عكاشة، محمود: تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، ط 1، مكتبة الرشد، القاهرة، 2014م، ص339.

[4]. حوحو، صالح: الاتساق النصي في المعلقات(رسالة دكتوراه)، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2015م، ص52.

1 – التكرار

يقول ابن منظور في مادة كرر، الكَرُّ: الرُّجُوعُ، يُقَالُ : كَرَّه وكَرَّ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، والكَرّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وكُروراً وتَكْراراً عَطَفَ، وكَرَّ عَنْهُ : رَجَعَ، وكَرّ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ، وَرَجُلٌ كَرَّار ومِكَرّ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ، وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره، أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى، والكَرّةُ :المَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الكَرَّات، وَيُقَالُ :كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إذا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ، وكَرْكَرْتُه عَنْ كَذَا كَرْكَرةً إذا رَدَدْته، والكَرّ: الرُّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرارُ[1].

والكرّ الرجوع على الشيء، وكرّ بعدما فرّ، وكررت عليه الحديث كرّا، والكرّ الحبل الغليظ، والكركرة صوت يردده الانسان في جوفه، وضم ظلفتي الرجل وجمع بينهما[2].

وفي مختار الصحاح يتحدث عن التكرار لغة ما نصه:"الْكَرُّ الرُّجُوعُ وَبَابُهُ رَدَّ ، يُقَالُ : كَرَّهُ وَكَرَّ بِنَفْسِهِ يَتَعَدَّى وَيَلْزَمُ ، وَكَرَّرَ الشَّيْءَ تَكْرِيرًا ، وَتَكْرَارًا أَيْضًا بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ وَبِكَسْرِهَا وَهُوَ اسْمٌ"[3]، ومجمل القول: إن معنى التكرار يتلخص في إعادة الشيء و ترديده مرة بعد مرة.

ويعرف ابن الأثير التكرار فيقول: "هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا" [4]، أما الزركشي فيعرفه بأنه الترديد والإعادة[5]، وفي أغراضه بقول ابن عاشور: تقوية المعنى وتقريره في النفس وترسيخه في الذهن[6]، وبه لا يتكرر اللفظ فقط، بل يتكرر المعنى أيضا، ويترجم الحالة النفسية للأديب بحسب ما يقتضيه النص[7].

فمن خلال التعريفات السابقة نجد أن التكرار يعني العودة والرجوع، وهو ما يشير وفق لسانيات النص إلى الإحالة القبلية، ومن معانيه ما يشير أيضا إلى التماسك من خلال معناه الضم والجمع.

---

[1]. ابن منظور: لسان العرب، مادة كرر.

[2]. الزمخشري، أبو القاسم: أساس البلاغة، مادة كرر.

[3]. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مادة كرر.

[4]. ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت،1420هـ.، 147/2.

[5]. الزركشي: البرهان في علوم القران، 9/3.

[6]. محمد الطاهر، بن عاشور: التحرير و التنوير، مؤسسة التاريخ ، بيروت، 2000م ، 91/19.

[7]. جبريل، عبد السلام: الإحالة والتكرار في قصيدة دموع على فقيد، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، جامعة المرقب، عدد 7، 2019م، ص27.

ولقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام بالغ من علماء النص، باعتبار التكرار واحدا من الآليات المحققة للتماسك المعجمي، من حيث إنه عنصر اتساقي مهم يؤدي وظيفة مهمة في بناء النص بناء حسنا ومتينا، فهو عند عفيفي، وسيلة إحالية تكرارية، تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد[1].

وهو عند آخر شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصر مطلق، او اسم عام[2]، وهو جملة الروابِط التي تصل بين العلاقات اللسانية، فقاعدة التكرار في الخطابية تتطلب الاستمرارية في الكلام، ليتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول[3].

وإذا كان الحذف يشكل نقصانا في التركيب، فإن التكرار مقابلا له يشكل زيادة في التركيب، ويؤدي إلى ترسيخ المعنى المعبر عنه[4]، ولا يقف التكرار على الألفاظ فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الجمل والفقرات، وهو ما سيلاحظ في الجانب التطبيقي على هذه الظاهرة.

يأتي التكرار على أنماط متعددة منها[5]:

أ ـ التكرار التام المحض: وهو تكرار اللفظ والمعنى، والمرجع واحد.

ب ـ التكرار الجزئي: وهو ما يكون باستخدامات مختلفة للجذر اللغوي.

ج ـ تكرار المعنى واللفظ مختلف: ويشمل الترادف وشبه الترادف.

د ـ التوازي: تكرار نفس البنية التركيبية مع مثلها بمحتوى مختلف•.

---

[1]. ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص، ص106.

[2]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص237.

[3]. ينظر: بوقرة، نعمان: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط 1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م، ص100.

[4]. ينظر: الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب، ص767.

[5]. ينظر في ذلك: دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، ص 303، محمد خطابي: لسانيات النص، ص 24، ومحمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ص142.

•. وهناك من يقسمها بطريقة أخرى، أ. التكرار المحض (التكرار الكلي)، وهو نوعان:التكرار مع وحدة المرجع، والتكرار مع اختلاف المرجع. ب . التكرار الجزئي. ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص، ص106.

أ –التكرار التام المحض

- **الله**

لقد تردد لفظ الجلالة في الخطبة أكثر من مرة، وفي مواضع مختلفة، ومن أمثلة ذلك قوله:

إن المَلِك زهده اللّه فيما في يده / حاسَبَه اللّه فأشدّ حِسابَه / وخير الملوك من آمن باللّه / وحَكَم بكتاب اللّه / وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم/ فإن الله سيفتح عليكم أقصاها.

فقد نسب لفظ الجلالة في كل مرة إلى أمر مغاير عن آخر، فسبقت الأولى بالزهد، والثانية بالحساب، والثالثة بالإيمان، والرابعة بنسبة الكتاب لله، فيما أعقبت الأخيرة بقدرة الله على هذا الفتح، لذا فتكرار لفظ الجلالة من بداية الخطبة إلى نهايتها أمر لا يحقق الاتساق على مستوى الجملة، أو الفقرة فحسب، بل على مستوى الخطبة بأكملها، ويتأكد ذلك في إسناد الخطيب أمورا إلى الله تعالى، مما يبرز الوظيفة التماسكية للتكرار.

- **الملوك**

لقد كان الغرض البارز من بين أغراض الخطبة تنبيه الخطيب إلى الفتنة التي قد يقع بها الملوك والولاة، والتحذير منها، فلما كان هذا الأمر من موجبات إلقاء الخطبة كان لزاما أن تتردد لفظة الملوك أكثر من مرة، ولكنها جاءت في موضعين متنافرين، ففي الموضع الأول: (إن أشْقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك)، جعل الخطيب الأمر على التعميم، مؤكدا ذلك بأداة التأكيد (إنّ)، لشد انتباه السامعين، وتنبيههم إلى هذا الأمر، إما الموضع الثاني: (وخير الملوك من آمن بالله)، فجاءت العبارة فيه على التخصيص، وكأن الخطيب استثنى ممن ذكرهم في الموضع الأول أولئك الذين يؤمنون بالله، ويحكمون بكتابه.

- **الناس**

تكررت هذه اللفظة ثلاث مرات، اتحدت في مقصديتها في مرتين، فيما اختلفت في الثالثة، ففي قوله: فرفع الناس رؤوسَهم، وقوله: ما لكم يا معشرَ الناس إنكم لطَعانون عَجِلون ، اتحدت هذه

اللفظة في الجهة، والمقصود بها هنا جمهور المستمعين للخطيب، أما عند قوله: إن أشْقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فقد خصت هذه اللفظة بفئة معينة حاول الخطيب تحديدها بفئة الناس الشقية، وهذا التكرار لهذه اللفظة أعطى النص زخما لغويا، ما يؤكد امتلاك أبي بكر لمعجم لغوي واسع مكنه من ممارسة فاعلية الاختيار والانتقاء في إيراد اللفظة الواحدة في حقول متنوعة.

- **الزموا**

تكررت هذه اللفظة في موضعين، كان هدف الخطيب من ورائهما الأمر والحث على اجتناب الفتنة، ففي قوله: الزموا المساجد، والزموا الجماعة، تصوير لحالتي التيه والضياع اللتين قد تطغيان على المشهد فيما لو عم الباطل وانتشر، فجاء التنبيه والأمر على عدم ترك المساجد، وترك رأي الأغلبية، باعتبارهما السبيل إلى النجاة.

ب – التكرار الجزئي

وهو توليد صيغ مختلفة من الجذر اللغوي للكلمة، وتشترك هذه الصيغ بجامع لغوي، وتختلف وظيفتها في النص، ما يعطي النص سبكا تركيبيا، ومن أمثلة ذلك من الخطبة، قوله:

إن المَلِك زهده اللّه فيما في يده، ورَغَبه فيما في يديْ الناس

حاسَبَه اللّه فأشدّ حِسابَه

فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها

فقد تولدت صيغ عدة في العبارات السابقة، فمن مادة (يد) تولدت الكلمات(يده، ويديّ)، ومن مادة (حسب) تولدت الكلمات(حاسب، وحساب)، وتولدت كلمة يفتح من مادة الفعل فتح، وقد أضفى هذا التكرار صفة التجدد على الخطبة، ودل على سعة المخزون اللغوي لدى الخطيب، وأحدث سبكا للنص من خلال الانتقاء الحسن لهذه الالفاظ.

ج – التكرار بالمرادف أو شبه المرادف

هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد[1]، أو هو ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة[2]، وليس المقام بمتسع للحديث عن وجود الترادف أو نفيه في العربية، ولعلّي من القائلين بعدم وجود الترادف التام في العربية، وأميل إلى القول بوجود شبه الترادف والتقارب الدلالي، ومن أمثلة ذلك في الخطبة:

القسي، الخادع

نضب، وضحا

التشاور، التناظر

ففي المثال الأول، ترد كلمة القسي بمعنى الرديء والزائف، وهو المعنى الذي تدل عليه لفظة الخادع، ووردت كلمة نضب في لسان العرب بمعنى ذهب ونفد، وهو المعنى في كلمة ضحا [3]، فمعنى اللفظين يدور في فلك واحد؛ ليؤلف دلالة كلية واحدة تسند الغرض المتصل بالنص وتعضده، كما تتيح له الفرصة في تنويع الوجوه والملامح المختلفة للمعنى [4]، وهو حال اللفظين الآخرين، فمما يدلل على أن كلمتي تشاور وتناظر تكادان تلتقيان على معنى كليّ قولنا: تشاوروا في الأمر، وانظروا في الأمر، فالتشاور لا يكون إلا بعد النظر في الأمر، والنظر في الأمر لا يتاتى إلا بالتشاور.

---

[1]. ينظر: السيوطي، عبد الرحمن: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، 1986م، 512/1.

[2]. العبيدي، رشيد: أبحاث ونصوص في فقه اللغة، ص234.

[3]. نضب: نَضَبَ الشَّيْءُ: سَالَ. وَنَضَبَ الْمَاءُ يَنْضُبُ، بِالضَّمِّ، نُضُوبًا، وَنَضَّبَ إِذَا ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ، وَفِي الْمُحْكَمِ: غَارَ وَبَعُدَ، أَنْشَدَ ثَعْلَبٌ: أَعْدَدْتُ لِلْحَوْضِ إِذَا مَا نَضَبَا بَكْرَةَ شِيزَى وَمُطَاطًا سَلْهَبَا، ومِنْهُ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ _ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_: نَضَبَ عُمْرُهُ، وَضَحَى ظِلُّهُ. أَيْ نَفِدَ عُمْرُهُ وَانْقَضى، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نضب.

[4]. أحمد فرج، حسام: نطرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م، ص110.

د – التوازي

تتساوى فيه الوحدات الدلالية في الطول، وقد جاءت بعض جمل الخطبة عبارة عن مجموعة من البنى المتوازية، مع التشابه في البنية التركيبية النحوية، ومن أمثلة ذلك في الخطبة:

وَجَبَتْ نفسُه، نَضَب عمرُه، ضَحَا ظِلُّه

مُلْكًا عضوضًا، آفةً شَعَاعًا، دمًا مُفَاحًا

فالعبارات السابقة وحدات دلالية متساوية في الصيغة، ولا يزيد بعضها عن الآخر في الطول، مما أعطى لاعاني قوة، وأدخل إلى الآذان موسيقى رائعة ساحرة، ما جعلها معلما مهما في ترابط النص وتناسقه وتماسكه.

2 –التضام

ويطلق عليه المصاحبة المعجمية، والتضام في اللغة الاجتماع والاشتمال، وفي ذلك يقول الرازي: "ض م م، ضَمَّ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ فَانْضَمَّ إِلَيْهِ، وَبَابُهُ رَدَّ وَضَامَّه، وَتَضَامَّ الْقَوْمُ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَاضْطَمَّتْ عَلَيْهِ الضُّلُوعُ أَيِ اشْتَمَلَتْ"[1]، وفيه يقول ابن منظور: ضمم :الضَّمُّ: ضَمُّكَ الشيءَ إِلَى الشَّيْءِ، وَقِيلَ : قَبْضُ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وضَمَّه إِلَيْهِ يَضُمُّه ضَمّاً فانضمَّ وتَضامَّ، تَقُولُ : ضَمَمْتُ هَذَا إِلَى هَذَا، فأَنا ضامٌّ وَهُوَ مَضْموم[2].

هو بذلك قريب من معناه في الاصطلاح اللساني، حيث عرفه اللسانيون بأنه: ما استلزم عنصرين لغويين أو أكثر، استلزاما ضروريا، أو هو الترابط الأفقي الطبيعي بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي [3]، وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة، فالعلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما[4]•، وقد عرفها

---

[1]. الرازي، أبو بكر: مختار الصحاح ، مادة (ضمم).

[2]. ابن منظور: لسان العرب ، (مادة ض م م).

[3]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص25.

[4]. السابق: ص25.

•. يقدم هاليدي ورقية حسن مثالا يوضح التضام ودوره في ترابط النص، وهو (ما لهذا الولد يتلوى طوال الوقت؟ البنات لا تتلوى)، فالولد والبنات ليس بينهما علاقة ترادف، ولا يمكن ان يكون لديهما المحال عليه نفسه، ومع ذلك فإن ورودهما في النص يسهم في وجود الاتساق في النص، ينظر: Halliday,M.A.K. and Hasan, RCohesio in English:p285

فرانك بالمر قريبا من ذلك، فهي " إمكانية تعرف كلمة من خلال قرينتها" [1]، وعرفها أحمد مختار عمر بأنها: " الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة"[2].

قد يتطلب الأمر جهدا مضنيا من القارئ في التعرف إلى هذه الظاهرة، "فإرجاع الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائما أمرا هينا، لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة، معتمدا على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك[3].

وهو معيار قائم على علاقات الوحدات بالمعجم اللغوي الذي تتنزل فيه، ومنه تنطلق نظرية الحقول الدلالية التي تصنف الألفاظ، أو الوحدات إلى حقول دلالية مختلفة بحسب العلاقات القائمة بينها في النص[4].

وتبرز المصاحبة المعجمية من خلال علاقات تربط بين الأزواج، ومن هذه العلاقات على سبيل الذكر علاقة التلازم الذكري، وعلاقة التضاد، وعلاقة التراتب، وعلاقة الجزء بالكل، وغيرها من العلاقات التي سيقف الباحث عندها فيما يأتي بعدًا.

أ -علاقة التلازم الذكري[5]

الدنيا والآخرة

السراب الخادع

سنة نبيه صلى الله عليه وسلم

فلفظ الدنيا غالبا ما يأتي ملازما للفظ الآخرة، حتى يكادا يكونان لفظا واحدا من شدة التلازم، فما إن تذكر الدنيا حتى تذكر الآخرة، وعدم مجيئهما معا قد يكون انحرافا عما اعتدنا عليه، كما اعتاد

---

[1]. بالمر، فرانك: مدخل إلى علم الدلالة، تر: خالد جمعة، ط1، مكتبة العروبة، الكويت، 1997م، ص169.

[2]. مختار عمر، أحمد: علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص74.

[3]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص25.

[4]. ينظر: المنظري، سالم: الترابط النصي في الخطاب السياسي، ص130.

[5]. ورد المصطلح عند البلاغيين بمعنى مراعاة النظير، وهو الجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، فإن ذكر استدعى مصاحبه فيما يجمعه من ألف ومنطق، ينظر جاسم، جاسم: أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ص73-74.

العقل البشري على ربط السراب بالخداع بشكل دائم، فنشأ بين الوحدتين اقتران بطريق التجاور [1]، ووردت المصاحبة المعجمية أيضا، والمتمثلة بعلاقة التلازم بين ذكر محمد، أو النبي والصلاة والتسليم عليه، وقد حققت هذه العلاقة سبكا نصيا، فوجودها أسهم في الربط النصي بين عدد من الجمل بتوالي سلسلة متصلة من المتلازمات[2].

ب -علاقة التضاد

اشتملت الخطبة على بعض العبارات المتضادة التي بدورها أكسبت النص حياة وإشعاعا، وجعلته أكثر تنوعا على مستوى الدلالة، من مثل قوله: "فهو يحسد على القليل، ويتس خَط الكثير، جَذْل الظاهر حزين الباطن ، فإن كانت للباطل نَزْوَة، ولأهل الحق جَوْلة؛ فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها".

فالتضاد بارز بين القليل والكثير، وفي عبارة: "جَذْل الظاهر حزين الباطن "، فالجذل الفرح[3]، وبين الباطل والحق، وبين أقصاها وأدناها، فأسهمت هذه الألفاظ في تماسك النص والربط بين أجزائه، وظلت في محور الخطبة، ولم تحد عنها، فوجود مثل هذه الألفاظ، " يؤدي إلى ربط أجزاء النص بعضها ببعض بعلاقات معينة" [4]، فجاء التضاد في بعض ألفاظه ليصور الحالة المتناقضة التي يعيشها الملوك، ثم يختم النص بقضية كبرى جاءت محصلة لمجموعة من القضايا الصغرى، فالانقسام بين الحق والباطل، وحالة التيه والضياع؛ تلزم الناس بالعودة إلى الدين، والتزام المساجد، والعمل بالمشورة والنصيحة، إلى أن يأذن الله بفتح عظيم من أدنى البلاد إلى أبعدها، فاجتماع قضيتين صغيرتين كوّن قضية كبرى[5].

---

[1]. ينظر: حميدة، مصطفى: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ط 1، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1997م، ص107، فهو يرى أن الوحدات المعجمية تنتظم وفق نظام رأسي أو استبدالي داخل حقول دلالية، وصرفية، ونحوية، مثل حقول: اللون، والقرابة، والحركة، ..، أو وفق نظام أفقي تلاؤمي، ففي العقل علاقات تلاؤمية بين (بعض، وأسنان)، وبين (ينبح، وكلب)، لذلك لا يصح أن نقول الأسد ينبح؛ لأنه لا تلاؤم بين المعنيين.

[2]. ينظر: أحمد فرج، حسام: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط 2، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م، ص116.

[3]. في ذلك يقول لبيد: وعَانٍ فَكَكْنَاهُ بِغَيْرِ سُوَامِهِ فَأَصْبَحَ يَمْشِي فِي الْمَحَلَّةِ جَاذِلَا

أي: فرحا، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 107/11.

[4]. الداودي، زهر: الترابط النصي بين الشعر والنثر، ط1، دار جرير ، عمان الأردن، 2010م، ص37.

[5]. ينظر: أحمد فرج، حسام: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص85.

ج – علاقة الجزء بالكل والكل بالجزء

وهي تجمع بين جزئين ينتميان إلى كلّ واحد، ففي قوله: "إنّ الملك زهده الله فيما في يده"، اليد جزء من الملك "إن الجزء يرسم صورة الكل في الذهن، وإن العلاقة بين الجزء والكل في الحقيقة هي علاقة تجاذب، فذكر الجزء يستدعي ذكر الكل؛ لإن الجزء لا بد له من كل"[1].

د– علاقة التراتب

وهي أن تأتي مجموعة من الألفاظ المتتابعة الواحدة تلو الأخرى في سلسلة تجمعها مع بعضها، أي أن الألفاظ تترتب فيها بحسب ترتيب معين، ولا يجوز التقديم والتأخير فيما بينها، كأن يكون الترتيب بحسب القدم الزمني، أو ترتيبا عدديا، أوغير ذلك[2]، ومن النماذج على ذلك:

"وَجَبَتْ نفسُه، ونَضَب عمرُه، وضَحَا ظِلُّه، حاسَبَه اللّه، فأشدّ حِسابَه".

فهي عبارات متتابعة متتالية، ففي الختام تميل الحياة إلى الاضطراب والخوف خاصة مع اقتراب الأجل، يتلوها نضوب العمر وفناؤه، ويأتي بعدها الحساب، فأراد الخطيب بهذا الترتيب الزمني أن يبرز مراحل فناء الإنسان ووجوب العمل لليوم الآخر.

هـ– علاقة الاندراج في صنف

وهي علاقة معجمية تجمع بين لفظين أو أكثر تربطهما علاقة ما، كأن تكون علاقة قربى، أو وظيفة معينة، أو غير ذلك، ومن ذلك قول الخطيب:

شطر أجله، ونضب عمره، وضحا ظله

فالعبارات السابقة تندرج تحت صنف واحد، الموت والفناء، ولكن من خلال العبارات تظهر عناية الخطيب بألفاظه، أو لنقل عنايته بقوة ألفاظه، فقد كان ينتقي اللفظة انتقاء فائق العناية ، ثم يوظفها توظيفا رائعا في المكان المناسب، فحين نقف على لفظتي(نضب، ضحا)، نجد الخطيب قد

---

[1]. فرج، باقر: السبك والحبك في جزء المجادلة(رسالة ماجستير)، جامعة المثنى، العراق، 2018م، ص118.

[2]. السابق: ص121.

اختارهما من معجم لغوي صعب، ولكنهما وجدتا مكانهما المناسب في الخطبة، مما كان لهما الدور البارز في تحقيق السبك النصي من خلال ما تكونه من علاقات لغوي.

الخطبة الثانية: خطبة عمرو بن سعيد[1]•

الخطبة نصًّا: "أما بعد، معشر أهل مكة، فإنا سكناها حقبة، وخرجنا عنها رغبة، ولذلك كنا إذا رفعت لنا لهوة بعد لهوة أخذنا أسناها، ونزلنا أعلاها؛ ثم شدخ أمر بين أمرين، فقتلنا وقتلنا؛ فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا، حتى شرب الدم دما، وأكل اللحم لحما، وقرع العظم عظما؛ فولي رسول الله _ صلّى الله عليه وسلم _ برسالة الله إياه، واختياره له؛ ثم ولي أبو بكر لسابقته وفضله؛ ثم ولي عمر؛ ثم أجيلت قداح نزعن من شعب حول نبعة، ففاز بحظّها أصلبها وأعتقها، فكنا بعض قداحها؛ ثم شدخ أمر بين أمرين، فقتلنا وقتلنا، فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا حتى شرب الدم دما، وأكل اللحم لحما، وقرع العظم عظما، وعاد الحرام حلالا، وأسكت كل ذي حسن عن ضرب مهنّد، عركا عركا، وعسفا عسفا، وخزا ونهسا، حتى طابوا عن حقنا نفسا، والله ما أعطوه عن هوادة، ولا رضوا فيه بالقضاء؛ أصبحوا يقولون : حقّنا غلبنا عليه، فجزيناه هذا بهذا، وهذا في هذا.

يا أهل مكة، أنفسكم أنفسكم! وسفهاءكم سفهاءكم! فإن معي سوطا نكالا، وسيفا وبالا، وكلّ منصوب على أهله. ثم نزل"[2].

---

[1]. عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي، أبو أمية (3 ـ 70هـ) أمير، من الخطباء البلغاء، كان والي مكة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد، لقب بالأشدق لفصاحته ، ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 78/5.

• يقال إن عمرا قال هذه الخطبة حين استعمله والده سعيد بن العاص وهو وال على المدينة واليا على مكة، فلما قدم لم يلقه قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحرث بن نوفل، فلما لقيه قال له: يا حار، ما الذي منع قومك أن يلقوني كما لقيتني؟ قال: ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتني به؛ والله ما كنيتني، ولا أتممت اسمي، وإنما أنهاك عن التكبّر على أكفائك، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لك. قال: والله ما أسأت الموعظة، ولا أتهمك على النصيحة، وإن الذي رأيت مني لخلق ، ينظر: العقد الفريد: 218/4.

[2]. الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 218/4.

الخطبة تحليلا

وسائل الاتساق في خطبة عمرو بن سعيد

أ ـ الاتساق النحوي

1 -الإحالة

أ - الإحالة النصية

- **الإحالة الضميرية**

تقوم الضمائر بأكثر أدوار الإحالة، "وتكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية؛ فقد يحل ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة، أو عدة جمل"[1].

ويتجلى فضل الإحالة وخطرها في أنها وسيلة اتساقية بارزة تجعل النص لحمة واحدة، وكلا لا يتجزأ، ويتمثل شأنها في التذكير بعنصر آخر من عناصر الجملة، فلا شكّ في أن الضمائر تؤدي دوراً مهما جداً في علاقة الربط، فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، ومن هنا يؤدي إلى تماسك أطراف الجملة[2].

زاوج الخطيب بين استخدامه لأنواع الضمائر المتصلة والمستترة ، فانتقل في خطبته بين ضمائر المتكلم، وضمائر الغائب، وضمائر المخاطب، وقد عمد الخطيب، بين فقرة وأخرى، إلى بؤرة مركزية ورئيسة في النص يرتكز عليها، تحال عليها جميع محاور النص، ويصبح ضمير المتكلم متحكما في النص، وبانيا أساسيا لاتساقه، فيجعل من جماعة المسلمين الأوائل بؤرة ليحيل إليها الضمائر: فإ(نا) سك(نا)ها حقبة، وخرج (نا) عنها رغبة، ولذلك ك (نا) إذا رفعت ل(نا) لهوة بعد لهوة أخذ(نا) أسناها، ونزل (نا) أعلاها؛ ثم شدخ أمر بين أمرين، فقَتل (نا) وقُتل(نا)؛ فو الله ما نزع(نا) ولا نزع ع(نا) حق(نا)، أو ضمير المتكلم المفرد، في قوله: مع(ي) ، فللضمائر قرائن للربط

---

[1]. الفقي، صبحي: علم اللغة النصي، 137/1.

[2]. حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2004م، ص113.

بين الجمل يأخذ بعضها برقاب بعض، تحكم السبك وتقوي العرى على أسس نحوية تسهم في إعادة الضمير على المحيل عليه، فلو لم تكن تلكم الضمائر لما تحقق المعنى المرجو في ذهن الخطيب، ولوقع اللبس في الفهم أحيانا[1]، فتكرار مثل هذه الضمائر عمل على ترابط الجمل بعضها ببعض، وأعطى الكلام قوة للسامع لتركيز انتباهه وعدم تشتته.

ثم نراه ينتقل إلى بؤر أخرى ليحبل لها ضمائر الغائب التي لا تقل كما ونوعا عن سابقتها، كما في قوله:

سكنا(ها) حقبة، وخرجنا عن (ها) رغبة... أخذنا أسنا (ها)، ونزلنا أعلا(ها)؛ ... فولي رسول الله صلّى الله عليه وسلم برسالة الله إيا (ه)، واختيار (ه) ل(ه)؛ ثم ولي أبو بكر لسابقت (ه) وفضل(ه)؛... ففاز بحظّ(ها) أصلب(ها) وأعتق(ها)، فكنا بعض قداح (ها)؛ ... حتى طاب (وا) عن حقنا نفسا، والله ما أعط (و)(ه) عن هوادة، ولا رض (وا) في (ه) بالقضاء؛ أصبح (وا) يقول(و)ن :حقّنا غلبنا علي(ه)، فجزينا(ه)

يلاحظ أن لضمائر الغائب حضورا واسعا في الخطبة، و أسهمت بشكل فعال في اتساق النص، وذلك بالنظر لما أحالت إليه وحافظت على استمراره، ومنعت تكراره، فترابط الجمل المكونة لنص الخطبة عن طريق الضمائر واضح، فنجد أن الضمائر متنوعة متعددة تعود على أكثر من مرجع.

فتنوع ضمائر الغائب من المفرد إلى الجماعة، قوى عرى النص، على الرغم من تمكن الخطيب في التنويع في المحيل عليه، فانتقل من مكة إلى الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ إلى لفظ الجلالة إلى أبي بكر إلى القداح، وغيرها من الضمائر التى أكسبت النص شمولية في الموضوعات، وظلَّ النص محافظا على ترابطه دون إضافة كلام يكون حشوًا لا فائدة ترجى منه.

ويتضح من استخدام الخطيب لضمائر المخاطب أن الجهة الموجه لها الخطاب واضحة معلومة، وهم أهل مكة، فكان لزاما على الخطيب أن يجعل لهم حيزا من هذه الضمائر على نحو قوله: أنفس(كم) أنفس(كم)! وسفهاء(كم) سفهاء(كم)، فالملاحظ على ضمير المخاطب في هذه الجمل أنه

[1]. ينظر: حسان، تمام: الخُلاصة النحوية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص80.

جاء لجمهور المستمعين، وقد ظهرت حدة الخطيب وحزمه من خلال التحذير الذي اشتملت عليه هذه الإحالة. كما يتجلى مبدأ الاقتصاد في الألفاظ السابقة في عدد الضمائر التي تحيل إلى الناس، فهي أربعة ضمائر تحيل إلى لفظ إشاري واحد، وهذه الكثرة تسهم بصورة كبيرة في اتساق النص من خلال عودتها إلى مرجعية واحدة؛ فهي تجعل النص بنية واحدة من أوله إلى آخره.

ولعل آخر ملحظ تحليلي آتي عليه ههنا هو أن ورود هذه الضمائر بهذه النسب المتفاوتة يمثل ملمحا مهما في تحقيق الاتساق، ما جعل الخطبة واقعة بين ثنائية الأنا والآخر، لأن الإمام يتوجه في بعض كلامه إن لم نقل في جلّه مستذكرا، ومذكّرا، ومنبها، ومحذرا.

- **الإحالة الاشارية**

تعد الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق النصي الداخلة في نوع الإحالة، فمنها ما يدل على الزمان (الآن وغدا) ، ومنها للمكان (هنا وهناك)، ومنها للبعد (ذلك وتلك)، ومنها للقرب (هذه وهذا)، فهي تقوم بالربط القبلي والبعدي، فتسهم في اتساق النص[1].

فإنا سكناها حقبة، وخرجنا عنها رغبة، ولذلك كنا إذا رفعت لنا لهوة

وقد تحققت أركان الاشارة[2] من خلال هذه العبارة على النحو الآتي:

المشير: عمرو بن سعيد.

المشار إليه: الإقامة في مكة، والخروج عنها.

المشار له: أهل مكة.

المشار به: ذلك.

---

[1]. ينظر: خطابي، محمد: لسانيات النص، ص19.

[2]. يقصد بأركان الإشارة: المشير: المتكلم، المشار إليه: الشيء في الخارج، المشار له بالمشار إليه: المخاطب، المشار به: عبارة الإشارة، عمل الإشارة: الحاصل معنى وخارجا من الإشارة، ينظر: أبو زنيد، عثمان: نحو النص، دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب(رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية، 2004م، ص99.

عمل الإشارة: أحالت إلى المشار إليه، من أجل لفت الانتباه إلى فترة زمنية سابقة، مذكرا أهل مكة بسنين خلت، فاستخدم اسم الإشارة ذلك في التكثيف؛ لأنه أشار إلى عدد كبير من الأحداث، فأفاد الاختصار والبعد عن التكرار، وكان لهذه الأداة الإشارية فضل جليّ في ربط الأجزاء اللاحقة من النص إلى الأجزاء السابقة منه، فأدت إلى تماسك أجزاء النص بعضها ببعض.

(هذا بهذا وهذا في هذا)

"هذا" الأولى:

المشير: عمرو بن سعيد.

المشار إليه: حقهم(أموالهم).

المشار له: من تخلفوا عن دفع الزكاة.

المشار به: هذا.

عمل الإشارة: أشارت إلى امتناع بعضهم عن دفع زكاة أموالهم

"هذا" الثانية:

المشير: عمرو بن سعيد.

المشار إليه: السيف.

المشار له: من تخلفوا عن دفع الزكاة.

المشار به: هذا.

عمل الإشارة: أشارت إلى جزاء من تخلفوا عن دفع الزكاة، والحزم في ذلك.

ب –الإحالة المقامية:

فمن الإحالات المقامية التي جاءت على لسان الخطيب قوله: "حتى طابوا عن حقنا نفسا، والله ما أعطوه عن هوادة، ولا رضوا فيه بالقضاء؛ أصبحوا يقولون"، فالواو في الكلمات: طابوا، أعطوه، رضوا، أصبحوا، يقولون، ضمائر متصلة تعود على الكفار الذين رفضوا دفع الزكاة، وهذا المحال إليه لم يصرح به الخطيب، ولم يذكره في النص، بل خارج المقام المذكور، فهي في حالة خارجية مقامية، ارتبطت عن طريقه اللغة بالسياق الخارجي، فجاءت مترابطة متوالية، وهو ما أَذِنَ بخلق اتساق على نحو دال وإن لم يكن ما تحيل إليه مذكورا نصا.

2 –الوصل

أدواته "علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل، وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص" [1]، وفيها يقول صلاح فضل : "إن أدوات العطف تعد من أدوات التماسك والانسجام داخل النص ، وبمعنى آخر فهي تعد أدوات ذات وظائف دلالية وبلاغية "[2]، ولا يبتعد سعيد حسن بحيري عن هذا المعنى حين يقول : "الربط النحوي خاصية دلالية للخطاب ..... والعوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص، ما يتمثل في مؤشرات لغوية مثل علامات العطف والوصل"[3]، واللافت للنظر في هذا النص استخدام الخطيب للعديد من الأدوات العطفية الرابطة، فتوسع في استخدامها وتبوأت مكانة كبيرة في الخطبة، ومن هذه الأدوات:

- **الواو**

جاء حضور الواو في هذه الخطبة، أحيانا، على سبيل الجمع غير المقيد، والغرض منه حصول المعنى العام في ذهن القارئ، بغض النظر عن ماهية العلاقة الموج ودة بين المعطوفات [4]، ومن أمثلة ذلك: (شرب، وأكل، وقرع، وعاد، وأسكت)، فالواو هنا لم تكن لغرض الترتيب، ولم تكن هناك

---

[1]. أبو زنيد، عثمان: نحو النص، ص109.

[2]. فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص216.

[3]. بحيري، سعيد: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص111.

[4]. ينظر: جاهمي، آمنة: آليات الانسجام النصي، ص63.

علاقة وطيدة بين المعطوفات ؛ إذ يمكننا التقديم والتأخير دون أن يحدث خلل في المعنى العام، فالخليفة أراد حصولها على هذا النحو في ذهن المتلقي مجتمعة غير مقيدة بترتيب معين[1].

ومما يلحظ أن الواو قد تتعدى مسألة الجمع بين المفردات والجمل من جهة، إلى كونها استراتيجية بنائية من جهة أخرى[2]، فقد جاءت في نص الخطبة مؤسسة لاستراتيجية الإجمال والتفصيل، وهو ما التفت إليه أبو هلال العسكري حين قال: "بأن المجمل ما يتناول جملة أشياء، أو ما ينبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل" [3]، ومنه قول المرسل: " شرب الدم دما، وأكل اللحم لحما، وقرع العظم عظما، وعاد الحرام حلالا، وأسكت كل ذي حسن عن ضرب مهنّد "، فاحتضنت واو العطف سلسلة التفصيلات التالية لما ابتغاه المرسل من وصف الحالة الإجمالية التي وصل إليها المسلمون وقتئذ.

وقد ظهر في النص بعض حالات العطف القائمة على ارتباطات دلالية، فجاءت بعض المعطوفات المرتبطة دلالتها بحقل دلالي واحد، ما جعل بينها اقترانا، وملاءمة في الاستعمال، ومن أمثلة ذلك:

عطف السكن على الخروج – عطف الشرب على الأكل – عطف عركا على عسفا – عطف خزا على نهسا – عطف سوطا على سيف

ووظف الخطيب حرف العطف الواو للربط بين الجمل، والمحافظة على اتساق نصه، فجاءت بفضل الواو مترابطة متماسكة، كما في قوله: سكناها، وخرجنا/ أخذنا، ونزلنا/ قَتلنا، وقُتلنا/ أصلبها، وأعتقها ... فجاءت هذه الجمل معطوفبعضها على بعض، إذ تتوالى بإضافة جمل إلى جملة أخرى، فتنمو وتتكاثف لتشكل نسيجا متضاما[4].

---

[1]. ينظر: السابق: ص63.

[2]. الجراح، عبد المهدي: الأبعاد النصية لواو العطف في متن الأربعين النووية، مجلة المجمع العلمي العربي الهندي، مج 34، عدد1،2، 2014م، ص63.

[3]. العسكري، أبو هلال: الفروق اللغوية، ط3. الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص49.

[4]. ينظر: بن مخلوف، ربعية: الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون(رسالة ماجستير)، جامعة العقيد لخضر باتنة، الجزائر، 2008م، ص105.

• الفاء

يأتي كل حرف من حروف العطف للربط بين الجمل، وتحقيق الاتساق النصي، إضافة إلى معنى خاص يحمل كل حرف من هذه الحروف، فالواو تحمل معنى يختلف عن المعنى الذي تحمله الفاء، والمتلقي يكون على دراية بحسن اختيار مواضع حروف الربط وأدواته، لما ينتقي كل أداة في مكانها المناسب، فموضع "الواو" يختلف عن موضع "الفاء"، ولكل دلالته الخاصة في سياقه الخاص، فيحسن "النظر في الجمل التي تسرد ليعرف موضع الفصل منها من موضع الوصل، ثم يعرف ما حقه الوصل موضع "الواو" من موضع "الفاء"، وموضع "الفاء" من موضع "ثم"، وموضع "أو" من موضع "أم"، وموضع "لكن" من موضع "بل""[1].

تجسد الوصل الإضافي من خلال حرف العطف الفاء، فعمل على الربط بين جملتين، أو أكثر من خلال علاقة السبب بالنتيجة، ومن أمثلة ذلك من الخطبة: " أجيلت قداح نزعن من شعب حول نبعة، ففاز بحظّها أصلبها وأعتقها، فكنا بعض قداحها "، فاستطاعت الفاء أن ترسم صورة تراتيبية تعاقبية، ومن النماذج الأخرى التي شكلت فيها الفاء محورا رابطا للجمل، قوله:

شدخ أمر بين أمرين، فقتلنا وقتلنا

فولي رسول الله _ صلّى الله عليه وسلم _ برسالة الله إياه، واختياره له

فجزيناه هذا بهذا

فارتباط الأفعال السابقة بالفاء دل على سرعة الحركة؛ ما جعل أحداث الخطبة مطردة ومتعاقبة.

• ثم

تقترن "ثم" بالوصل الزمني، وهي حاملة معنى الترتيب والتراخي، من ذلك قوله:"... ، ونزلنا أعلاها؛ ثم شدخ أمر بين أمرين"، وقوله أيضا: "ثم ولي أبو بكر لسابقته وفضله؛ ثم ولي عمر؛ ثم أجيلت قداح نزعن من شعب حول نبعة "، فكل هذه الأحداث أسهمت "ثم" في ترتيبها مسلسلة

[1]. الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص64.

منطقيا يبرز الفارق الزمني، فكان استخدام هذا الحرف في مكانه، فتولي أبي بكر للخلافة جاء بعد فترة زمنية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتولي عمر بن الخطاب للخلافة جاء في فترة لاحقة لأبي بكر، ما أوجب استخدام "ثم" التي تفيد هذا المعنى.

- **حتى**

ومن بين الأدوات الموظفة للربط نجد استخدام ال مرسل لـ(حتى)، التي تفيد بلوغ الغاية، كما في قوله: "فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا، حتى شرب الدم دما.. "، وقوله: "وأسكت كل ذي حسن عن ضرب مهنّد، عركا عركا، وعسفا عسفا، وخزا ونهسا، حتى طابوا عن حقنا نفسا.. "، فحتى أفادت استمرار الحدث وكذلك الربط بين الجمل والدلالات التي تحمله ا، ناهيك عن الهدف الأسمى لها ، وهي بلوغ المرسل بها الغاية التي يصبو لها ، وهي وصول الأمر في النهاية إلى حد السيف، وانصياع المتخلفين عن دفع الجزية.

3 -الحذف

الحذف وسيلة من وسائل الربط بين جملتين متعاقبتين، أو بين مجموعة من الجمل المتوالية، وللمتلقي يد في تقدير المحذوف ، والكشف عن إسهامه في الاتساق النصي، فبقدر معرفته بعالم النص وسياقاته المحيطة به تتحقق قدرته على اكتشاف المحذوف وتقديره، فيغدو أثر الحذف جليا متعددا، من ذلك تحقيق النصية؛ لأن المحذوف يعامل من ناحية الدلالة معاملة المذكور [1]، ومن أمثلة ذلك من الخطبة قوله: "فإن معي سوطا نكالا، وسيفا وبالا"، فارتباط الجملتين بحرف العطف الواو أفضى إلى تحديد المحذوف، فكان الأصل: فإن معي سوطا نكالا، و "إن معي" سيفا وبالا ، فعلى الرغم من حذف شبه الجملة وغيابها من هذا المقطع فإن المعنى قائم في ذهن القارئ، وهو الذي عمل على تحقيق التماسك والترابط بين الجمل.

وإذا كان الاسم مسندا أو مسندا إليه أو فضلة، فإن الفعل لا يكون إلا مسندا، به يتم الكلام ويكتمل، إلا أنه في بعض الأحيان يحذف من الكلام وتبقى على قرينة تدل عليه، وذلك نحو قوله: "فجزيناه هذا بهذا، وهذا في هذا "، وقوله أيضا: "ففاز بحظّها أصلبها وأعتقها "، فحين وقع الحذف بين جملتين متعاقبتين، أسرهمت أداة العطف "الواو" في فهم المحذوف وتقديره، وبوجود قرينة الحذف

[1]. ينظر: الفقي، صبحي: علم اللغة النصي، 246/2.

في الجملة الأولى يستطيع القارئ وبسهولة تامة إدراكها، فيصبح تقدير الكلام: "فجزيناه هذا بهذا، و(جزيناه) هذا في هذا" و "ففاز بحظّها أصلبها و(فاز) بحظها أعتقها".

ذكر الخطيب جملتي (جزيناه، وفاز) في أول الجمل، وحذفهما في الجمل اللاحقة، فنجد القارئ يستخدم ذهنه ليجوب فضاء النص، ويربط بين الموجود والغائب ؛ لأن حريته تتجسد في ملئه الفراغ، وإعادة تشكيل النص عن طريق إسقاط ما يمليه عليه السياق الذهني والنفسي والثقافي على سياق الفقرة بتأويل شخصي توجهه الإشارات المتاحة في النص ؛ إذ بعد الهدم والتفكيك يعيد البناء من جديد بصيغة جديدة، إذن فغياب السابق في الجمل اللاحقة يترك فراغ ا إلا أنه يبقى مستمرا وموجودا في النص، وهذا ما يبين تشكله المنسجم [1]، كما ظهر الحذف تجنبا للإطالة، وجنوحا إلى الاختصار.

ويبرز الحذف الاسمي في الخطبة السابقة، ومن أمثلة ذلك حذفه للفظ الجلالة في قوله: "و الله ما نزعنا ولا نزع عنا"، وقوله: "والله ما أعطوه عن هوادة، ولا رضوا فيه بالقضاء "، فحذف لفظ الجلالة (الله) والسبب وجود حرف العطف الواو الدال على الجمع والمشاركة مع الجملة السابقة التي دلت على محذوفها.

بالإضافة إلى الحذف السابق يظهر حذف الأدوات في خطبة عمرو بن سعيد على نحو قوله: "حتى شرب الدم دما، وأكل اللحم لحما، وقرع العظم عظما، وعاد الحرام حلالا، وأسكت كل ذي حسن عن ضرب مهنّد"، فالأداة حتى حاضرة بغيابها في هذا المقطع؛ لأن القارئ سرعان ما يستدركها في ذهنه ويسترجعها بين العبارة والأخرى، إذ الأصل في الكلام أن يكون على هذا النحو: حتى شرب الدم دما، و(حتى) أكل اللحم لحما، و(حتى) قرع العظم عظما، و(حتى) عاد الحرام حلالا، و(حتى) أسكت كل ذي حسن عن ضرب مهنّد، ومن النماذج الأخرى على حذف الخطيب للأداة، حذفه لأداة النداء في قوله: (معشر أهل مكة)، فأداة النداء حاضرة بغيابها في هذا المقطع؛ لأن القارئ يستدركها في ذهنه ويسترجعها، وهو من الأساليب الشائعة في القرآن الكريم ونظيره قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [2]، وجاء عنصر الحذف لحرف النداء لإظهار قرب المنادى، إذ كان الأصل في النداء (يا) معشر أهل مكة.

---

[1]. ينظر: بن مخلوف، ربعية: الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون، ص124.

[2]. سورة يوسف: الآية29.

4 -الاستبدال

تعتمد معالجة الاستبدال على " مجموع العلاقات التي تنشأ بين العنصر اللغوي والعناصر الأخرى، التي يمكن أن يحل محلها في نفس السياق في التركيب"[1].

من أنواع الاستبدال الاستبدال القولي، وهو أن تستبدل كلمة واحدة بقول كامل أو جملة، ومن أمثلته من الخطبة، قوله: (ولذلك كنا إذا رفعت لنا لهوة بعد لهوة)، فلفظة لذلك جاءت بدلا من قول سابق، هو السكن والخروج من مكة، وهو استبدال كان عاملا في التماسك النصي بين الجمل.

واستبدل الخطيب قوله: "حتى طابوا عن حقنا نفسا "، بقوله: "ولا رضوا فيه بالقضاء "، فلفظة طاب نفسا تحمل المعنى ذاته للفظة رضوا، مما أعطى العبارة معنى إضافيا بديعا.

ويبدو الاستبدال واضحا في قوله: "شدخ أمر بين أمرين"، فجعل لفظة (أمر)، بديلا للفظة الإسلام، وجعل لفظة (أمرين)، بديلا لـ(الحق والباطل)، فحديث الخطيب يفهم من السياق عن تلك الفترة التي بزغ فيها نجم الإسلام، وانقسام الناس إلى فئتين، فكان الاستبدال وسيلة للاقتصاد اللغوي، ووسيلة في تماسك جمل النص وترابطها.

ب ـ الاتساق المعجمي

1 - التكرار

وهو شكل من أشكال التماسك المعجمي الذي يتطلب إعادة ذكر عنصر معجمي، أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف، وأطلق بعضهم على هذه الوسيلة الإحالة التكرارية، وتتمثل في تكرار لفظ، أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد[2].

يأخذ التكرار أشكالا مختلفة، فقد يكون تكرارا محضا ترد فيه الوحدة المعجمية نفسها في السياق اللاحق، وهو ما ستفصح عنه الأسطر التالية.

---

[1]. عبد الله، وليد: دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها (رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية، عمان، 2002م، ص23.

[2]. ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص، ص106.

1 –التكرار التام المحض

ويطلق على هذا التوكيد اللفظي الذي يكون بإعادة اللفظ ذاته ، وفائدته رفع توهم عدم سماع السامع، ويأتي مفردا وجملة [1].

أـ تكرار الجمل

"ثم شدخ أمر بين أمرين فو الله ما نزعنا ولا نزع عنا، حتى شرب الدم دما، وأكل اللحم لحما"، وقرع العظم عظما ـ أنفسكم، وأنفسكم ـ سفهاءكم، وسفهاءكم

هذه أمثلة بارزة من الخطبة كان لها دورها في ارتباط أجزاء الخطبة، من خلال التوكيد اللفظي، رغبة في التأكيد، وتمكين المعنى في نفس السامع[2]، ففي تكرار قوله: "ثم شدخ أمر بين أمرين فو الله ما نزعنا ولا نزع عنا، حتى شرب الدم دما، وأكل اللحم لحما، وقرع العظم عظم ا"، تنبيه السامعين وتذكيرهم بالحالة التي كان عليها المسلمون سابقا، وما انتقص ذلك من دينهم أو عزيمتهم شيئا، بل جاهدوا في الله حق جهاده دفاعا عن دينهم وعقيدتهم، فكانت الحاجة إلى تكرارها لاستمرار عملية سبك النص ، وإعادة ارتباطها بالمضمون؛ فالجملتان متماسكتان بموضوع واح د، وهو نصرة الحق والوقوف في وجه الظلم، وإن اختلف الزمن.

أما في قوله: أنفسكم، وأنفسكم / سفهاءكم، وسفهاءكم، فيظهر التكرار في نهاية الخطبة، والغاية منه التحذير ولفت انتباه السامع، وهو أمر بدهي بعد ما قدم لهم من فتن وأهوال مرت على المسلمين وقفوا فيها مدافعين عن دينهم، يأتي في الختام ليحذرهم أنفسهم من الوقوع في مثل هذه الفتن، وبذلك ظلت أجزاء الخطبة متماسكة من بدايتها إلى نهايتها.

والتكرار الجملي الآخر الذي برز في الخطبة، قوله: معشر أهل مكة، ويا أهل مكة، فتكرر النداء في الجملتين ليعبر عن قرب المخاطَب، فهم ماثلون أمامه يسمعون ما يريد البوح به، فعكس حالة الخطيب النفسية، وربط بين أجزاء النص، فقد بدأ الخطبة بالنداء، وختمها به.

---

[1]. ينظر: ابن معطي، زين الدين: الفصول الخمسون، تح: محمود الطناحِي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).ص 236، وهارون، عبد السلام: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط5، مكتبة الخانجى، القاهرة، 2001م، ص112.

[2]. ينظر: ابن عصفور، أبو الحسن: شرح جمل الزجاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م 1/ 231.

ب ـ تكرار المفرد

المقسم به: والله ما نزعنا / والله ما أعطوه عن هوادة

من الأغراض التي تسهم في اتساق النص وترابطه التوكيد والقسم؛ إذ هما يشكلان بنية قوية تساعد في تشابك النص، ويأتيان في مقام الوعيد والتهديد[1].

المعنى المحاط بأسلوب القسم السابق هو الحلف واليمين، وهو ضرب من ضروب الإنشاء غير الطلبي[2]، وأدواته المستخدمة في الخطبة السابقة: الواو (والله) ، جاءت هذه اللفظة بحركة مشعرة للقارئ بما يريده الخطيب، ومحققة للأهداف، فهي من جانب جاءت لتأكيد ثبات المسلمين، وتحقيقهم الهدف الذي قاتلوا لأجله، ومن جانب ثان عملت على تماسك النص وترابطه.

إن الجمل الإنشائية الطاغية على الخطبة ما هي إلا وحدة البناء الأولية لتشكيل أي خطاب لما تحتويه من قدرة على التأثير، فتصنف على أنها أفعال كلام جادة، وحقيقية الوقوع[3]، وقد جاءت مع صيغة القسم، فزادت تأكيد المعنى عند السامع.

ومن الأمثلة الأخرى التى زخرت الخطبة بها تكرار بعض كلمات متباينة في الزمن من مثل قوله: "ولي أبو بكر لسابقته وفضله؛ ثم ولي عمر .."، فالأولى دالة على زمن تولي أبي بكر الخلافة، والثانية على زمن تولي عمر، والغاية هنا تذكير المسلمين بزمنين يتصلان بالصحابة الأوائل، كان للإسلام وقتئذ شأنه وعزته.

وقد تتكرر اللفظتان، ولكل منهما مدلول مختلف، كما في قوله: "حتى طابوا عن حقنا نفسا "، وقوله: "حقنا غلبنا عليه"، فالحق الأول يختلف عن الثاني، وإن تشابها في اللفظ، فالمقصود بالحق الأول دفع أموال الزكاة، أما الحق الثاني فالمقصود به أموالهم، وبهذا الشكل جاء تكراره لكلمة (هذا)

---

[1]. ينظر: القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تح: محمد عبد الحميد، ط 5، دار الجيل، بيروت، 1981م، 73/2.

[2]. ينظر: هارون، عبد السلام: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص162.

[3]. ينظر: ميلز، سارة: الخطاب، ص72.

في قوله: "فجزيناه هذا بهذا "، فيقصد "بهذا" الأولى عدم دفع الزكاة، والثانية الشدة والحزم مع من تخلفوا عن ذلك.

وجاء التكرار في بعض المفردات ليمنح النص البعد الإيقاعي، والموسيقي، فضلا عن إيمان الخطيب بأهمية التكرار في تأكيد المعنى، ومن أمثلة ذلك قوله: لهوة بعد لهوة ، وقوله أيضا: عَرْكَا عَرْكَا، وقوله: عَسْفَا عَسْفَا.

2 –التكرار الجزئي

يقع هذا التكرار في الألفاظ التي صيغت من جذر واحد اشتقت منه، فهو أصل لها ومرجع [1]، وقد أورد الخطيب مجموعة من الألفاظ تشترك في أصل لغوي واحد، ومن أمثلة ذلك:

قَتلنا – قُتلنا / قداح – قداحها/ الدم – دما / اللحم – لحما / العظم – عظما

تكررت هذه الألفاظ لمّا أريد تأكيد معناها وتثبيته في النفس، وزادت النص انسجاما، إضافة إلى الجرس الموسيقي الهادئ الذي أضفته هذه الألفاظ على النص، فبهذه الإعادة " يتحقق جانب إيقاعي يعطي النص جرسا، بارتباط أجزائه المختلفة عن طريق تلك الألفاظ المتحدة الجذور خصوصا"[2]، ولعب هذا التكرار دورا مهما في كل جزء من النص، وأثبت أن الاشتقاق من الجذر اللغوي الواحد يضفي على النص طابع التنوع، وينفي عنه ما يسمى بالرتابة التكرارية[3].

ومن النماذج الأخرى على هذه الظاهرة، لفظتا (أهل ، أهله)، فقد جاءت الأولى لترتبط بعام، فيما ارتبطت الثانية بخاص، ففي قوله: يا أهل مكة، كان الكلام موجها للعموم، أما قوله: "وكلّ منصوب على أهله"، فكان الكلام موجها على شكل مخصوص، وقد كان لختم الخطبة بهذا التكرار، فضلا عن أسلوب النداء وأسلوب التحذير، وأثره البالغ في تماسك الخطبة، وإضفاء عنصر الترهيب للفت انتباه السامعين.

---

[1]. ينظر: عكاشة، محمود: تحليل النص، ص324.

[2]. المنظري، سالم: الترابط النصي في الخطاب السياسي، ص122.

[3]. ينظر: فرج، باقر: السبك والحبك في جزء المجادلة، ص98.

ج- التكرار بالمرادف

عمد الخطيب، أحيانا إلى بعض المرادفات ليضفي على نصه نوعا من التنويع، ويبعد السامع عن الضجر، على نحو قوله: (أخذنا أسناها، ونزلنا أعلاها)، وقوله أيضا: (سكنا حقبة، نزلنا أعلاها)، فألفاظ مثل: (أسناها، أعلاها) و (سكنا، نزلنا)، تؤدي المعنى نفسه، وتزيد من الت أكيد الذي أراده الخطيب من خلال التركيز والإصرار على إعادة الفكرة ذاتها في الفقرة نفسها أو فقرة أخرى من العمل، فتشكل بناء على هذا ما يعرف بالوحدة العضوية[1].

د- التوازي

على الرغم من أن هذه الظاهرة تختص بالشعر أكثر من غيره من الأجناس الأدبية، إلا أن خطبة عمرو بن سعيد حفلت فقراتها وجملها بهذه الظاهرة.

ويسمى هذا التكرار توازيا، وهو تساوي الكلمتين في عدد الحروف، وفي نوع الحرف الأخير، وسماه الرماني، السجع المتوازي كقوله تعالى: (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) [2]، وأطلق عليه أحمد عفيفي التكرار الجراماتيكي[3]، وهو عند لوتمان، " مركب ثنائي التركيب أحد طرفيه لا يُعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه"[4].

ومن أمثلته في الخطبة:

العبارات المتوازية	أشكالها
أخذنا أسناها	فعل+ فاعل+ مفعول به+ مضاف اليه
نزلنا أعلاها	فعل+ فاعل+ مفعول به+ مضاف اليه
أكل اللحم لحما	فعل + فاعل+ مفعول به

[1]. ينظر: نوفل، يسري: المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، ط1، دار النابغة،2014م ،ص100.

[2]. ومنه ما يطلق عليه السجع المطرف، أو السجع المتوازن، ينظر في ذلك: الرماني، أبو الحسن: النكت في إعجاز القران، مكتبة الجامعة الإسلامية، 1934م، ص97.

[3]. ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص، ص111.

[4]. لوتمان، يوري: تحليل النص الشعري، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص129.

قرع العظم عظما فعل + فاعل +مفعول به

سوطا نكالا اسم إن + صفة

سيفا وبالا اسم إن + صفة

فالتوازي في العبارات السابقة حقق الاتساق النصي عن طريق تكرار البنية التركيبية، مع اختلاف هذه العبارات في المحتوى الدلالي، حتى يخيل للقارئ أنه أمام نص يتسم بالطابع الشعري لا بالطابع النثري، فهي تمثل رغبة في إغناء الجانب الموسيقي نظرا لما تحدثه من تناغم وتآلف بين الألفاظ من خلال التوافق النغمي بين الحروف.

2 التضام

أـ علاقة التلازم الذكري

غالبا ما ترد هذه الكلمات متلازمة معا، ولا تعرف إحداهما إلا بقرينتها ، لذا كان من السهل "إمكانية تعرف الكلمة من خلال قرينتها" [1]، وقد ساعد هذا التّلازم على الربط النّصي بين الجمل. وتلازم الكلمتين في النص، وورودهما في الخطاب يؤدي إلى الترابط بين الجمل. وتمثّل علاقة التّضام هذه علاقة معجمية بنيوية تربط بين مفردتين تتلازمان في الاستعمال ، ومن النماذج التي تمثل هذه الظاهرة:

سوطا نكالا

سيفا وبالا

ب ـ علاقة التضاد

سكناها حقبة، وخرجنا عنها رغبة، وعاد الحرام حلالا

سكنا وخرجنا/ الحرام والحلال

[1]. بالمر، فرانك: مدخل إلى علم الدلالة، ص169.

جمعت العبارات السابقة بين اللفظ وضده، وهو ما كان يسمى عند البلاغيين الطباق والمقابلة[1]، وقد ظهر حسن سبك العبارات بهذه الدلالات المتناقضة على مبدأ والضد يظهر حسنه الضد، وقد حققت هذه العلاقة سبكا بين أجزاء النص، ويعطي مرونة وسعة في دلالة اللفظين المتضادين ومعناهما، فالألفاظ السابقة تقوم على المفارقة بين الأحداث، تمثل إحداهما الإقامة في مكة، والهجرة عنها، فيما تمثل الثانية انقسام الناس ما بين متبع للحلال، وآخر متبع للحرام.

ج ـ علاقة الجزء بالكل، والكل بالجزء

حتى شرب الدم دما، وأكل اللحم لحما، وقرع العظم عظما

وهي جزء من أجزاء الجسم، وهذه العلاقة زادت النص ربطا وسبكا فيما بينه؛ لأن كل جزء منها مرتبط بالجزء الآخر بعلاقة الجزئية المنتمية بمجملها إلى شيء واحد، وورودها في سياق واحد جعل منها أداة للسبك النصي؛ لأنها تساعد المتلقي على فهم النص، وتغنيه عن الرجوع إلى سياقات أخرى؛ لأن وسائل الفهم ظهرت من علاقة الألفاظ فيما بينها[2].

د ـ علاقة التراتب

وذلك من خلال التدرج في القول بدءا من السابق إلى اللاحق، كما ران عليه إلفنا، والواضح من الخطبة أن الخطيب بنى خطبته على التدرج في القدم الزمني، بدءا من السكن في مكة إلى الخروج منها وصولا إلى بعث النبي، وتولي أبي بكر ومن بعده عمر الخلافة، حين يقول: فولي رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – برسالة الله إياه، واختياره له؛ ثم ولي أبو بكر لسابقته وفضله؛ ثم ولي عمر، فحافظ الخطيب على الترتيب الزمني لهذه الأحداث كما أوجب لها المنطق أن تكون، فهذه العبارات المتسلسلة لها قيمتها الدلالية في النص، ما كان له الأثر الكبير في تماسك النص بين جزئياته، وفي ارتباطه بالواقع الحقيقي.

---

[1]. ينظر: مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م، ص96.

[2]. ينظر: فرج، باقر: السبك والحبك في جزء المجادلة، ص121.

هـ ـ علاقة الاندراج في صنف عام

اجتمعت بعض الألفاظ في الخطبة في حقل دلالي واحد، نحو استخدام الخطيب لألفاظ: المهند والسيف والسوط، فهي ألفاظ تنضوي تحت معنى عام هو أدوات الضرب والقتل، أي تجمعها وظيفة واحدة بكونها أدوات تستخدم للتنكيل والقتل.

المبحث الثاني: وسائل الانسجام النصي

الانسجام[1]

الانسجام لغة

ورد في لسان العرب تحت مادة (س ج م): "سَجَمَتِ الْعَيْنُ الدَّمْعَ والسحابةُ الْمَاءَ تَسْجِمُه وتَسْجُمُه سَجْماً وسُجُوماً وسَجَماناً: وَهُوَ قَطَران الدَّمْعِ وسَيَلانه، قَلِيلًا كَانَ أَو كَثِيرًا، وكذلك الساجِمُ مِنَ الْمَطَرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ دَمْعٌ ساجِمٌ .وَدَمْعٌ مَسْجوم :سَجَمَتْه الْعَيْنُ سَجْماً، وقد أَسْجَمَه وسَجَّمَه .والسَّجَمُ :الدَّمْع، وأَعْيُنٌ سُجُومٌ : سَواجِمُ؛ وَكَذَلِكَ عَيْنٌ سَجُوم وَسَحَابٌ سَجُوم. وانْسَجَمَ الماءُ وَالدَّمْعُ، فَهُوَ مُنْسَجِمٌ إِذا انْسَجَمَ أَي انْصَبَّ. وسَجَّمَتِ السَّحَابَةُ مَطَرَهَا تَسْجِيماً وتَسْجاماً إِذا صَبَّتْه"[2].

وهو ما ألفاه الباحث في القاموس المحيط:" سَجَمَ الدمْعُ سَجُومَا، قَطَرَ دمعُها وَسَال قَليلا، أَو كَثيرا"[3]، فإذا كان الانسجام يعني الصب والسيلان، فإن ذلك يوحي بالتتابع، وعدم الانقطاع.

الانسجام اصطلاحا

احتل مصطلح الانسجام أهمية خاصة في حقل علم اللغة النصي، فهو عند برينكر المفهوم النواة في تعريف النص، وحظي باهتمام فان دايك عند دراسته العلاقة بين النص والسياق، فعدّه "التماسك

---

[1]. اختار تمام حسان مصطلح الالتحام ووظفه في كتاب النص والخطاب والإجراء وهو يعني التماسك الدلالي، ومنهم من اختار مصطلح التشاكل كمحمد مفتاح، واستخدم سعد مصلوح ومحمد العبد مصطلح الحبك، ينظر: قواوة، الطيب العزالي: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، الجزائر، عدد8، 2012م، ص62.

[2]. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سجم).

[3]. الفيروزأبادي: القاموس المحيط، مادة سجم.

الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى"[1]، فربط بذلك بين التماسك الدلالي والبنية العميقة، وهو خلاف التماسك الشكلي والبنية السطحية، فالأول يدرس ضمن الانسجام، والثاني يهتم به الاتساق.

ويوضح سوفنسكي مفهوم الانسجام بطريقة ميسرة، فحسب رأيه يُحكم للجمل أنها منسجمة: "إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض في إطار نصي، أو موقف اتصالي، اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات"[2].

فالانسجام في نهاية الأمر هو " الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات، والربط بين هذه المفاهيم" [3]، وذلك لأن النص "يتألف من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام، والتماسك بين تلك العناصر ،وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقها"[4].

ومما يجب الوقوف عنده أن الاتساق والانسجام مصطلحان يكمل كل منهما الآخر، فالظواهر التي يدرسها الاتساق هي في ذاتها تحقق الانسجام، فاهتمام الاتساق ببنية النص، واهتمام الانسجام بدلالة النص عمودان أساسيان في النص لا يمكن إقصاء أحدهما عن الآخر.

ويرى خطابي أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه، بحيث يتطلب الانسجام من المتلقي الاهتمام بالعلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن الانسجام، فضلا عن اختصاصه بالعلاقات المصاحبة لإنتاج النص التي تضفي عليه صفة الترابط والتماسك بما تستدعيه من علاقات [5]، فهذه العلاقات تحتاج من الباحث جهدا في التفسير والتأويل، واستخدام مخزونه المعرفي للكشف عنها، وهو ما ستفصح عنه الصفحات التالية من هذه الدراسة.

---

[1]. بحيري، سعيد: علم لغة النص، ص220.

[2]. العبد، محمد: النص والخطاب والاتصال، ص91.

[3]. الفقي، صبحي: علم اللغة النصي، ص94.

[4]. بحيري، سعيد: ،دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر،2005م، ص78

[5]. ينظر: خطابي، محمد: لسانيات النص، ص6.

ولتوضيح ذلك جملة وتفصيلا س يقوم الباحث بتطبيق ما تقدم على خطبتين مختارتين من كتاب العقد الفريد، وهما: خطبة معاوية بن أبي سفيان، وخطبة هارون الرشيد.

الخطبة الأولى: خطبة معاوية بن أبي سفيان

الخطبة نصا: "قال الهيثم بن عدي : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب، دعا بمسلم بن عقبة المرّي، والضحاك بن قيس الفهري وقال لهما : أبلغا عني يزيد وقولا له: انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعاهده ، وانظر أهل العراق، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سلّ مائة ألف سيف، ثم لا ندري علام أنت عليه منهم؛ ثم انظر أهل الشام، فاجعلهم الشعار دون الدّثار، فإن رابك من عدوّ ريب فارمه بهم فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم، لا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم؛ ولست أخاف عليك غير عبد لله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. والحسين بن علي؛ فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع، وأما الحسين فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه خب ضب، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا"•.[1]

الخطبة تحليلا

آليات الانسجام في خطبة معاوية بن أبي سفيان

أولا: السياق

السياق من الأدوات المعرفية التي لعبت دورا بارزا في دراسة النصوص، نظرا لارتباطه ارتباطا مباشرا وقويا بالنص، وهو " إطار عام تنتظم عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل

[1]. الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، 4\208

• ورد عن بعضهم أن يزيد كان موجودا عند مرض والده وألقى هذه الوصية على مسامعه وفيها يقول : (يَا بُنِيَّ إِنِّي قَدْ كَفَيْتُكَ الشَّدَّ وَالتَّرْحَالَ، وَوَطَّأْتُ لَكَ الْأُمُورَ، وَذَلَّلْتُ لَكَ الْأَعْدَاءَ، وَأَخْضَعْتُ لَكَ رِقَابَ الْعَرَبِ، وَجَمَعْتُ لَكَ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ، فَانْظُرْ أَهْلَ الْحِجَازِ فَإِنَّهُمْ أَصْلُكَ، وَأَكْرِمْ مَنْ قَدِمَ عَلَيْكَ مِنْهُم .....)، والصحيح ما أورده ابن الأثير في كتابه، ينظر: الجزري، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، **120/3**.

بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ" [1]، والسياق سياقان، داخلي بنيوي، وخارجي مقامي، ويستعمل " للدلالة على الظروف والملابسات الخارجية التي تستعمل لتأويل لفظة أو عبارة أو نص ما، فهو إما للدلالة على السياق النصي، وإما على السياق الخارجي"[2].

والسياق من الوسائل المهمة في فهم المعنى المقصود إذا كان محلل الخطاب قادرا على معرفة المتكلم من يكون، والمتلقي من هو، وهذا سيختصر وقتا في التحليل،" فكلما زادت معرفة المحلل بخصائص السياق زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله"[3].

والظاهر أن البحث في السياق يتفرع إلى نوعين، هما: سياقات مقالية متمثلة في النص ذاته بجميع مستوياته اللغوية؛ إذ إن معنى الكلمة لا يتحدد إلا بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية[4]، وسياق الحال أو المقام. وما يعنينا في هذا الموطن هو سياق المقام، ويقصد به "الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات، فهو الخلفية غير اللغوية للكلام أو النص، وبتعبير آخر: هو مجموع العناصر غير اللغوية التي يكتسب الكلام أو النص من خلالها تمام معناه في الاستعمال"[5].

لفهم نص الخطبة بشكل عام قبل الكشف عن العلاقات الداخلية التي تحدث في النص ظاهرة أو خفية هناك أسئلة على المحلل أن يجيب عنها، ويولي شطرا من اهتمامه في البحث والتنقيب عنها، وهي: "التساؤل عمن فعل؟ وماذا فعل؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟ ولماذا... ، الارتباط المعجمي بنوعيه الكبيرين: التراكمي والتقابلي...، الارتباط التركيبي الحاصل بالضمائر، وبأداة التعريف..."[6].

---

[1]. بودرع، عبد الرحمن: أثر السياق في فهم النص القراني، مجلة الإحياء، المغرب، عدد25، 2007م، ص73.

[2]. الولي، محمد: السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء، المغرب، عدد25، 2007م، ص63.

[3]. ج. ب براون و ج يول، تحليل الخطاب، ص50.

[4]. ينظر: السابق: ص68.

[5]. عبابنة، يحيى، وآمنة الزعبي: علم اللغة المعاصر: مقدمات وتطبيقات، إربد، دار الكتاب الثقافي، د.ط، ٢٠٠٨م، ص٣٧.

[6]. مفتاح، محمد: دينامية النص، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990م، ص52.

ويحدد هايمز(Hymes)عددا من الخصائص السياقية التي تسهم في الكشف عن مدلولات النص، وتتعلق بمبدع النص، ونوعه (شكله الأدبي) والغرض منه، ومتلقّيه سامعا وقارئًا، وموضوعه، ومحيطه زمانًا ومكانًا [1]، وسيقف الباحث في الخطب موضع الدراسة على أركان خمسة، هي الأركان الرئيسة في كل خطبة: الخطيب، والموضوع، والمستمع، وثنائية الزمان والمكان، وثنائية الابتداء والانتهاء، وهذا جدول يوضح ما ذكر آنفا:

أركان نص خطبة معاوية

المتكلم	معاوية بن أبي سفيان
المتلقي	عدد محدود من الحضور
الزمان	قبل وفاة معاوية بقليل
المكان	بيت الخليفة
الابتداء	إحضار شاهدين ليشهدا على وصيته
الانتهاء	تهديد ووعيد
الموضوع	الوصية ليزيد• من بعده بالخلافة

وسيأتي الحديث على كل ركن من هذه الأركان بشيء من التفصيل، وبيان خصائصه التي تظهر عوالمه وترسم معالمه.

[1]. ينظر: ج. ب براون و ج يول: تحليل الخطاب، ص٤٧-٥٠.

• يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (25هـ - 64هـ)، ولد بالماطرون، ونشأ بدمشق. وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة، وفي أيامه كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي، ينظر: الزركلي: الاعلام، 189/8.

- **طرفا الخطاب: المتكلم والمتلقي**

من المعايير المثلى لقراءة السياق أن يعرف المحلل المتكلم والمتلقي، خاصة في نص كالذي بين أيدينا؛ ذلك أنه لم يوجه إلى الناس كافة، بل وجه إلى فئة محدودة قد لا تتجاوز عدد أصابع اليد، فمن الصعب، في هذه الحالة، فهم النص دون الوقوف على طرفي الخطاب، ومعرفة أحوالهما، وموقعهما من الخطاب.

وستقتصر الدراسة على جوانب من شخصية معاوية بما يتناسب وطبيعة الدراسة، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتب التاريخ والسير والتراجم؛ فقد كفتنا مؤونة المعلومات، وأغنتنا عناء البحث.

معاوية بن أبي سفيان ذو نسب شريف، وهو أبو عبد الرحمن ، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي المكي، يلتقي نسبه مع النبيِّ – صلى الله عليه وآله وسلم – في عبد مَناف ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس [1]، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاث عشرة، والأول أشهر [2]، كان رجلا طويلا، أبيض، مهيبا، وقد تفرس فيه والده ووالدته منذ الطفولة بمستقبل كبير[3].

أسلم معاوية مع أبيه وأخيه يزيد يوم الفتح [4]، وكان ملازما لرسول الله بعد الفتح، وكان عمره وقتئذ ثماني عشرة سنة[5].

آلت إليه الخلافة بعد الخلافة الراشدة، وقد شهدت خلافته خروج بعض الفرق عليه رافضة مبايعته بالخلافة، ومع أن مشهد الصراع الداخلي كان قد سيطر على خلافة معاوية، إلا أن ذلك لم يمنع

---

[1]. ينظر: صقر، شحاتة: معاوية بن أبي سفيان كشف شبهات ورد مفتريات، مكتبة الأصولي، مصر، (د.ت)، ص92.

[2]. ينظر: العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط1، 1995م، 151/6.

[3]. ينظر: ابن كثير، أبو الفداء: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، 398/11، وينظر: الذهبي، أبو عبد الله: سير أعلام النبلاء، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م، 121/3.

[4]. ينظر: المقدسي، ابن قدامة: التبيين في أنساب القرشيين، تح: محمد الدليمي، ط 1، منشورات المجمع العلمي العراقي، 1982م، ص105.

[5]. ينظر: العقيلي، عمر: خلافة معاوية، ط1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م، ص14.

جيشه من غزو الروم حتى وصل إلى أبواب القسطنطينية ، مَاتَ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ عُمُرُهُ خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً.

إن معرفة سيرة معاوية، وما يتصف به من حنكة وذكاء ودهاء تساعد في الكشف عن المعاني المتخفية في سياق الخطبة، وما تحتويه من دلالات نصية داخلية وخارجية ، فكل الإشارات التي وجهها لابنه تشير بما لا يدع مجالا للشك إلى أن خبرة معاوية الطويلة جعلته على دراية تامة بتفاصيل البلدان الواقعة تحت حكم بني أمية، ونفوس أهلها وكيفية التعامل معهم، كما كشفت بشكل جليّ موقف بعض الصحابة من حكم بني أمية، وطريقة معاوية في التعامل مع هؤلاء، فتتضح أكثر وأكثر – في رأي بعض الباحثين – حياته وسيرته المجبولة على القتل وسفك الدماء، والقضاء على كل مخالفيه.

وعلى الرغم من أن شخصية المتكلم هي البارزة أكثر من غيرها في الخطبة، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود المتلقي الذي يهدف معاوية إلى إيصال هذه الرسالة إليه، فالأمر يتعدى شاهدين أتى بهما معاوية ليشهدا على ما سيقوله، بل كانت هذه الوصية موجهة لأهل الحجاز، والعراق، والشام، وموجهة أيضا لعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، وأتباعهم ممن يرفضون الاعتراف بحكم بني أمية، أو مبايعة يزيد بن معاوية، فجاءت تهديدا ووعيدا لكل من تسول له نفسه في عدم مبايعة يزيد بالخلافة، أو في خندق معارض لهذا الأمر، فهو على يقين أن أمر هذه الخطبة لن يقف عند حدود المكان الذي قيلت فيه، بل سيصل إلى تلك البلدان، وإلى هؤلاء الذين وجّه إليهم التهديد.

- **ثنائية الزمان والمكان**

نعود بالزمن إلى الزمن الماضي الذي قيس طوله "بمقدار المدة التي تستغرقها العودة إلى ماضي الأحداث"[1]، وليس من العسير على المتلقي وهو يقرأ هذا النص أن يعجز عن تحديد الزمن الذي قيلت فيه هذه الخطبة، فمعاوية يقدم الولاية لابنه وهو على فراش الموت سنة ستين للهجرة ، كما

[1]. بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990م، ص131.

يبرز الزمن الماضي من خلال الوقت الذي خرجت فيه الخطبة من فم معاوية، حين دعا بمسلم بن عقبة المرّي، والضحاك بن قيس الفهري ليشهدا على أقواله.

المتأمل لموضوع الخطبة يجد أن زمن المستقبل قد استأثر على مجريات الخطبة، وهو أمر بدهي من نص يرجو منه صاحبه بثّ الوصايا المستقبلية لابنه من بعده، وكأن معاوية أراد من خلال استخدامه الزمن المستقبلي رسم معالم الطريق القادمة لخليفة المسلمين القادم.

وبمقدور المتلقي أن يقسم هذا المستقبل إلى مستقبل قريب يتمثل في قول معاوية: " أبلغا عني يزيد وقولا له"، ومستقبل بعيد يتراءى لنا في قول معاوية: (انظر أهل الحجاز ، انظر أهل العراق، انظر أهل الشام).

ورغم ذلك فإن كانت العبارات: (انظر أهل الحجاز، انظر أهل العراق، انظر أهل الشام، ..) معالم مستقبلية لما سيكون عليه أمر الخليفة الجديد، وكيفية التعامل مع هذه البلدان فيما لو أصبح يزيد الخليفة، فإنها من جانب آخر تمثل استذكارا من معاوية لماضيه الخاص، وتحيلنا على أحداث سابقة على الزمن الذي قيلت فيه الوصية، فنجد معاوية يستدعي الماضي، ويوظفه بنائيا من خلال استذكارات كانت له مع هذه البلدان، فلولا المعرفة الحقيقية بها وبخفاياها؛ لما استطاع أن يقدم لابنه تصورا في كيفية التعامل معها.

ويأتي الاستذكار في صورته السابقة في إعطائنا معلومات حول سوابق شخصية، يهدف من خلالها معاوية إعادة تذكير ابنه بمواقف لعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، من جهة، والتنبيه والتحذير مستقبلا من جهة ثانية.

وتُظهر هذه الخطبة قدرة معاوية الخطابية، فهو وإن كان داهية من دهاة العرب، إلا إنه كان متكلما مفوها، يضع الكلام في مواضعه، وتأتي الجمل لمقاصدها، جاءت عباراته السابقة استذكارا، وهي في الوقت ذاته استشراف زمني، يروي ويثير أحداثا سابقة لأوانها، أو يمكن توقعها [1]، ومع أن المعلومات التي يقدمها معاوية ليست يقينية، إلا أنه يقدم له الحلول المستقبلية الممكنة.

---

[1]. ينظر: جينيت، جيرارد: خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرين، ط2، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع, 2000م، ص51.

أما العنصر الثاني فهو المكان، وقد كانت أيام معاوية الأخيرة في دمشق، ومنها كانت هذه الوصية، ويمثل المكان بالنسبة لمعاوية خصوصية، فهي عاصمة دولته، وعاصمة ابنه من بعده، ولذا خص أهل الشام بوصيته حين قال : "فاجعلهم الشعار دون الدّثار، فإن رابك من عدوّ ريب فارمه بهم"، فهي معقله، وهم حماة ملكه.

إن الزمان والمكان، فيما سبق، شكلا عنصرين متلازمين، أسلما إلى تماسك النص فإن كان الزمان قد امتزجت فيه الأزمنة الثلاثة: الماضية والحالية والمستقبلية، فإنّ المكان شكّل هذه المحاور فهو الماضي والحاضر بالنسبة لمعاوية، وهو المستقبل بالنسبة ليزيد، ولولا الزمان والمكان اللذان أسهما في انسجام النص، لما اهتدى المستمع إلى العلاقة التي تجمع أجزاء النص بعضه ببعض، ولما استنتج وحلل حياة معاوية وخلافته القائمة على التناحر، وسفك الدماء لكل من يعارضه، ويظهر ذلك جليا في قوله: "فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا".

- **ثنائية الابتداء والانتهاء**

تعد نقطة الابتداء محور النص، والأساس الذي تبنى عليه، وصولا إلى نقطة النهاية، وما بينهما مجموعة من الأفكار متصلة بعضها مع بعض من جهة، ومتصلة الأطراف من النقطة الأولى إلى النقطة الثانية من جهة أخرى، وفي قول معاوية نجد أن نقطة الابتداء تشكلت في استدعاء شاهدين ليشهدا على ما سيقوله، هما مسلم بن عقبة•، والضحاك بن قيس•، فالأمر في غاية الأهمية، وإلا

• مسلم بن عقبة بن رباح المري، أبو عقبة، قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي، أدرك النبي _ صلّى الله عليه وسلم _ وشهد صفين مع معاوية، وكان فيها على الرجالة، وقلعت بها عينه، وولاه يزيد بن معاوية قيادة الجيش الّذي أرسله للانتقام من أهل المدينة بعد أن أخرجوا عامله، فغزاها وآذاها وأسرف فيها قتلا ونهبا (في وقعة الحرة)، فسماه أهل الحجاز مسرفا، وأخذ ممن بقي فيها البيعة ليزيد، وتوجه بالعسكر إلى مكة ليحارب ابن الزبير، لتخلفه عن البيعة ليزيد، فمات في الطريق بمكان يسمى المشلل. ثم نبش قبره وصلب في مكان دفنه، ينظر: تاريخ الطبري، 14/7، والزركلي: الاعلام، 222/7.

• الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشيّ، أبو أمية، أو أبو أنيس، (5هـ ـ 65هـ)، سيد بني فهر في عصره، وأحد الولاة الشجعان، شهد فتح دمشق، وسكنها، وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه، ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد، ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، 214/3.

لما لزم الأمر وجود شاهدين، وأي شاهدين، إنهما من حضرا مجلس معاوية من قادته في الحروب، ومن ولاة أمصاره، فالبداية أموية بامتياز؛ لأن الخلافة من بعده ستكون أموية بامتياز هي الأخرى.

اختيار معاوية لهذه البداية لم يأت عبثيا، اختار من يكون عونا لابنه من بعده، فهم جنده المخلصون، ومن يعتمد عليهم في تثبيت أركان الدولة من بعده، وهو ما سيتضح بجلاء عند الوقوف على نقطة النهاية.

أما نقطة الانتهاء فجاءت تهديدا ووعيدا، واستكمالا لحياة معاوية القائمة على القتل، وكأن لسان حاله يقول إن النهج الذي سينتهجه ابنه من بعده لا يختلف كثيرا عن النهج الذي سار عليه هو، فالتهديد بقتل من يخالف رأيه واضح وضوح الشمس، وتحديدا في شأن ابن الزبير، وهو ما كان، فقد توجه مسلم بن عقبة بالعسكر إلى مكة ليحارب ابن الزبير، لتخلفه عن البيعة ليزيد[1].

ثانيا: البنية الكلية (موضوع الخطاب) (Topic of Discourse)

ينظر منهج التحليل النصي إلى النص نظرة كلية، ذات وحدة دلالية واحدة، يتناغم فيها نسيج البنى الكبرى والصغرى؛ لتجلية المعنى العام للنص وفكرته المحورية؛ أو البنية الكلية للنص التي تفوق دلالات البنى الصغرى ووحداتها اللغوية من ألفاظ وجمل وتراكيب وأساليب وغيره[2].

فالبنية الكلية هي "حصيلة العمليات الدينامية التي تجري في ذهن المتلقي في أثناء تحليل النص بوجهات نظر متنوعة، وصولا إلى المآل الذي ترتبط فيه كل القضايا لتؤلف بنية النص الكبرى أو موضوعه الأصل"[3].

---

[1]. ينظر: الطبري: تاريخ الطبري، 14/7، والزركلي: الأعلام، **222/7**.

[2]. ينظر: فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٣٣

[3]. مزعل، خالد: مصطلحا البنية الكبرى والبنية العليا عند فان دايك، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، مج: 10، عدد18، 2016م، ص380.

وموضوع الخطاب " عملية بحث واستكشاف للبؤرة المركزية في الموضوع عن طريق إعادة تنظيم محتويات الخطاب"[1]، ويقصد به أيضا، " البنية الدلالية التي تصب فيها مجموعة من المتتاليات بتضافر مستمر قد تطول، أو تقصر حسب ما يتطلبه الخطاب"[2].

لكلّ خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب كما يرى فان ديك ، وتقتضي البنية الكلّية أن يكون للخطاب جامع دلالي، وقضية موضوعية يتمحور النص حولها، ويحاول تقديمها بأدوات متعددة[3].

وتتلخّص البنية الكلية لنص الخطبة في محورها الأساس الذي يدور في فلك رسم معالم الطريق من معاوية لابنه يزيد؛ ليمهد له الطريق في آلية تسلمه للحكم من بعده؛ وكيفية التعامل مع البلدان الإسلامية حتى تخضع لسلطانه، وتدين له بالطاعة والانصياع، ومواقف بعض الصحابة من مبايعته بالخلافة[4].

ثالثا: البنية النصية الكبرى

تمثِّل البنية النصية الكبرى "البنية العميقة الدلالية والمنطقية التي تظهر ملتحمة بشكل يميزها عن غيرها من سائر مستويات النص؛ فهي بنية تجريدية كامنة قد يمتد؛ ليشمل النص كله، وقد يتقلص إلى جزء محدود منه، يجمع هذا المحيط منطقًا واحدا يبرزه عمق التماسك بين أجزائه"[5].

ـ البنية النّصية الكبرى الأولى: تكمن هذه البنية في دعوة معاوية شاهدين ليشهدا على ما سيوصي به.

---

[1]. البطاشي، خليل: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، 2009م، ص255.

[2]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص180.

[3]. ينظر: الرواشدة، سامح: إشكالية التلقي والتأويل، ط١، أمانة عمان، عمان، ٢٠٠١م، ص٩٦.

[4]. فقد كان لبعض الصحابة موقف معارض من تولي بني أمية الخلافة بعد الخلفاء الراشدين، وظل قسم منهم على هذا الأمر حتى بعد تولي معاوية الخلافة، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على عدم مبايعة يزيد، "حَدَّثَنَا ابن عون، قَالَ :حَدَّثَنِي رجل بنخلة، قَالَ : بايع الناس ليزيد بن مُعَاوِيَة غير الْحُسَيْن بن علي وابن عمر وابن الزُّبَيْر وعبد الرَّحْمَن بن أبي بكر وابن عباس "، ينظر: تاريخ الطبري، 303/5.

[5]. أبو زنيد، عثمان: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط 1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2010م، ص٢٠٠.

ـ البنية النصية الكبرى الثانية: وقد اشتملت هذه البنية على الدلالات النصية الآتية:

تقسيم البلدان بحسب موالاتهم لبني أمية، وطريقة التعامل مع كل بلد.

التحذير من بعض الصحابة الذين يدرك تماما أنهم يرفضون بيعة ابنه.

رابعا: ترتيب الخطاب

عدّ هذا المظهر عند فان دايك من أهم مظاهر الانسجام، فقد أطلق عليه الترتيب العادي للوقائع [1]، لذا فإن ترتيب أحداث الخطاب وتسلسل محاوره ذو أثر بارز في تحقيق التماسك النصي، ومدى انسجام مكوناته وترابطها وتلاحمها، فهو من أهم ملامح الانسجام النصي؛ لأن انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أن يدلّ على مجموع منظَّم من الأحداث [2]، ومن ثَم فإن ترتيب النص لحظة ولادته يأتي وفقا لترتيب معانيه وأحداثه في نفس صاحبه أو قائله [3]؛ وفي هذه الخطبة جاء النصّ مرتَّبا ترتيبا متلاحما وفق الغاية التي يريدها معاوية، وكأن كل بنية تطلب أختها تطلابا متعالقًا ومنسجما، لا تكاد تنفك إحداهما عن اختها.

إن المتمعن في الم ضمونات التي انتظمتها البنى الكبرى للنص يجد أن كلّا منها يأخذ بطرف الآخر، فتبدو السابقة منسجمة ومتسقة مع اللاحقة، والعكس صحيح [4]، فالأولى مناسبة للثانية ومنبثقة عنها، تندغمان في نسيج متماسك تتعالق كل بنية فيه بالأخرى، لتلتقي في دائرة النص الكبرى أو بؤرته المتمثلة في رسم معالم الحكم للدولة بعد وفاته ؛ فمعاوية انتقل في نصه من العام إلى الخاص: العام الذي يتمثَّل بالغرض العام من النص، وهو الوصاية لابنه من بعده بالخلافة، وتعيينه خليفة للمسلمين، والخاص يتمثل في وضع الخطوط العريضة لتعامله مع البلدان والأشخاص كلا على حدة.

---

[1]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص38.

[2]. فان دايك، النص والسياق، ص150.

[3]. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص٥٦.

[4]. نعامنة، عماد: عناصر الانسجام النصي في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق، دراسة نصية تحليلية، جامعة آل البيت، مج22، عدد4، 2016م، ص361.

خامسا: البنى النصية الصغرى

تتولد البنى النصية الصغرى من البنى النصية الكبرى التي بدورها تتمخَض عن البنية الكلية للنص، وتُشَكِّلُها؛ مما يضفي على النص تماسكًا وتعالقًا متينًا كالنسيج الواحد، في بنية واحدة متعاضدة، فتأخذ كل بنية من البنى الكبرى والصغرى برقاب بعضها؛ لتصب في قالب البنية الكلية للنص، في إطار سياقه العام بما فيه من علائق ترابطية قائمة بين مكوناته المتتابعة [1]، فأضحت البنية الكلية وسطا جامعا يضم تحت جناحيه بنيتين.

تأتي البنية النصية في قوله: "قال الهيثم بن عدي : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب، دعا بمسلم بن عقبة المرّي، والضحاك بن قيس الفهري"، بنية خارجة عن نص الخطبة، غير مشكّلة في عوالمه الداخلية، وإذا ما دققنا في البنى النصية الصغرى التى تفرعت عن البنية النصية الكبرى الأولى نجد أن جلّها يتمحور حول كيفية تعامل يزيد بن معاوية مع أقاليم الدولة الإسلامية حال تنصيبه خليفة للمسلمين، وهي على النحو الآتي:

"انظر أهل الحجاز...، انظر أهل العراق ...، انظر أهل الشام ..."

جاءت هذه البنى بصيغة واحدة متناغمة الإيقاع متعددة الأفكار، فجاءت جميعها بصيغة الأمر. لكنّها على ما يبدو صحبت معها نظرة مستقبلية لأحداث يتوقعها معاوية، نظرة تحمل طابع الوصايا والخبرة، فكأنه العالم الخبير بأحوال هذه البلاد وأحوال أهلها، فها هو ذا يرسم لابنه خريطة المستقبل في كيفية التعامل مع هذه البلاد.

"ولست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي"

يظهر التحذير جليا في البنية النصية السابقة، ولم يخش معاوية ذكر معارضيه بالأسماء، فمن الواضح أنه كان على دراية وعلم بنياتهم المخبوءة خاصة وأنه كان له صولات وجولات معهم، ويعلم علم اليقين أن منهم مَنْ لن يبايع يزيد بالخلافة، فمن كان في خلاف دموي طويل الأمد مع معاوية سيكون بلا شك في خلاف مع ابن معاوية.

[1]. ينظر: المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ط٢، الدار العربية للكتاب، تونس،١٩٨٢م، ص١٧٥.

سادسا: العلاقات الدلالية

يعرفها سعد مصلوح بأنها: "حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كل حلقة اتصال نوعا من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به؛ بأن تحمل عليه وصفا أو حكما، أو تحدد له هيئة أو شكلا، وقد تتجلى في شكل روابط لغوية، واضحة في ظاهر النص، كما تكون أحيانا علاقات ضمنية يضفيها المتلقي على النص، وبها يستطيع أن يوجد له مغزى بطريق الاستنباط، وهنا يكون النص موضوعا لاختلاف التأويل"[1]، والعلاقات الدلالية متعددة متنوعة [2]، سيقف الباحث على بعضها، خاصة تلك التي أفضت إلى انسجام الخطبة.

تعمل هذه العلاقات على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية النص [3]، ولما كان الأصل في كل نص أن يكون متجانسا، كان لا بد من أن يخضع لترتيب ما يحقق لها غاية الانسجام والتماسك، فجاءت هذه العلاقات لتتعدى الترابط الشكلي إلى ما هو أبعد وأعمق.

علاقة الإجمال والتفصيل

تعدّ من أبرز العلاقات الدلالية التي ركز عليها علماء النص؛ لكونها تضمن اتصالا لمقاطع النصية بعضها ببعض، بفضل ما تمنحه هذه العلاقة من استمرارية دلالية بين مقاطع النص [4]، وهي تعني "إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه"[5].

علاقتها وثيقة بتحقيق النصية، من خلال ذكر قضية مجملة، ثم تطرح قضايا أخرى مفصلة لها تحمل دلالات ومعاني تساعد المتلقي على الفهم والاستيعاب، لذا تعمل هذه العلاقة على تلاحم القضايا عندما تكون دلالة عبارة ما مكثفة وفي جملة واحدة غالبا؛ تأتي الأخرى مفصلة أحيانا، ومفسرة أحيانا أخر، وفي جمل متعددة.

---

[1]. مصلوح، سعد: نحو أجرومية للنص الشعري، ص154.

[2]. ينظر في أنواع العلاقات الدلالية تصنيف جميل عبد المجيد استنادا إلى دراسة أوجين نايدا، ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية،ص142.

[3]. ينظر: مداس، أحمد: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م، ص83.

[4]. ينظر: خطابي، محمد: لسانيات النص، ص272.

[5]. عبد المجيد، جميل: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص146.

يعدّ العنوان، غالبا، مجملا لقضايا النص، ولكن على الرغم من غياب العنوان لخطبة معاوية، فإننا نزعم أن القضية العامة المتحدث عنها في الخطبة باتت واضحة من خلال الفلك الذي تدور حوله، وهي تثبيت ركائز الحكم لابنه يزيد من بعده، فجاء كلامه عن الحجاز والعراق والشام، وكلامه عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، مجملا، انتقل بعدها لتفصيلات كل بلدة وكل صحابي على انفراد.

فانظر الى قوله: " ولست أخاف عليك غير عبد لله بن عمر، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي؛ فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع، وأما الحسين فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا"، فقد تمثّل الإجمال في التحذير من عبد لله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، ثم فصّل هذا الإجمال بوضع الخطط المناسبة للتعامل مع كل واحد منهم.

لذا فقد خرج المتلقي من دائرة التأويلات؛ بعد أن جاء قول الخطيب ليفصّل هذا الإجمال وبهذا التفصيل حبك النص وظهر انسجامه، إذ إن الجمل التالية تشترك في دلالة واحدة.

علاقة السبب بالنتيجة

تعد من أبرز العلاقات الدلالية؛ لما لها من قدرة على التأثير في المتلقي، فيحرص المتكلم على جعل بعض الأحداث أسبابا لأحداث أخرى، وهي علاقة شبه منطقية تجعل النص يحاكي نصوصا منطقية في ترابط أجزائها، وتناسق أفكارها[1].

إذا ما أمعنا النظر نجد أن هذه العلاقة ماثلة في قول معاوية: " وانظر أهل العراق، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سلّ مئة ألف سيف "، فالنتيجة الحتمية التي يصبو إليها معاوية مطاوعة ابنه أهل العراق فيما يطلبون، فالإذعان بعزل ولاة أمورهم إن طلبوا ذلك نتيجة لما قد يسببه ذلك من ثورة أهل العراق عليه.

ومثال هذه العلاقة من الخطبة أيضا قوله: " ثم انظر أهل الشام، فاجعلهم الشعار دون الدّثار، فإن رابك من عدوّ ريب فارمه بهم ، فإن أظفرك الله، فاردد أهل الشام إلى بلادهم، لا يقيموا في غير

[1]. ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011م، ص327.

بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم "، فالعلاقة السابقة واضحة؛ إذ لا توجد النتيجة إلا بوجود السبب، فالنتيجة الحتمية التي يسعى إليها معاوية هي عدم إقامة أهل الشام في غير بلادهم، والسبب حتى لا يتأدبوا بآداب تلك البلاد.

علاقة الشرط والجزاء

هي ترتيب أمر على آخر بأداة من أدوات الشرط التي تستعمل في هذا الترتيب، والشرط يعني وقوع الشيء لوقوع غيره[1]، فالجملة الشرطية تربط بين حدثين: أحدهما سبب والآخر نتيجة، فمن خلال الأداة يتم الربط بين الجملتين، لولا هذا لما كان ثمة صلة بين الطرفين.

هذه العلاقة الدلالية تفيد في بناء موضوع الخطبة من خلال الربط بين سلسلة من الجمل مما يشكل عناقيد من الدلالات، كما أنها تعد وسيلة لأداء الوظيفة التعليمية بإظهار الفصاحة[2].

تتميز هذه العلاقة بأنها تجعل الشرط يقتضي تلك النتيجة اقتضاء، والعكس صحيح، فتغدو العلاقة ضربا من التلازم بين الشرط والجواب[3]، ومن أمثلة الترابط الشرطي الموجود في نص معاوية :

فمن أتاك منهم فأكرمه

ومن قعد عنك فتعاهده

فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم

فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سلّ مائة ألف سيف

فإن رابك من عدوّ ريب فارمه بهم

فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم

فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا

---

[1]. ينظر: المبرد، أبو العباس: المقتضب، تح: محمد عضيمة، ط 1، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994م، 234/2، وينظر: ابن يعيش، بن علي، شرح المفصل، 123/7.

[2]. ينظر: شبل محمد، عزة: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2019م، ص 212.

[3]. ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص335.

فالملاحظ أن هذه العلاقة أسلمت إلى توسيع النص، فهي لم تقف على حدود جملة واحدة، بل تعدتها إلى أكثر من ذلك، وربطت جملة لاحقة بجملة سابقة، وهو أمر يسهل على المتلقي فهمه وملاحظته؛ إذ تألفت أساليب الشرط السابقة من أداة الشرط، وفعل الشرط، وجواب الشرط، فلا حاجة للمتلقي للاستعانة بوسائل لمعرفة النص كالتأويل مثلا؛ لأن النتائج في هذه العلاقة منطقية.

الخطبة الثانية: خطبة هارون الرشيد

الخطبة نصا: "الحمد لله؛ نحمده على نعمه، ونستعينه على طاعته، ونستنصره على أعدائه، ونؤمن به حقا، ونتوكل عليه مفوّضين إليه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بعثه الله على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وإدبار من الدنيا، وإقبال من الآخرة؛ بشيرا بالنعيم المقيم؛ ونذيرا بين يدي عذاب أليم، فبلّغ الرسالة، ونصح الأمّة، وجاهد في الله، فأدّى عن الله وعده ووعيده حتى أتاه اليقين؛ فعلى النّبي من الله صلاة ورحمة وسلام.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله؛ فإن في التقوى تكفير السيئات، وتضعيف الحسنات، وفوزا بالجنة، ونجاة من النار؛ وأحذركم يوما تشخص فيه الأبصار، وتبلى فيه الأسرار، يوم البعث ويوم التغابن، ويوم التلاقي ويوم التنادي، يوم لا يستعتب من سيئة ولا يزداد من حسنة؛ يَوْمَ الْآزِفَةِ، إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ كاظِمِينَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ، يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ

... (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)[1].

عباد الله؛ إنكم لم تخلقوا عبثا، ولن تتركوا سدى؛ حصّنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع، وصلاتكم بالزكاة؛ فقد جاء في الخبر أن النبي – صلّى الله عليه وسلم– قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، ولا صلاة لمن لا زكاة له ". إنكم سفر مجتازون وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة، وإلى الرحمة بالتقوى، وإلى الهدى بالأمانة، فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين، ومغفرته للتائبين، وهداه للمنيبين؛ قال الله عز وجل وقوله الحق:

[1]. البقرة: آية281.

(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ)[1]، وقال:

(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى)[2].

وإياكم والأماني، فقد غرّت وأوردت وأبقت كثيرا حتى أكذبتهم مناياهم، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد، وحيل بينهم وبين ما يشتهون؛ فأخبركم ربّكم عن المثلات فيهم، وصرّف الآيات، وضرب الأمثال، فرغّب بالوعد وقدّم إليكم الوعيد، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلا فجيلا، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم، ومن بين أظهركم، لا تدفعون عنهم، ولا تحولون دونهم، فزالت عنهم الدنيا، وانقطعت بهم الأسباب، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى

إنّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله؛ يقول الله عز وجل : (وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم، بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)[3]

آمركم بما أمركم الله به، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، وأستغفر الله لي ولكم"[4].

الخطبة تحليلا

آليات الانسجام في خطبة هارون الرشيد

أولا: السياق

أداة يستطيع الباحث من خلالها الوصول إلى المواطن الخفية في النص، ويتأتى ذلك من خلال الوقوف عند طرفي الخطاب، وثنائية الزمان والمكان، ونقطتي الابتداء والانتهاء، وفيما يأتي شرح وتبيان لكل مطلب منها.

---

[1]. الأعراف: آية156.

[2]. طه: آية82.

[3]. الإخلاص: آية 1ـ 4.

[4]. الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، 190/4.

• طرفا الخطاب: المتكلم والمتلقي

يعدّ المتكلم "الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ بالكلام من أجل التعبير عن مقاصد معينة وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية المناسبة"[1].

وهارون الرشيد، الخليفة الخامس من خلفاء بني العباس (170هـ - 193هـ)، ويُعدُّ الرشيد أشهر خلفاء العباسيين وأبعدهم صيتًا، فقد ملأت أخباره كتب التاريخ شرقًا وغربًا.

بُويِع لِلرَشِيد هَارون بن محمد بن عبد اللَّهِ بن محمّد بن علِي بن عبد اللَّهِ بن عباس بالخلَافة في الليلَة التِي مات فيها الهادي، وكان عمره، حِين ولي، اثنتيْن وعشرين سنة، وأمّهُ الْخَيْزُرَانُ أمُّ ولد، يمانيَّةٌ، جُرَشِيَّةٌ[2]

وتوفي– فيما ذكر– في موضع يدعى المثَقّب، في دار حَميد بْن أبي غانم، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما [3]. كان الرشيد متدينا ورعا، محافظا على التكاليف الشرعية، متمسكا بنصوص الكتاب والسنة، كان يحج إن لم يغز، فهو بين حج وغزو طيلة حياته[4].

اهتم الرشيد بإقامة العدل فى الناس، فأمر بإعادة الأراضى التى اغتصبها أهل بيته فى عهد الخلفاء السابقين إلى أصحابها، ورفع الظلم عن المسجونين ظلمًا، وقسم أموال ذو ي القربى بين بنى هاشم كلهم بالعدل، وأصدر عفوًا عن المعتقلين السياسيين، فأخرج من كان فى السجن من العلويين، وسمح لهم بالعودة إلى المدينة، ومنحهم الرواتب، كما أجرى الرشيد تعديلات واسعة فى مناصب الدولة فى كل من مكة والمدينة والطائف والكوفة وخراسان وغيرها[5].

تتحد الخطبة في دائرتين: دائرة المتكلم ودائرة المستمعين (المتلقين)، ونلمح ذلك من خلال استخدام الخطيب لـ(أنا)، و(أنتم)، وقد كان التواصل بين هذين الطرفين متوازيا، ولم يكن الخطاب في هذه الخطبة موجها لعموم الناس، بل خص به جماعة المؤمنين الحاضرين أمامه، حين خاطبهم بقوله:

---

[1]. الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004م، ص45.

[2]. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 273/5.

[3]. الطبري، أبو جعفر: تاريخ الطبري، 345/8.

[4]. طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009م، ص91.

[5]. السابق: ص94.

عباد الله، فما يقدمه هارون الرشيد من نصائح ووصايا لا يقصد به ذاته بقدر ما يقصد جمهور المستمعين، فالطرف الثاني من الخطاب المرسل إليه لا يقل شأنا عن المرسل، بل هو العنصر الأساس في هذه الخطبة.

ويبقى السؤال المطروح هنا: ما العلاقة بين طرفي الخطاب؟ يبدو أن العلاقة الدلالية بين المتكلم والمخاطب يطغى عليها حرص المتكلم على أمته، وجمهور المستمعين على وجه الخصوص، فخطبته تحذر الناس من الدنيا وفتن ها ، كيلا تنسيهم الآخرة دار القرار، فجاءت بمثابة تقديم النصيحة لخاصته فيما يعود عليهم بالنفع ويصب في مصلحتهم الشخصية، وهدفها خوفه من تأثير الدنيا في رعيته، والترغيب فيما عند الله من جنة تعوض عن الدنيا كلها ، فنصه أقرب إلى الوصية والموعظة منه إلى الخطبة، وما على الرعية والمستمعين إلا الإصغاء والاستماع لما وجه لهم من وصايا، والمسارعة بالعمل تطبيقا لما جاءت به الخطبة.

- **ثنائية الزمان والمكان**

تكشف لنا هذه الثنائية عن الجوانب الخفية في السياق، فضلا عن دورهما البارز في حبك النص وتماسكه، وجاءت الخطبة على ثلاثة أزمنة، موضحة في الجدول الآتي:

الزمن	موضوع الزمن
الماضي	يكشف فيه عن الرسالة المحمدية والغاية منها، وسبل الرشاد التي جاء بها سيد الكون محمد عليه السلام، ثم جاءت لتصور أحوال أمم سابقة وما حل بها من غضب الله.
الحاضر	جاءت الخطبة في هذا الزمن لتقدم الوصايا والنصائح بتقوى الله، والعمل لليوم الآخر.
المستقبل	التحذير من اليوم الآخر، والعمل لما بعد الموت، والحرص على مجمل العبادات.

أما المكان فيتضح للقارئ أن المكان المناسب لهذه الخطبة هو المنبر، فمنه كان الخلفاء يبثون نصائحهم ومواعظهم للناس، فشكل فضاءً مغلقا اجتمع فيه الحاضرون تحت سقف واحد، مما سمح

للخطيب أن يوصل صوته للجميع، فغدا هذا المكان مصدرا لنقل الأخبار والتأثير في المتلقي، وهذا ما قام به المرسل، إذ خص الحاضرين بهذه الوصايا؛ لأنهم المستهدفون بهذا الخطاب.

- **نقطتا الابتداء والانتهاء**

نجد في خطبة هارون الرشيد أن البداية توجت في نصه بالحمد والثناء على الله جل وعلا، والصلاة والتسليم على من بعث رحمة للعالمين، فجاءت هذه البداية فاتحة للكلام، و"الوحدة البنائية الأولى من النص... تفتح للخطاب قناة الاتصال" [1]، وقد جاء هذا الكلام مناسبا لما اشتملت عليه الخطبة من مواعظ ووصايا تدعو إلى جوانب عقدية مهمة.

أما نقطة الانتهاء فهي آخر ما يتبقى من الخطبة في الأسماع، فإن كان الابتداء مفتاح النص ، فالانتهاء قفلته المحكمة على عناصره البنائية[2]، وقد أحسن الخطيب صنعا حين أنهى خطبته بآيات من الذكر الحكيم ترتبط بوحدانية الله وتدعو إلى عدم الإشراك به، وهو ارتباط وثيق مع ما جاء في متن الخطبة، كما يلاحظ أسلوب الأمر الذي ختم الخطيب خطبته به، وهو أمر يحمل بداخله معنى النصح والإرشاد، من خليفة حريص على مصلحة رعيته، أمين عليهم، وناصح لهم.

ثانيا: البنية الكلية (موضوع الخطبة)

يتمحور موضوع نص الخطبة حول فكرة أساسية تشكل نواة المضمون، يطلق عليها "ال ثيمة"، أي موضوع التصور اليومي لحدث ما، يستخلصها القارئ من خلال فهمه للنص بكليته، ولا يعدل عنها الخطيب، وتبقى محورا رئيسا يدور حوله نظم الجمل من بدايتها حتى قفلتها، تتجلى من خلال جملة معينة تؤخذ من النص أو من خلال العنوان ، أو ما يتحقق لنا من خلال تجريد المضمون واستخراجه بعبارة موجزة، تعدّ ملخصا لكل ما ذكر فيه، تنشأ من سلْمِيّة الموضوعات الفرعية المتدرجة في الموضوع الرئيس[3].

---

[1]. العبد، محمد: النص والخطاب والاتصال، ص92.

[2]. ينظر: القيرواني، ابن رشيق، العمدة، 1\239.

[3]. ينظر: برينكر، كلاوس: التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد بحيري، ط 1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص72-75.

تختزل البنية الكلية الإخبار الدلالي وتنظمه وتصنفه، ويرى آخرون أن موضوع الخطاب أو البنية الكلية له هي المركز المنظّم لقدر كبير منه، وهو القضية التي تحظى باهتمام مباشر[1].

بإمكان الخطيب أن يحدد مضمون خطبته حسب حاجة المتلقي، وفي أغراض متعددة سياسية كانت أو دينية أو اجتماعية، وهذه الخطبة وجهتها دينية، الهدف منها التوعية بأمور الدين، وصولا إلى أساسيات العقيدة الاسلامية، فحديث الخطيب يتمحور حول الركائز الأساسية التي بني عليها الدين الإسلامي، وأهمها التوبة تارة، والتحذير من هوى النفس، والتذكير بالموت والقرون التي خلت تارة أخرى.

وكان الموضوع موجها للمتلقي بلفظة "عباد"، من خلال الألفاظ المنتقاة البعيدة عن الإطناب والزيادة، فجاءت الأفكار موجزة معبرة عن الغاية الأساسية من خلال أساليب واضحة، تعود بالفائدة التي يسعى الخطيب إلى إيصالها، فكانت وسائل الوصول إلى المغفرة والرحمة والهدى موجزة في عباراتها، سهلة المبتغى.

ثالثا: البنية النصية الكبرى

والبنية النصية الكبرى هي مخاض البنية الكلية النصية، فتتوزع في نص الخطبة إلى بنيتين كبريين:

البنية النصية الكبرى الأولى، وهي تتمثل في افتتاحية الخطبة بحمد الله والثناء عليه، إقتداء بما ألفوه عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ما يترك أثرا بالغا في تهيئة نفوس السامعين، وتمنح النص شيئا من الجاذبية لدى المتلقين، "فحسن الافتتاح داعية الانشراح، ومظنة النجاح" [2]؛ إذ إن حمد الله يستدعي تعداد نعمه وصفاته، ما يستدعي حمد الله والثناء عليه، فقد روي عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنّه قال: " كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ بحمد الله فهو أجذم" ، وقوله: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم يصلّي على النبي، ثم ليدع بعد بما يشاء"[3].

---

[1]. ينظر: عبابنة، يحيى، وآمنة الزعبي: عناصر الاتساق والانسجام النصي، قراءة نصية تحليلية في قصيدة "أغنية لشهر أيار"، مجلة جامعة دمشق، مج:٢٩، عدد١+٢ ،٢٠١٣م، ص٥٨.

[2]. القيرواني، ابن رشيق: العمدة، 388/1.

[3]. الترمذي، محمد بن عيسى: صحيح سنن الترمذي، تح: محمد الألباني، مكتبة المعارف، 1998م، ص٣٤٧٧، وقال: حديث حسن صحيح.

البنية النصية الكبرى الثانية وهي الحمالة لمضامين النص ودلالاتها الأساسية، وتنتظم هذه البنية بالدلالات الآتية:

ـ تقوى الله: وتتجلى معاني ذلك في المسارعة إلى الحسنات، والعمل ليوم القيامة.

ـ الحث على الأمانة والحفاظ على العهود والزكاة: وقد اتضح ذلك في ما أورده من الآيات والأحاديث النبوية ليدلل على ذلك.

ـ التحذير من الأماني، وعاقبة ذلك: وقد ساق الخطيب أمثلة على القرون الأولى وما حل بهم نتاج أفعالهم، والدعوة للعمل لما بعد الموت.

رابعا: ترتيب الخطاب

مسألة ترتيب الخطاب ليست بالأمر الهين، بل تحتاج إلى حذق ومهارة وحسّ، يكمن منشئه من أن يتفهم منازل المعاني والأغراض، ويعرف أيها أصل وأيها فرع، وأيها أجدر بالبدء، وأيها حقيق بالختام، وأي الأغراض أصلح أن يكون في الموضع بينهما [1]؛ لأن الخطيب "يرتب المعاني في نفسه، وينَزِّلها، ويَبْني بعضها على بعض... يرتِّب الفروعَ على الأصول، ويتبع المعنى المعنى، ويلحق النظيرَ بالنظير"[2].

فانتقال الخطيب من العام الى الخاص بدا واضحا في خطبته، ف أسلوب النداء(عباد الله) خطاب عام لجميع المستمعين، جاء للتذكير بقواعد العقيدة الإسلامية أركانها، لينتقل بعدها انتقالًا سلسا مفعما بالانسجام إلى جوانب خاصة ترتبط ارتباطا مباشرا بالغرض العام؛ إذْ لا بد من وجود علائق تربط بين بنية وأخرى، سابقة لها كانت أ و لاحقة، وفق مرجعية جامعة، وقد تكون هذه العلائق ظاهرة، وقد تكون غير ظاهرة؛ لذا فإن متانة التماسك النصي تعتمد على مدى تحقُّق المرجعية بين بنية نصية وأخرى[3].

---

[1]. بريجة، عثمان وبلقاسم مالكية: المقصدية وترتيب الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، عدد25، 2016م، ص73.

[2]. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، ص53.

[3]. ينظر: الفقي، صبحي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 2/ 93.

فجاءت العبارات في بدايتها لينة، فكانت أخف حدة من العبارات اللاحقة، تمثلت في وصايا الخليفة إلى رعيته، من خلال العمل على تقوى الله، والاستعداد لليوم الآخر، والعمل لما بعد الموت، لينتقل بعدها إلى أسلوب التحذير بشكل أكثر حدة، وهو تحذير مرتبط بالخوف عليهم، آخذا العبرة من القرون التي خلتوالعمل لما بعد الموت.

البنى النصية الصغرى

وهذه البنى جزء أصيل من البنى النصية الكبرى، و المتمعن في لبنة النصية الكبرى الأولى التي تمثل افتتاحية النص يجد أنها ابتدأت بالحمد والثناء على الله، مناجيا ومستعطفا وخاضعا، واتباع رسالة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، مادحا وواصفا ومقتديا.

وإذا ما انتقلنا إلى البنية النصية الكبرى الثانية التي تحمل مضامين النص الأساس، ونظرنا إليها نظرةً توزيعية تفكيكية؛ من أجل رصد العلائق الدلالية بين مكونات النص، وهو ما يسمى بالتأويل[1]، فإننا نتحصل على البنى النصية الصغرى الآتية:

" **أوصيكم عباد الله بتقوى الله**"

يبدأ هارون الرشيد خطبته باللفظة الأساسية التي ارتكزت عليها خطبته، فقوله: "أوصيكم" دلّ بلا ريب على أن الهدف الأساس من الخطبة هو الوصية، علاوة على ما فيه من توجيه ذهن المتلقين إلى ربط ما سيأتي من بنى نصية بما بعدها.

كما يبدأ الخطاب بجملة إنشائية طلبية لاحتوائها على النداء، وهي بنية دلالية تستقطب السامعين، ولكن من السامعون الذين يقصدهم الخطيب بخطابه؟ لقد جاء هذا الخطاب موجها إلى جماعته المؤمنين، حين قال "عباد الله"، فاستعمال الخطيب للعبارات التي تحمل عمقا إيمانيا ونفسيا جذب السامعين إلى الإصغاء له، فمناداة المخاطبين بحقيقتهم كان له الأثر الشعوري في سرعة الاستجابة والاستماع، فهو على يقين أن تلكم الوصايا لن يعيها ويعمل ما بها إلا الذين آمنوا وانضووا تحت راية الاسلام.

[1]. بنظر: نعامنة، عماد: عناصر الانسجام النصي في خطبة البيعة، ص362.

وأسلوب النداء بهذه الصورة دون غيرها جعل ألفاظ الخطبة تدور في محور واحد، وهي ألفاظ إيمانية عقدية، سهلة واضحة لجماعة المخاطبين، من حقل دلالي ينتسب إلى مدارك المخاطبين وثقافتهم.

جاءت وصيته الأولى مرتبطة بتقوى الله؛ والتحذير من اليوم الآخر؛ لما يترتب على ذلك من نتائج، ففي التقوى مضاعفة للأجر، وفوز بالنعيم، ونجاة من العذاب، وفي اليوم الآخر تجزى كل نفس بما قدمت، وحتى تكون هذه العبارات حجّة على السامعين نجد الخطيب بين الفينة والأخرى يقدم ما عنده مستندا إلى ما تنزل في الفرقان الحكيم من آي.

"عباد الله؛ إنكم لم تخلقوا عبثا، ولن تتركوا سدى؛ حصّنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع، وصلاتكم بالزكاة".

يستكمل الخطيب ما بدأ به خطبته؛ ليحقق بذلك تماسكا نصيا في اعتماد اللاحق على السابق، وأن الخطبة روح واحدة لا يفصل بينها فاصل، فيضع بين يدي سامعيه مجموعة من الوصايا التي تمثل جانبا من جوانب العقيدة الإسلامية، حين يوصيهم بالأمانة والعهود والزكاة.

"وإياكم والأماني، فقد غرّت وأوردت وأبقت كثيرا حتى أكذبتهم مناياهم".

تسير البنى على نسق واحد مع ما سبقها من كلام موجه للعباد، ولكن هذه المرة بأسلوب التحذير، فالخطاب تعالت حدته آن اقترابه من النهاية للقفلة، حتى يبقى أمر هذا التحذير عالقا في الأذهان، وهو تحذير مرتبط بخوف الخطيب على رعيته؛ حتى لا يحل بهم ما حل بالقرون الأولى من سخط الله ووعيده، خوف مرتبط بيوم القيامة، فيجزى كل امرئ بما قدّم؛ فيجعل أمر آخرتهم بأيديهم فإما الفوز، وإما الخسران المبين.

ولم يكتف هارون الرشيد بهذا القدر من البنى النصية، بل ضمن خطبته العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاءت مناسبة لسياق الحال الذي قيلت فيه، ومن الاقتباسات الواردة في خطبته نورد بعض النماذج:

(وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)[1].

(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ)[2].

(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى)[3].

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)[4].

"لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، ولا صلاة لمن لا زكاة له".

فالملاحظ على الاقتباسات السابقة، وهي ضرب من ضروب التناص، أنها جاءت مناسبة للبنى النصية الصغرى، فمنها ما ارتبط بالعمل لليوم الآخر، وقسم ارتبط بحديثه عن التوبة والوفاء بالعهود، وفي تأكيد وحدانية الله جل وعلا، وهو ما يؤدي ثلاث غايات: أولاها أن ما جاء به في متن خطبته لم يأت به من بنات أفكاره، بل هو مبثوث في كتاب الله وسنة نبيه، فجاء بما جاء مستندا إلى الهدي الرباني، والأقوال المحمدية، وثانيتها ليدلل على مخزونه الديني العقائدي، وأن منهجه واضح لا لَبْس فيه، وثالثتها ليعضد بهذا التناص العقدي فكرته الرئيسة، ومقولته الكلية.

وخلاصة الخطبة الآخذة بالإيجاز لدورة حياة الإنسان، ومنهجه في الحياة أنه جيء بها لدرء المفاسد، وإنارة الطريق للأمة، كي لا تلعب بهم أهواؤهم، وينسوا حق الله عليهم، ولذلك اتحدت وتكاتفت الوحدات اللغوية لتدور حول موضوع معالم الله وحدودها بلسان عربي مبين، ولغة سهلة الفهم، قريبة التناول؛ لأن الموضوع لا يحتاج إلى تكلف أو غريب لفظ، فهدفها جليّ، ضمّت بقية المعايير النصية من المقصدية باستخدام النص للوصول إلى قصدية ما، ومن مقبولية قيلت فيما يحتاجه السامع، وما يؤثر في المسامع والأفئدة، ويحرك فيها ما كان ساكنا ومغيبا عن ذكر الله، والإعلامية بتوقع ما سيأتي من قول، فالجنة تقابلها النار، وكذلك دواليك من عُرف السامع، ورعاية الموقف ومناسبته في الزمان والمكان اللذين قيلت فيهما، وأما التناص فظاهر الحضور، خادم لما يرمي إليه من هدف ودعوة، وإبلاغ وتبليغ، تناص من القرآن الكريم وما يؤول إليه من هدف سام.

---

[1]. البقرة: آية281.

[2]. الأعراف: آية156.

[3]. طه: آية82.

[4]. الإخلاص: آية 1ـ 4.

العلاقات الدلالية

"لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفا تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكًا في ذلك بناء اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه"[1]، فهي خريطة يتم التوصل بها إلى قضايا النص؛ لأن القضايا هي لبنات الخطاب، فإن البحث في علاقات الخطاب يتعلق بتلك الروابط بين هذه اللبنات[2].

تُؤْذن العلاقات الدلالية بوصف بنية النص، فضلا عن تنظيم أحداثه، فالنص مهما كان هو عبارة عن مجموعة من القضايا مرتبطة مع بعضها، وهو ترابط يقوم على العلاقات الدلالية، وسيسعى الباحث من خلال الخطبة السابقة إلى رصد مجموعة من العلاقات الدلالية التي تسعى إلى دمج أجزاء النص المتباعدة وجمعها، ومن هذه العلاقات:

علاقة الإجمال والتفصيل

هي علاقة وطيدة الصلة بتحقيق النصية، فهي تقوم على ذكر قضية مجملة في بداية أي نص، ثم يتم بعد ذلك طرح قضايا أخرى مفصلة لها تحمل دلالات ومعاني مكثفة تساعد القارئ على الفهم والاستيعاب[3]، وهي " إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة"[4].

فذكر الخطيب الله – سبحانه وتعالى – في بداية الكلام، ثم عرج بعد ذلك على الحديث عن صفاته ويمكن التمثيل لهذه العلاقة التفصيلية على هذا النحو:

---

[1]. خطابي، محمد: لسانيات النص، 269.

[2]. ينظر: الفقي، صبحي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص187.

[3]. ينظر: جاهمي، آمنة: آليات الانسجام النصي، ص89.

[4]. خطابي، محمد: لسانيات النص، ص272.

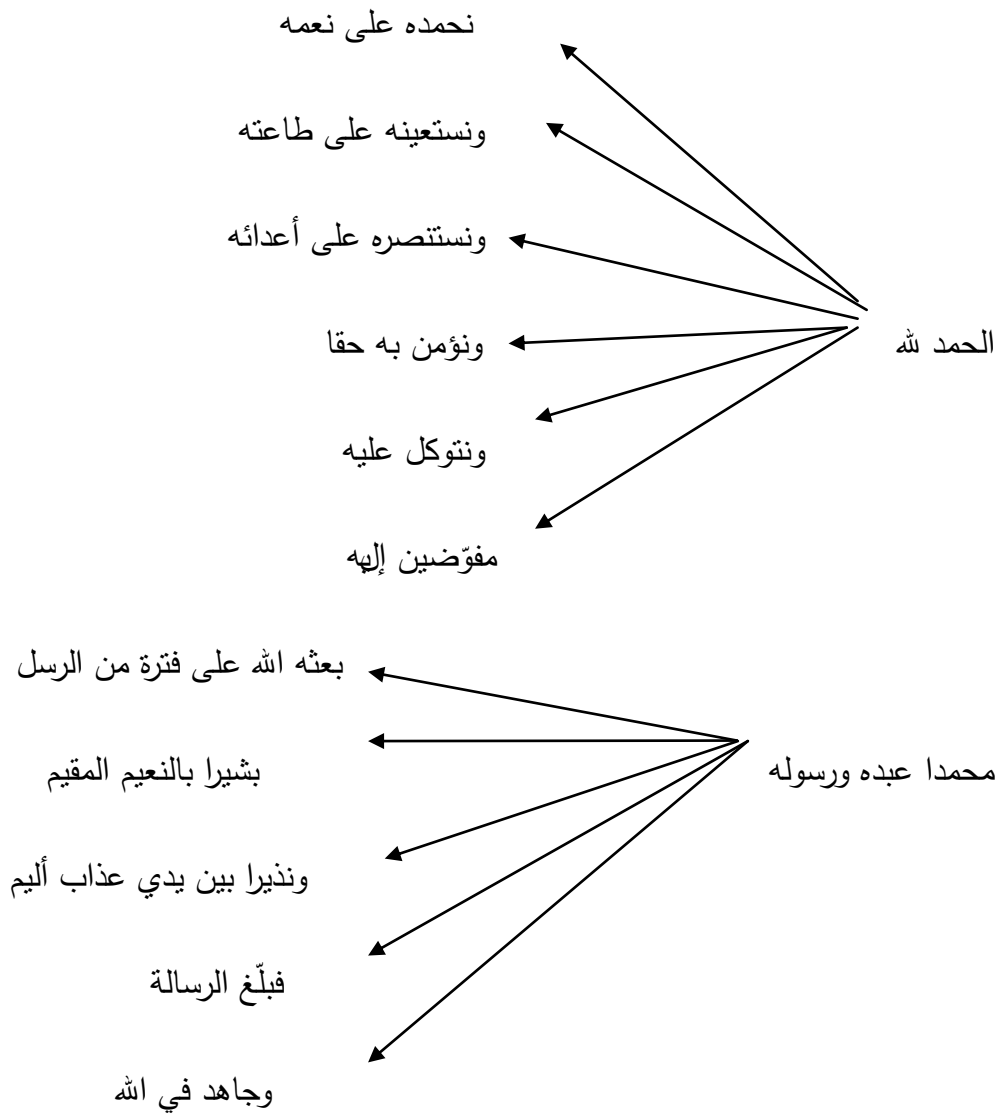

فللمرسل هارون الرشيد ، بدأ حديثه بالاستهلال التعبدي، فكأن العبارتين "الحمد لله"، "محمد عبده ورسوله" كانتا الأساس الذي استند إليه الخطيب في التفرعات التالية، فكان التركيب اللفظي "الحمد الله" بمثابة الجذر الكلامي الذي انبثقت منه كل التفرعات الكلامية بما ينشئ تشجيرا نصيا يقود إلى تشجير دلالي واستدلالي في الوقت ذاته، فالجمل والعبارات الفرعية تعدّ تفصيلا وتفسيرا للعبارتين الأم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على قدرة الخطيب في استنباط العبارات الفرعية التي ترتبط بشكل مباشر بالعبارة الأساس.

وقد أفضت المحددات التفصيلية عن الله – تبارك وتعالى – تارة، وعن رسوله المصطفى – صلى الله عليه وسلم – تارة أخرى، إلى تحقيق فاعلية كبرى في تماسك النص؛ لاقتران المقام الإلهي والنبوي معا.

والتفصيل بعد الإجمال ذو علاقة وطيدة بالتحفيز والإسراع في أداء الواجبات، وعمل الخيرات، وهو ما وجد عند هارون الرشيد في طرق النصح والإرشاد والتحذير التي بثها لجمهور المستمعين كقوله: "وأحذركم يوما تشخص فيه الأبصار، وتبلى فيه الأسرار، يوم البعث ، ويوم التغابن، ويوم التلاقي ، ويوم التنادي، يوم لا يستعتب من سيئة، ولا يزداد من حسنة؛ يَوْمَ الْآزِفَةِ، إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ "، فالتحذير من اليوم الآخر جاء مجملا، ثم جاءت تلكم التفصيلات في صورة ذلك الموقف العظيم، وقد زاد هذا التفصيل في تحديد مراد النص، وربط هذه الجمل دلاليا، فكل جملة منها مرتبطة بالجملة الإجمالية الأولى.

علاقة السبب بالنتيجة

تعرف هذه العلاقة بأنها: "علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الآخر" [1]، وهي من العلاقات الدلالية البارزة؛ لما لها قدرة في التأثير في المتلقي، فهي علاقات تتابعية، تأتي بعض الأحداث فيها أسبابا لأحداث أخرى، ولعلاقة السبب بالنتيجة سهمة كبيرة في حبك النص وانسجامه؛ لأنها تتجاوز الربط بين جملتين إلى مجموعة من الجمل المتتالية[2].

ومن أمثلة هذه العلاقة الواردة في خطبة هارون الرشيد:

"أوصيكم عباد الله بتقوى الله؛ فإن في التقوى تكفير السيئات، وتضعيف الحسنات، وفوزا بالجنة، ونجاة من النا ر"، فقول الخطيب: أوصيكم بتقوى الله سبب ترتب عليه نتائج عدة، ففيها تكفير للسيئات، ومضاعفة للحسنات، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، لذا نجد أن السبب (تقوى الله)، ترتب عليه نتائج أربع.

---

[1]. عبد المجيد، جميل: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص142.

[2]. ينظر: شبل محمد، عزة:علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص208.

ومن روائع الخطيب وإبداعه وقدرته على سبك خطبته بأسلوب ماتع أن جاء بأسباب بين نتيجتين، ففي قوله: "وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة، وإلى الرحمة بالتقوى، وإلى الهدى بالأمانة، فإن الله _ تعالى ذكره _ أوجب رحمته للمتقين، ومغفرته للتائبين، وهداه للمنيبين؛ قال الله _ عز وجل _ وقوله الحق: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ)[1]، وقال: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى)[2].

نجد أن نتائج الآخرة وما يتصل بها من جزاء وثواب مرتبطة بأسباب التوبة والتقوى والأمانة، والتي من شأنها أن تقود إلى نتائج مماثلة في الرحمة والمغفرة والهدى، فأبقت هذه العلاقة ذهن المتلقي متفتحا متشوقا لمعرفة النتائج المترتبة على تلكم الأسباب.

ومن جميل السبك الواضح في العبارة السابقة، يظهر اقتباس الخطيب لآيات من القرآن تلائم ما سبقها من سبب ونتيجة، فالآيات تنتهي بنتيجة (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) و (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى)، فانسجام الآيات مع ما سبقها من وحدات لغوية لم يأت عبثا، بل قصد به الرشيد أن لكل سبب نتيجة يقود إليها، ويسهل الحصول عليه.

علاقة التفسير

في هذه العلاقة يقدم الخطيب تفسيرا لما يعتقد أنه بحاجة لتوضيح للمتلقي، ومن الأمثلة التي تبرز هذه العلاقة، والتي أفضت إلى حبك النص قول الرشيد: " وإياكم والأماني، فقد غرّت وأوردت وأبقت كثيرا حتى أكذبتهم مناياهم، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد، وحيل بينهم وبين ما يشتهون"، فاستدعت الحاجة من الخطيب أن يفسر سبب تحذيره من الأماني، وكأنه كان ينتظر سائلا يسأل: لماذا؟ فجاء التفسير من الخطيب واضحا، وهي صنعت ما صنعت من غرور، ونسيان الموت؛ حتى أودت بأصحابها في المهالك.

فالتفسيرات التالية لقوله: إياكم والأماني ترابطت فيما بينها دلاليا؛ مما حقق الاستمرارية للنص؛ وجعلت المتلقي في شوق لمعرفة المغزى المقصود من قول الخطيب، وما الذي دعاه لهذا التحذير.

---

[1]. الأعراف: آية156.

[2]. طه: آية82.

علاقة التقابل

هو "إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة" [1]، فيحصل تضاد بين معنيين أو أكثر في النص، يأتي الثاني موضحا للأول، فيشكلان حلقة وصل مع بقية العناصر التركيبية في المعنى والدلالة على الفكرة المرادة.

ومن الأمثلة الواردة من الخطبة السابقة على هذه العلاقة، قوله: " وإدبار من الدنيا، وإقبال من الآخرة"، فقابل اثنين باثنين: الإدبار بالإقبال، والدنيا بالآخرة، فتكون المقابلة بين هروب من أمر زائل الى إسراع إلى أمر دائم، وهو ما يظهر أيضا في قوله: "بشيرا بالنعيم المقيم؛ ونذيرا بين يدي عذاب أليم"، فجاءت المقابلة بين المبشر والمنذر، وبين النعيم والعذاب، فاستدعت كل واحدة من هذه الألفاظ ما يقابلها في التضاد؛ لتدل على معناها، فخرجت وكأنها من " شدة التلاحم كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"[2]، وهذا عزز الفكرة التي يهدف الخطيب إلى إيصالها للمتلقي، وهي أن يعمل الإنسان لما يؤهله للحصول على هذا النعيم، ويجنبه هذا العذاب، وتبرز هذه العلاقة كذلك في قوله: "وفوزا بالجنة، ونجاة من النار"، وكان الخطيب بذلك شكل لوحة مختلطة الأبعاد، ليس على المتلقي إلا تجميع عناصرها لتكتمل الصورة لديه، فظهرت على النحو الآتي:

الدنيا ___ الآخرة ___ إدبار ___ إقبال ___ الجنة ___ النار___ النعيم ___ العذاب

فما يحتاجه المتلقي هو الربط والترتيب بين أجزاء هذه الحلقة؛ ليجد أن الدنيا عكس الآخرة، هروب منها، وإقبال على الآخرة التي تظهر فيها النتيجة الحتمية للإنسان، فإما الجنة وإما النار، والنتيجة المنطقية الأخرى لذلك إما النعيم وإما العذاب.

علاقة التتابع

تقوم هذه العلاقة بالربط بين موضوعات متعددة، فتربط بين الحديث وَمُسْتَتْبَعاته، وبين الفعل ونتائجه، وبين السابق ولواحقه[3]، ومن أمثلة ذلك من الخطبة السابقة قول الرشيد: "وإياكم والأماني،

---

[1]. العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط 1، دار إحياء الكتب العربية، 1952م، ص337.

[2]. عتيق، عبد العزيز: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص90.

[3]. ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص321.

فقد غرّت وأوردت وأبقت كثيرا حتى أكذبتهم مناياهم، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد، وحيل بينهم وبين ما يشتهون؛ فأخبركم ربّكم عن المثلات فيهم، وصرّف الآيات، وضرب الأمثال"، وقوله أيضا: "وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلا فجيلا، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم، ومن بين أظهركم، لا تدفعون عنهم، ولا تحولون دونهم، فزالت عنهم الدنيا، وانقطعت بهم الأسباب، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب".

ففي الأمثلة السابقة حجة وبرهان للمستمعين حين تتبع معهم الرشيد ما حل بأقوام سابقين بعدما اغتروا بالأماني، ثم كذبوا بحقيقة الموت، حتى حيل بينهم وبين التوبة ، فلم تقبل منهم، ثم ما حل بهم من عقاب، فكان لعلاقة التتابع الأثر البارز في إظهار القضية الكبرى ، وهي دعوة الرشيد جمهور المستمعين إلى عدم الانجرار وراء الأمنيات التي قد تودي بصاحبها إلى المهالك.

والعبارة الثانية بنيت على علاقة التتابع؛ ليثبت الرشيد به حقيقة الموت وحقيقة الثواب والعقاب، فبدأ بالقرون الأولى الذين لم يسلموا من الموت، ثم ما نراه اليوم من اختطاف الموت للأحبة، ثم في استحالة دفعه عنهم، ثم زوالهم عن الدنيا، وصولا إلى يوم المحشر حيث الثواب والعقاب كل حسب أعماله.

الفصل الثالث

الأبعاد التداولية في خطب العقد الفريد (دراسة تطبيقية تداوليّة)

المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلامية.

تقديم

يتناول هذا الفصل على نظرية الأفعال الكلامية، من خلال التركيز على الأفعال الإنجازية المتجلية في خطب مختارة من كتاب العقد الفريد، برزت فيها تلكم الأفعال، يعتمد فيه الباحث على التصنيف الخماسي لسيرل الذي يمثل نضج نظرية الفعل الكلامي التي تقوم على : (الإخباريات، التوجيهيات، التعبيريات، الالتزاميات، الإعلانيات)؛ كي يستخرج الباحث قواها الإنجازية الحرفية والمستلزمة، ولتوضيح ذلك جملة وتفصيلا سيقوم الباحث بتطبيقه على خطب مختارة من كتاب العقد الفريد، **وهي:**

1 -خطبة الحجاج.

2 -خطبة لأبي حمزة بالمدينة

وقد تناول الباحث في هذا الفصل: التصنيف الثلاثي للأفعال الكلامية الإنجازية، و أصناف الأفعال الكلامية الإنجازية، ومجالات الأفعال الكلامية الإنجازية.

الخطبة الأولى: خطبة الحجاج[1]•

الخطبة نصا: "حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال : إن الله كفانا مؤنة الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ، فليته كفانا مؤنة الآخرة، وأمرنا بطلب الدنيا. مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟ مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم، وتضيّعون ما به أمرتم، إن العلم يوشك أن يرفع، ورفعه ذهاب ، ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس الذين لا يقرؤ ون القرآن إلا هُجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبرا؛ ألا وإن الدنيا عَرْض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجل مستأخر يحكم فيه مَلِك قادر؛ ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤوُا بِما عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ، ألا وإن الخير كلّه بحذافيره في الجنة؛ ألا وإن الشرّ كلّه بحذافيره في النار؛ ألا وإنّ من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره ، وأستغفر الله لي ولكم"[2].

الخطبة تحليلا

- **السياق**

تحدثت الخطبة في أمر الآخرة ونسيانها، عندما رأى الحجاج حاجة القوم إلى تذكيرهم بها؛ لما رآه من انشغال بالدنيا، وحرص عليها، رغم أنها إلى زوال والبقاء للآخرة وعملها.

• الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن متعب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفي، كان شابا لبيبا فصيح اللسان بليغ القول حافظا للقرآن، ولي العراق بأمر من عبد الملك بن مروان، وبقي واليا عليها لمدة عشرين سنة حتى توفاه الله في رمضان عام خمسة وتسعين للهجرة، واتصف بالشدة والصرامة إلا أنه عرف عنه لين القلب بذكر الموت والقبر، وكان يغضب غضب الملوك، ينظر في سيرته: ابن كثير، البداية والنهاية، 301/9، وينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 284/4، وينظر: النويري، أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، 201/21.

[1]. الأندلسي، بن عبد ربه: العقد الفريد، 206/4.

[2]. الأندلسي، بن عبد ربه: العقد الفريد، 206/4.

- **أولا: التصنيف الثلاثي للأفعال الكلامية**

سيقوم الباحث في هذه الخطب بالوقوف على تقسيم سيرل للأفعال الكلامية، دون أن يسلط الضوء على الفعل التأثيري لأنه حسب سيرل لا أهمية له ، " لأنه ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما"[1]، وهذه الأفعال هي:

1 -الفعل النطقي: تمثل في صورة الأصوات اللغوية المنتظمة على نسق نحوي ومعجمي سليم.
2 -الفعل القضوي: أ ـ المرجع: المتلقي (جمهور المستمعين). ب ـ الخبر: موقفه من الدنيا والآخرة. ج ـ القضية: العمل للآخرة وترك الدنيا.
3 -الفعل الإنجازي: اشتمل على الإخبار والاستفهام والتمني.

- **ثانيا: أصناف الأفعال الكلامية الإنجازية**

أ- الأفعال الإخبارية (التقريريات)

أكثر ما يغلب على الملفوظات الخبرية أنها تؤدي قوى إنجازية حرفية تتمثل في التقرير، في حين قد يعدل بعضها إلى قوى إنجازية مستلزمة غير حرفية مثل: الإنكار، الاعتذار... ، يُستنبط فحواها من معطيات السياق وحيثياته.

إن نص الخطبة السابقة اشتمل على جملة من الأفعال الكلامية التي تصف أحداثا، وتصف طبيعة عمل الناس، وهذه الأحداث وقعت في الزمن السابق، بدليل استخدام الخطيب الفعل الماضي، على نحو قوله: كفانا، أمرنا، عملوا، ...، ففي الخطبة فعل كلامي مباشر هو الإخبار عن الأمور التي خلق الله الناس لها، فالهدف الذي لأجله وجد الإنسان هو العمل للآخرة طالما أن مؤونة الدنيا متوفرة، وإذا كانت القوة الإنجازية لهذه الخطبة هي الإخبار؛ فإنها انطوت على قوة إنجازية مستلزمة، وهي الترغيب والحث على العمل لليوم الآخر، وترك الدنيا ومتاعها، ذلك أن الغرض الإنجازي من طرف الحجاج جاء من باب التذكير، والحث على العمل ليوم القيامة، حتى يجازى المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، وعليه فإن بنية الفعل الكلامي لهذا الصنف من الإخباريات تكون كالآتي:

---

[1]. الصرّاف، علي محمود: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي ، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2010م، ص55.

الفعل الكلامي المباشر هو الإخبار، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي الترغيب والحث.

كما جمعت الخطبة عددا من الأفعال الكلامية الإنجازية، كالتقرير والإخبار على نحو قوله: " ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجل مستأخر يحكم فيه ملك قادر"؛ وقوله: "ألا وإن الخير كلّه بحذافيره في الجنة؛ ألا وإن الشرّ كلّه بحذافيره في النار"، فقرر أن الدنيا زائلة، والآخرة باقية، ثم قرر الخطيب مصير الخير وفاعله، ومصير الشر وفاعله، وهي أفعال التزم فيها الخطيب بصدق القضية المعبَّر عنها، وقد أفادت أداة الاستفتاح (ألا)، التنبيه على الخير وتقويته والعمل به، والتحذير من الشر والابتعاد عنه، وهو ما يجعل هذا الملفوظ الإخباري يتضمن قوة إنجازية تتمثل في الترغيب بالخير والتحذير من الشر.

ومن الملفوظات الخبرية التقريرية التي تظهر من خلال البنية اللفظية قول الخطيب: " **تحرصون على ما كفيتم، وتضيّعون ما به أمرتم**"، بيد أنه يحمل شحنة إنجازية غير مباشرة دفع بها الخطيب إلى النهي، من خلال ملفوظ الفعلين تحرصون، وتضيّعون، فالمراد هو ألا تحرصوا على ما كفيتم، وألا تضيّعوا ما به أمرتم، وبالتالي تكمن في هذا الملفوظ مستويات دلالية ثلاثة:

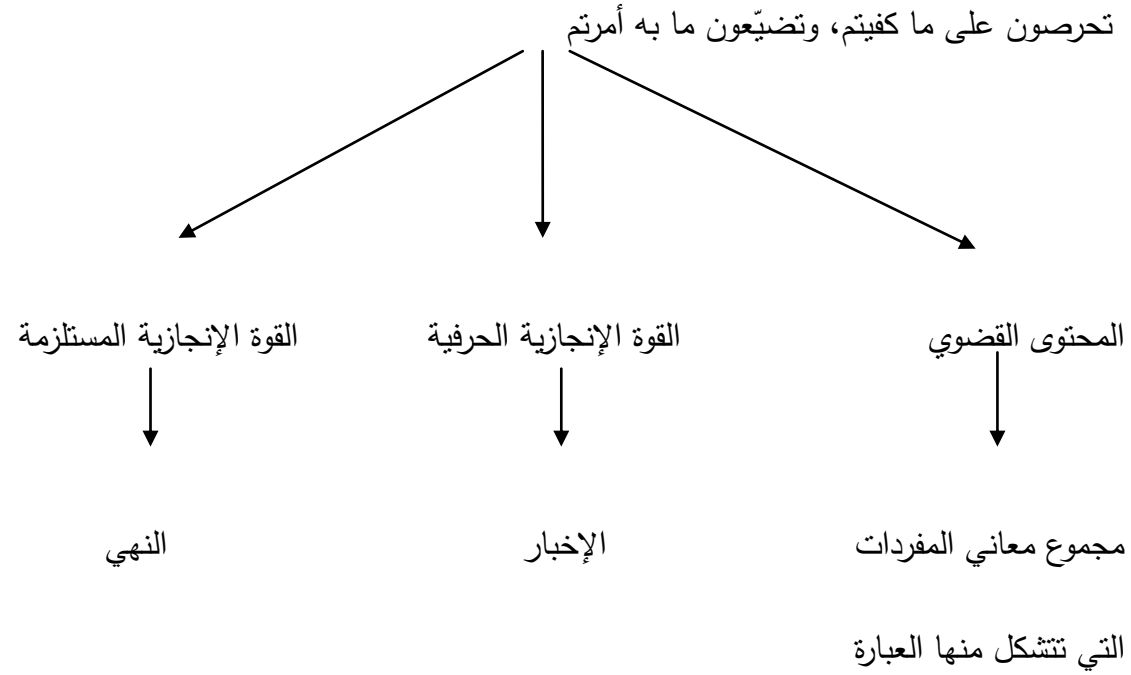

ب- الأفعال الالتزامية (الوعديات)

اشتملت الخطبة السابقة على الوعديات وإن لم تأت بصيغة الأمر، حيث نجد على سبيل المثال: "لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُوا بِما عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "، فتدخل هذه العبارة ضمن صنف الوعديات، حيث يتمثل فعل الوعد فيه بالتبشير للمحسنين والتحذير للمسيئين.

إن فعل الوعد تجسد بواسطة الفعل (يجزي)، ويراد به إظهار العواقب المترتبة على الإساءة، والثواب المترتب على الإحسان، أما بنية الفعل الكلامي للعبارة السابقة فتظهر على النحو الآتي:

فعل مباشر هو يجزي، أما القوة الإنجازية المتضمنة في الفعل فهي الوعد.

وبعض أفعال الكلام الالتزامية الواردة وإن جاءت في سياق الخطبة، فإنها مقتبسة من القرآن الكريم، فكان مصدرها الله عز وجل، على نحو قوله: " **ألا وإنّ من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره، وأستغفر الله لي ولكم** "، فجاءت الأفعال الالتزامية باتجاه عباده المحسنين والمسيئين، من خلال التبشير بالجزاء الحسن يوم القيامة والمقام المحمود، وآخر يتمثل في الوعيد بسوء العاقبة وعذاب النار جزاء بما صنعوا وكسبت أيديهم في الدنيا.

ج- الأفعال التوجيهية (الطلبيات)

يتمثل غرضها الإنجازي في التأثير في المتلقي، وتشمل على الأمر والنهي والاستفهام، وغيرها، وقد تنجز هذه الأفعال من خلال منطوقات إنجازية مباشرة، وقد تنجز من خلال أفعال إنجازية غير مباشرة، ومن صورها في الخطبة:

- **الأمر**

اشتملت الخطبة السابقة على الأمر وما يخرج إليه، والأمر من الصيغ التي ترتبط بالتوجيهيات، فمن الأمر الوارد في الخطبة قول الحجاج: " ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذ ر، واعلموا أنكم ملاقوه"، وقد دلت العبارة السابقة على المعنى المستلزم من الأمر وهو النصح والإرشاد، فيقدم الحجاج النصح لجمهور المستمعين أن يكونوا على حذر من الوقوع في المعصية عند العمل.

جاءت الأفعال (اعملوا، اعلموا)، بصيغة الأمر والغرض الإنجازي منه هو النصح والإرشاد، في ضرورة توخي الحيطة خوفا من أن ينزلق أحدهم في المعصية، وبذلك تكون بنية الفعل الكلامي كالآتي:

فعل كلامي مباشر هو الأمر، أما الفعل الكلامي المستلزم فيتمثل في النصح والإرشاد.

وجاء التصريح بلفظ الجلالة (الله) فاعلا للكفاية، غرضه بث الطمأنينة والثقة في نفوس المؤمنين من جهة، والتحذير والترهيب للمشركين من جهة أخرى، الأمر الذي ينتج عنه وجوب العمل للآخرة.

- **الاستفهام**

واحد من الأفعال الكلامية الم‍همة، الذي يلعب دورا بارزا في العملية التواصلية بين المتخاطبين، فهو يتسم بوفرة المعاني، وسعة التصرف، ويكثر وروده في مواقف الانفعال والتأثير والحوار والإقناع[1].

ترد الملفوظات التوجيهية المتتالية ؛ لتحمل قوة إنجازية حرفية وهي السؤال بـ(ما)، وذلك في قول الحجاج: "ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟ ما لي أراكم تحرصون على ما كفيتم، وتضيّعون ما به أمرتم"، غير أن هذه الملفوظات تحمل قوة إنجازية مستلزمة وهي الإنكار والتعجب، فالأمر كان قريب المنال لو أن العلماء لم يذهبوا، والجهال تعلموا، والأشرار تابوا، ولكن العجب في أن هؤلاء يعلمون ما ينتظرهم، فلم يتعلموا ولم يتوبوا وضيعوا ما أمروا به.

وتكرار أسلوب الاستفهام في هذا السياق دليل على قصدية المتكلم في إثارة انتباه المتلقي لتبليغه رسالة تحمل إفادة معينة، فتتابع الاستفهام بـ (ما) يؤدي هدفا رئيسا يكمن في الهدف الإقناعي الذي يباغت وعي المتلقي، ويحاول تغيير قناعاته وترسيخ الفكرة الموجهة من المتكلم في ذهنه.[2]

---

[1]. ينظر: فودة، عبد العليم: أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، دار العلوم، مصر، 1952م، ص 292.

[2]. جربوعة، إيمان: القصص القرآني في ضوء اللسانيات التداولية قصتا إبراهيم ويوسف أنموذجا، (رسالة دكتوراه). جامعة الأخوة منتوري، الجزائر، 2014م، ص145.

د- الأفعال التعبيرية (الإفصاحيات)

الأفعال التي تهدف للتعبير عن حالة سيكولوجية خاصة، تأتي لتعبر عن حالات خاصة: كالرضى والغضب والحزن والنجاح، تعبر عن المشاعر والأحاسيس.

بقول الحجاج: "**فليته كفانا مؤنة الآخرة، وأمرنا بطلب الدنيا** "، وفي هذا الإخبار فعل متضمن في القول وهو التمني، وقد عبر عنه الخطيب بقوله: ليته، وهو ما يزيد من درجة التمني، فجاء الفعل التعبيري ليصور الحالة الشعورية والنفسية للحجاج التي توحي بالخوف والوجل من الدنيا، والراحة والطمأنينة للآخرة .

تندرج أفعال الشكر والكره والحزن وإظهار الضعف تحت هذا الصنف من الأفعال، وخير ما يمثل ذلك إظهار الضعف عند الخطيب في قوله: "ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذ ر"، فيبرز الضعف بشكل بارز عند الخطيب في أن الإنسان مهما عظم قدره وشأنه في الدنيا؛ فعليه أن يكون على استعداد مرتبط بالحذر، فهو يومئذ ضعيف أمام قدرة الله.

هـ- الأفعال الإعلانية (التصريحيات)

وهي أفعال كلامية تهدف إلى إحداث تغيير في الوضع القائم بمجرد التلفظ بها [1]، ومن أمثلتها: الوصايا والصفح وصيغ العقود.

وبالرجوع إلى الخطبة نجد قلة ورود هذه الأفعال وتواترها، ولعلّ ذلك يعود إلى أن هذه الأفعال ترتبط أكثر بإصدار الأحكام والعقوبات لمختلف الأمور الفقهية كحد الزن ى والسرقة وغيرها، فهي التي يتم فيها الإعلان عن أحكام وقوانين تطبق.

ومن النماذج الواردة على هذا النوع من الأفعال قوله – تعالى-: (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)[2]، فهو من أفعال القرار؛ وهي الأفعال التي ترتبط بالأحكام ذات الصبغة القضائية ، فهو ملفوظ يشكل بيان ا أو قرارا من الله سبحانه وتعالى ، والقوة الغرضية للملفوظ تتمثّل في التبشير للمحسنين، والجزاء الذي ينتظر المسيئين.

---

[1]. أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص50.

[2]- النجم: آية 31.

الخطبة الثانية: خطبة أبي حمزة• بالمدينة

الخطبة نصا: "قال مالك بن أنس* – رحمه الله – : خطبنا أبو حمزة خطبة شَكّ فيها المُسْتَبْصِرُ وردّت المرتاب، قال: أوصيكم بتقوى الله وطاعته، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلم، وصلة الرحم، وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله، وتصغير ما عظّمت من الباطل، وإماتة ما أحيوا من الجور، وإحياء ما أماتوا من الحقوق، وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه، والقسم بالسوية، والعدل في الرعية، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها؛ إنا والله ما خرجنا أشرا، ولا بطرا، ولا لهوا ولا لعبا؛ ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيها ولا لثأر قد نيل منّا؛ ولكنا لمّا رأينا الأرض قد أظلمت، ومعالم الجور قد ظهرت، وكثر الادّعاء في الدين، وعمل بالهوى، وعطّلت الأحكام، وقتل القائم بالقسط، وعنّف القائل بالحق سمعنا مناديا ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فأجبنا داعي الله، فأقبلنا من قبائل شتى، قليلين مستضعفين في الأرض، فآوانا الله وأيدنا بنصره، فأصبحنا بنعمته إخوانا، وعلى الدين أعوانا.

يا أهل المدينة، أوّلكم خير أوّل، وآخركم شرّ آخر؛ إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج، بتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين؛ فأصبحتم عن الحق ناكبين، أمواتا غير أحياء وما تشعرون.

يا أهل المدينة، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ما أصح أصلكم، وأسقم فرعكم! كان آباؤكم أهل اليقين، وأهل المعرفة بالدين، والبصائر النافذة، والقلوب الواعية؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم والأمانيّ فأضلتكم؛ فتح الله لكم باب الدّين

• أبو حمزة الشاري ولد أبو حمزة المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السّليمي في البصرة، و فيها نشأ ثائرا فتّاكا و خطيبا بارعا ثم أخذ بمذهب الإباضية ، كان أبو حمزة يأتي في كل عام إلى مكّة في الموسم فيدعو الناس إلى الخروج على مروان بن محمد، ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ط7، مكتبة الخانجي، 1998م، 122/2.

* مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله (93 ـ 179هـ)، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. صنف " الموطأ، وله كتاب في " المسائل، وكتاب في النجوم، وتفسير غريب القرآن، ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، 157/5.

فسددتموه، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه؛ سراع إلى الفتنة، بطاء عن السّنّة؛ عمي عن البرهان، صمّ عن العرفان، عبيد الطمع، حلفاء الجزع؛ نعم ما ورّثكم آباؤكم لو حفظتموه، وبئس ما تورّثون أبناءكم إن تمسكوا به! نصر الله آباءكم على الحق، وخذلكم على الباطل؛ كان عدد آبائكم قليلا طيّبا وعددكم كثير خبيث؛ اتبعتم الهوى فأرداكم واللهو فأسهاكم، ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون، وتعبّركم فلا تعتبرون، سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم : والله ما فيهم الذي يعدل؛ أخذوا المال من غير حلّه، فوضعوه في غير حقه؛ وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما أنزل الله؛ واستأثروا بفيئنا؛ فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وفروج الإماء، وقلنا لكم: تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله، فقلتم :لا نقوى على ذلك، ووددنا أنا أصبنا من يكفينا، فقلنا : نحن نكفيكم. ثم الله راع علينا وعليكم، إن ظفرنا لنعطينّ كلّ ذي حق حقه؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم، فقاتلتمونا، فأبعدكم الله؛ فو الله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان أعذر؛ مع أنه لا عذر للجاهل، ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به في الآخرة.

ثم قال: الناس منا ونحن منهم، إلا ثلاثة : حاكما جاء بغير ما أنزل الله، أو متبعا له، أو راضيا بعمله"[1].

الخطبة تحليلا

- **السياق:**

يظهر أن هذه الخطبة قد جاءت بعبارات متماسكة متناسقة، لم تشذ عن الموضوع الأساسي الذي قيلت فيه، ابتدأها الخطيب بوصايا ونصائح بعد أن وجد التابعين من المهاجرين والأنصار قد ابتعدوا عن الطريق التي رسمها آباؤهم.

[1]. الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، 228/4.

- **أولا: التصنيف الثلاثي للأفعال الكلامية**

1 -الفعل النطقي: نطق أبي حمزة كان حسن التركيب بالأنظمة المختلفة الصوتية والنحوية والمعجمية.

2 -الفعل القضوي: أ ـ المرجع: المتلقي (الناس). ب ـ الخبر: السير على النهج الذي رسمه المسلمون الأوائل. ج ـ القضية: تنكب الخلف لسبيل السلف.

3 -الفعل الإنجازي: اشتمل على الإخبار والنداء والقسم.

- **ثانيا: أصناف الأفعال الكلامية الإنجازية**

أ- الأفعال الإخبارية (التقريريات)

تضمنت الخطبة السابقة أفعالا وصفية تقريرية يصف فيها الخطيب المهاجرين والأنصار، ومثال ذلك قوله: "ما أصح أصلكم، وأسقم فرعكم! كان آباؤكم أهل اليقين، وأهل المعرفة بالدين، والبصائر النافذة، والقلوب الواعية؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم ، والأمانيّ فأضلتكم؛ فتح الله لكم باب الدّين فسددتموه، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه؛ سراع إلى الفتنة، بطاء عن السّنّة؛ عمي عن البرهان، صمّ عن العرفان، عبيد الطمع، حلفاء الجزع؛ نعم ما ورّثكم آباؤكم لو حفظتموه، وبئس ما تورّثون أبناءكم إن تمسكوا به! نصر الله آباءكم على الحق، وخذلكم على الباطل؛ كان عدد آبائكم قليلا طيّبا وعددكم كثير خبيث؛ اتبعتم الهوى فأرداكم واللهو فأسهاكم، ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون، وتعبّركم فلا تعتبرون "، فقد جمعت العبارات السابقة عددا من الأفعال الإنجازية تقوم على الوصف والثناء والذم والتقرير، فقد عقد الخطيب فيها بين المهاجرين والأنصار الأوائل وأبنائهم، فجاء الثناء للسابقين والذم والتوبيخ للاحقين، فالملفوظات: (آباؤكم أهل اليقين)، (وأهل المعرفة بالدين)، (والبصائر النافذة)، (والقلوب الواعية)، جاءت لتصف الآباء الأوائل، وبما خصهم الله، بينما جاءت الملفوظات: (سراع إلى الفتنة)، (بطاء عن السّنّة)؛ (عمي عن البرهان)، (صمّ عن العرفان)، (عبيد الطمع)، (حلفاء الجزع)، جاءت لتصف حال الأبناء، والأمور التي صاروا إليها، فتضمنت الأفعال الكلامية قوة انجازية تتمثل في قوة العقيدة عند الأقدمين وابتعاد اللاحقين عن الدين.

ومن الأفعال الكلامية التي حملت قوة مستلزمة قوله: "الناس منا ونحن منهم، إلا ثلاثة : حاكما جاء بغير ما أنزل الله، أو متبعا له، أو راضيا بعمله"، فهو ملفوظ تقريري يصف فيه الخطيب أنواع الناس حسب وجهة نظره، ولكن هذا الكلام يحمل قوة مستلزمة تكمن في الحذر وعدم الاقتداء بثلاثة أنواع من هؤلاء الناس.

ويلاحظ أيضا حضور الجمل التقريرية؛ لأن المقام يتطلب ذلك،وهو إبلاغ قضية واضحة للتأثير في المتلقين وهذا ما ترمي إليه التداولية[1]، فالخطبة تعج بالحركة لكثرة الأفعال الدالة ذلك: أطعتم ، فاختانوكم ، فأصبحتم ، استعبدتكم ، فأذلتكم ، فأضلتكم ، فتح ، فسددتموه، أغلق ، ففتحتموه ، نصر ، خذلكم ، اتبعتم ، فأرداكم ، فأسهاكم، فالزمن الغالب على هذه الأفعال هو الزمن الماضي؛ الذي يفيد التقرير ، وتكون المطابقة من الكلمات إلى العالم، فجاءت الصيغة بالماضي من الناحية الزمنية؛ لإفادة تقرير الحقائق التي ينشدها أبو حمزة؛ للوصول الى تحقيق الهدف ، وهذه هي القوة الفاعلة التي تحملها الأفعال بغرض إحداث أثرها الإيجابي في المستمعين، لذلك تضمنت الخطبة ما ترمي إليه التداولية وهو القصدية والتأثير والإيجاز.

إن الغرض الإنجازي للأفعال الكلامية السابقة هو التقرير، بحيث تتم إنجازية هذه الأفعال من خلال خطوتين؛ يتحقق الإنجاز في الخطوة الأولى منهما من خلال نطق الكلام وأدائه، بينما يتحقق في الخطوة الثانية من خلال الإخبار أو الوصف باعتبارهما غرضين إنجازيين شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض أو القبول، إلى غير ذلك[2].

أ –الأفعال الالتزامية (الوعديات)

من الأفعال الكلامية الالتزامية، أو من أسرة الوعديات كما صنفها سيرل قول الخطيب: "ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه، والقسم بالسوية، والعدل في الرعية، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها"، فهو يلزم نفسه عن قصد وإخلاص بالدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه، ويلزم نفسه أن يكون عادلا بين الرعية،

---

[1]. رزقي، حورية: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية(رسالة ماجستير)، جامعة محمد خيضر، الجزائر، *2005م*، *ص73*.

[2]. ينظر: الصراف، علي محمود: في البراجماتية، ص61.

ومن النماذج التي تبرز فيها هذه الأفعال بوضوح قول الخطيب : "فقلتم : لا نقوى على ذلك، ووددنا أنا أصبنا من يكفينا، فقلنا : نحن نكفيكم، ثم الله راع علينا وعليكم، إن ظفرنا لنعطينّ كلّ ذي حق حقه "، فجاء هذا الملفوظ في سياق حوار وكأنه بين الخطيب والمتلقين، يبرز الفعل الالتزامي فيه من خلال وعد الخطيب للمستمعين أنه سيكفيهم أعداءهم، ويكون نصيرا لهم، وأنّ الله حكم عليهم جميعا، ووعد آخر يلتزم به الخطيب أن ينال كل واحد حقه الذي كتب له، وقد وصل الوعد مع الجملة الشرطية (إن ظفرنا)، ومع اللام الواقعة في جواب الشرط، ونون التوكيد المرتبطة مع الفعل المضارع؛ لتحقيق الموعود به ، وهو إقناع *مستمعيه بذلك*.

ومما يدخل في إطار هذه الأفعال القسم، فقسم الخطيب : "فو الله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان أعذر "، فيه التزام بأن يكونوا مقبولي العذر لو اعترفوا بعدم علمهم وجهلهم بهذه الأمور.

أما قول الخطيب: "الناس منا ونحن منهم، إلا ثلاثة : حاكما جاء بغير ما أنزل الله، أو متبعا له، أو راضيا بعمله"، فيندرج أيضا ضمن هذه الأفعال، وعناصره التداولية تتمثل في:

أ. الغرض الإنجازي الذي حدده سيرل، إلزام المتكلم نفسه بأداء فعل ما، ويتمثل في قول الخطيب: الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة، فأبو حمزة ألزم نفسه بأن يدل الناس على المُسْتَثْنَيْنَ من جماعة المسلمين، فالعبارة السابقة هدفها الإرشاد إلى ما ينفع الناس.

ب . اتجاه المطابقة في هذه العبارة كانت من العالم إلى الكلمات، فالمتكلم هو الخطيب، فرسالته إلزامية، ومن خلالها ألزم نفسه بالمطلوب.

ج . مثلت العبارة السابقة شرط الصراحة، والمتمثل في صدق المتكلم في فعل الشيء الموعود به، فكانت القصدية هي نية أبي حمزة تعليم الناس ما ينفعهم.

د . تحديد نمط الإنجاز وشرطه قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه، فلا يعقل أن يلزم المتكلم الآخرين بفعل أمر ما وهو لا يستطيع إلزام نفسه أولا.

ومن الأفعال الكلامية المتضنمة للوعد قول الخطيب: "نصر الله آباءكم على الحق، وخذلكم على الباطل"، فغرضه الإنجازي وعد الله للأقدمين بالنصر؛ لأنهم تمسكوا بالعقيدة ما حادوا عنها، ووعد الله للاحقين بالخذلان؛ لأنهم حادوا عن الصراط.

ج- الأفعال التوجيهية (الطلبيات)

- **الأمر**

يجد المتمعن في الخطبة السابقة أنها لم تشتمل على صيغة من صيغ الأمر المعروفة، فقول الخطيب : "أوصيكم بتقوى الله وطاعته، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلم، وصلة الرحم، وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله، يحمل شحنة إنجازية غير مباشرة دفع بها الخطيب إلى الأمر، وهي مستقاة من القرائن التي تسهم في تماسك النص واتساقه، فالخطيب من خلال أسلوب الأمر يلزم مستمعيه بالتقوى، والعمل بكتاب الله وأن يصلوا الرحم، وقد واكبت أغلب الأفعال الكلامية التي للأمر قوة إنجازية مستلزمة تستقى من سياق الآيات وسابقاتها منها: النصح والإرشاد.

وقد يتحقق الأمر بغير صيغته المعهودة في (افعل)، فقد يأتي على صيغ أخرى على نحو قول الخطيب: "وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته"، وكأن قول الخطيب أمر يمثل العبارة عليكم بإطاعة الله، فالأمر هنا جاء من خلال قوة إنجازية حرفية مدلول عليها بوجوب إطاعة الله، ومعصية العباد إذا ما تناقضت مع طاعته.

- **النداء**

يعدّ النداء من الأفعال التوجيهية لأنه يحفّز المتلقي لرد فعل المتكلم، ويعد مدخلا للأفعال الكلامية الأخرى، أي يأتي بعده الهدف المقصود، أكان أمرا أم نهيا أم إخبارا، فالنداء " لا يطلب لذاته، إنما يطلب لتحقيق غرض آخر أو أغراض أخرى، وعمل النداء من قبيل خاص، فهو ممهّد لسائر الأعمال اللغوية أو قل: لسائر المعاني والمقاصد وليس من قبيلها"[1].

[1]. الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص) ، 681/2.

ومن الأفعال الكلامية الندائية الواردة في الخطبة قوله: "يا أهل المدينة، أوّلكم خير أوّل، وآخركم شرّ آخر"، وقوله أيضا: "يا أهل المدينة، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ما أصح أصلكم، وأسقم فرعكم"، يلاحظ أن الملفوظات الندائية أتْبعت بملفوظات تختلف باختلاف سياق النداء سواء كانت إخبارية (يا أهل المدينة، أوّلكم خير أوّل)، أو توجيهية (يا أهل المدينة ... ما أصح أصلكم)، ففي العبارة الأولى فعلان كلاميان الأول: فعل كلامي تأثيري، يا أهل المدينة لشد الانتباه لمضمون الخطاب، وطلب الالتفات إلى ما سيقوله الخطيب، والثاني فعل كلامي إخباري يفيد التقرير لما اتصف به المسلمون الأوائل.

د- الأفعال التعبيرية (الإفصاحيات)

ترتبط هذه الأفعال بما يعبر عنه المتكلم من مشاعر وانفعالات، ولا تقتصر على المتكلم فحسب، بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وانعكاس ذلك على المتكلم.

الخطبة السابقة حافلة بمشاعر الحزن والأسى والغضب، فالخطيب يصور الحالة الشعورية التي تتملكه حين يقارن بين التابعين وآبائهم، وهي حالة من الغضب لما أصبح عليه المسلمون بعد الصحابة، كما تصور حالة من الحزن والأسى لخذلان القوم جماعة أبي حمزة، والتخلي عنهم وقت الحاجة.

ومن الملفوظات التي عبر عنها الخطيب عما يعتري نفسه من الخضوع وتسليم الأمر لله قوله: "فالطاعة لله ولأهل طاعة الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، فالقول السابق يعبر عن حالة من الخضوع والاستسلام لأمر الله بأن الطاعة له لا لغيره، وما يكتنف هذه الطاعة من جزاء منتظر يوم القيامة.

ورد في الخطبة السابقة ما يعبر عن حالات نفسية وانفعالية، على نحو قول الخطيب: " وقلنا لكم: تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما أنزل الله، فقلتم : لا نقوى على ذلك، ووددنا أنا أصبنا من يكفينا، فقلنا : نحن نكفيكم. ثم الله راع علينا وعليكم، إن ظفرنا لنعطينّ كلّ ذي حق حقه؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا، والسيوف بوجوهنا، فعرضتم لنا

دونهم، فقاتلتمونا، فأبعدكم الله؛ فو الله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان أعذر؛ مع أنه لا عذر للجاهل، ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به في الآخرة".

اشتملت العبارات السابقة على مجموعة من الأفعال اللفظية المتتالية، هي: (قلنا): كلام لفظي تقريري يفيد الإخبار.

(تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم): كلام لفظي إنجازي اشتمل على الأمر، وفيه دعوة للنهوض على الحكام الظالمين.

(فقلتم :لا نقوى على ذلك، ووددنا أنا أصبنا من يكفينا): كلام لفظي تعبيري تتمثل قوته الإنجازية في اعتراف القوم بعدم مقدرتهم في مجابهة الحكام الحكام الظالمين، فصوروا حالة الضعف والهوان التي هم عليها من خلال نفي قدرتهم واحتمالهم مجابهة الحكام.

وانعكست حالة الضعف والهوان التي ادعى بها هؤلاء على المتكلم، في قوله: "فعرضتم لنا دونهم، فقاتلتمونا "، وهي حالة من اليأس والأسى من هؤلاء القوم الذين كانوا يدّعون الضعف ادعاء؛ ليجدهم المتكلم يتقدمون صفوف القتال لقتاله، فصور ذلك بحالة من المرارة والحزن.

هـ- الأفعال الإعلانية (التصريحيات)

من الأمثلة الأخرى التي تمثل هذه الأفعال قول الخطيب : "إنا والله ما خرجنا أشرا ، ولا بطرا ، ولا لهوا ولا لعبا؛ ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيها ، ولا لثأر قد نيل منّا؛ ولكنا لمّا رأينا الأرض قد أظلمت، ومعالم الجور قد ظهرت، وكثر الادّعاء في الدين، وعمل بالهوى، وعطّلت الأحكام، وقتل القائم بالقسط، وعنّف القائل بالحق سمعنا مناديا ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فأجبنا داعي الله، فأقبلنا من قبائل شتى، قليلين مستضعفين في الأرض، فآوانا الله وأيدنا بنصره، فأصبحنا بنعمته إخوانا، وعلى الدين أعوانا "، لقد تضمن ملفوظ العبارات السابقة أفعالا كلامية من فئة الإعلانيات (آوانا، أيدنا) تتمثل قوته الإنجازية في إعلان الإيواء، والتأييد بالنصر من طرف الله – عز وجل – لما استجابوا إلى دعوته في الدفاع عن الحق، والذود عن الإسلام.

ثالثا: مجالات الأفعال الكلامية الإنجازية

تقدم قبلا في الفصل الأول حديث عن التصنيفات التي وضعها سيرل للفعل الكلامي، وتقوم هذه التصنيفات على مقومات، وهي: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة بين القول والعالم، وشرط الإخلاص، وقوة الغرض الإنجازي، والعنصر المهم في إظهار كل ما سبق السياق ؛ ذلك أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة تعتمد بشكل رئيس على السياق.

1 - الغرض الإنجازي: تنوع الغرض الإنجازي في الخطب السابقة، وبالعودة إليها يجد الباحث أن كل الخطب اشتملت على الإخباريات والالتزاميات والتوجيهيات والتعبيريات والإعلانيات، فكان هدف المتكلم من الغرض الإنجازي تقديم معلومات للمتلقي، على نحو ما نجد في خطبة قس بن ساعدة وخطبة الأعرابي، او جاء وصفا لأحداث معينة، على نحو خطبة الحجاج، وخطبة قس بن ساعدة، وذلك في العبارات الإخبارية، أما في المجال الالتزامي فاشتملت الخطب على الوعد والقسم، ما أظهر صدق المتكلم، وأعطى المتلقي ثقة في المتكلم، ونجد كذلك أن الغرض الإنجازي قد تضمن معنى النصح والإرشاد أو النفي، وذلك في العبارات التوجيهية، حين استخدم الخطيب الأمر أو الاستفهام، واتسمت كل الخطب بالجانب التعبيري فتعلقت بعض العبارات بوجدان المتكلم، وضم ت مشاعره وأحاسيسه، وأشركت أحيانا المتلقي في الخطاب ، ولم تخل الخطب السابقة من الوصايا والأحكام القضائية الربانية، وهي ما تندرج تحت الأفعال الإعلانية.

2 - اتجاه المطابقة بين القول والعالم: اختلف اتجاه المطابقة باختلاف الأفعال الواردة في الخطب، فجاء اتجاه المطابقة من القول إلى العالم في العبارات الإخبارية التي جاءت لتصف أحداثا، وفي العبارات الالتزامية جاء اتجاه المطابقة من العالم إلى القول، أما في العبارات التوجيهية فكان اتجاه تطابقها من العالم إلى القول، ويتحقق بتغير العالم ليطابق المحتوى القضوي للقول، بينما جاء اتجاه المطابقة في مجال التعبيريات فارغ ا، إذ يقع القول مع افتراض حصول المطابقة مسبقا، وفي الأفعال الإعلانية جاء الاتجاه من الكلمات إلى العالم، والعكس صحيح..

3 - شرط الإخلاص: وهو أن يكون المتكلم أو السامع صادقين فيما يقولا نه من فعل إنجازي، مخلصين في أداء الفعل ، وهو ما يلحظ جليّا في جميع الخطب السابقة، وفي المجالات والتصنيفات التي اشتملت عليها الخطب.

4 -القوة الإنجازية: إن مجال الإخبار في الخطب السابقة حمل قوة إنجازية مرتبطة بدليل واقعي دعم الخطيب ما جاء به، على نحو خطبة قس بن ساعدة، وخطبة أبي حمزة، فدليل المفاضلة والمقارنة بين المسلمين سابقا ولاحقا واضح للعيان، وفي خطب أخرى نجد أن الخطيب قد أعطى موقفه قوة إنجازية بعهد ألزمه من خلال استخدامه القسم كما في خطبة أبي حمزة وقس بن ساعدة، وظهرت القوة الإنجازية كذلك في بعض الخطب باستخدام الخطيب الأمر، على نحو خروج فعل الأمر "خذوا" في الخطبة الرابعة من دلالته المعهودة على الأمر إلى دلالة النصح والإرشاد، وخروج الاستفهام: " ما لي أرى علماءكم يذهبون ؟"، في الخطبة الثانية إلى معنى أعلى في شدة قوته الإنجازية، وغيرهما من نماذج الأفعال التوجيهية.

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري في خطب العقد الفريد

في معنى الاستلزام

قيل في معناه : "ما يرمي إليه المتكلم بنحو غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر" [1]، أي أن يقصد المتكلم معنى ضمنيا غير ما يُظهره من لفظ، وبإمكان المتلقي أن يألفه من خلال قرينة توحي بالمعنى المقصود، والقواعد التخاطبية الأربع التي وضعها جرايس لمبدأ التعاون، يرى فيها طه عبد الرحمن أدوات تضمن تبليغ الغاية في الوضوح؛ إذ تكون المعاني المتناقلة بين المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، ولكن يستحضرنا السؤال الآتي: هل كل التبادلات الحوارية تعاونية؟ بالت أكيد لا، فقد نجد بعض المتخاطبيْن يخالفان بعض هذه القواعد، ويحدثان خرقا لواحدة أو أكثر من هذه القواعد، ما ينقل المعاني من ظاهر حقيقي إلى غير صريح، وتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين ضمنية[2]، ويدفع المتلقي للقيام بمجموعة من الافتراضات؛ للوصول إلى المعنى المستلزم، مستعينا بالسياق، وأعراف الاستعمال.

---

[1]. إدراوي، العياشي: الاستلزام الحواري،،ط1، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط ، الجزائر، 2011م ، ص18.

[2]. ينظر: عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط 1، المرز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1998م، ص239.

خرق مبادئ الاستلزام

كان الباحث في الفصل الأول من هذه الدراسة قد توقف عند مبدأ أساسي يقوم عليه الاستلزام الحواري، هو مبدأ التعاون، القائم على مبادئ أربعة، كان الباحث قد تناولها بالبحث والشرح والتفصيل، ولكن قد يلاحظ أن بعض الحوارات والخطابات التي تجري بين شخصين ف أكثر لم يحدث فيها خروج أو خرق لأي من قواعد هذا المبدأ، ما يجعلنا نوقن أن الاستلزام الحواري غير متحقق، على نحو ما سيوضحه المثال الآتي:

ـ المريض: متى ستجري لي العملية؟

ـ الطبيب: سأجريها غدا أو بعد غد، حسب استقرار وضعك.

يظهر من الإجابة أن الطبيب لم يخرج ولم يخرق أيا من قواعد مبدأ التعاون، فقدم القدر الكافي من المعلومات دون زيادة او نقص ، أي أنه اعتدّ قاعدة الكم، وجاءت إجابته صادقة ، أي أنه اعتدّ قاعدة الكيف، وأدرك الطبيب الهدف من السؤال فكانت إجابته مناسبة، أي أنه اعتدّ قاعدة المناسبة أو الملاءمة، وكانت الإجابة واضحة ومرتبة ، أي أنه اعتدّ قاعدة الطريقة، لذا لم يتحقق الاستلزام الحواري في المثال السابق نظرا لتكامل قواعد مبدأ التعاون وتناسقها.

في حين سنتبين في الأسطر التالية تبيّنا جليّا كيفية خرق هذه القواعد، وهو ما يؤذن بوقوع الاستلزام الحواري.

المثال الأول

ـ الأم: هل درست ونمت باكرا ليلة البارحة؟.

ـ الابن: نعم لقد درست.

يظهر في الحوار السابق أن الابن قد أجاب عن سؤال واحد من سؤالين كانت الأم قد طرحتهما، فكانت الإجابة أقل من القدر المطلوب، مما يعد خرقا لقاعدة الكم، والذي يستلزم حواريا أنه لم ينم باكرا.

المثال الثاني

ـ الطالب: البحر الأبيض المتوسط شرقي فلسطين، هو كذلك يا أستاذ؟

ـ الأستاذ: طبعا، والبحر الميت غربي فلسطين.

يبدو أن الأستاذ قد انتهك قاعدة الكيف عمدا؛ حتى يبين للطالب أن إجابته غير صحيحة، فحدوث الاستلزام الحواري يوحي بأن الأستاذ يقصد غير ما تلفظ به.

المثال الثالث

ـ الرجل الأول: هل ابنك سيعمل بشهادة الحقوق التي نالها؟

ـ الرجل الثاني: ابني ماهر في التجارة.

يدل الحوار السابق على أن إجابة الرجل الثاني غير ملائمة لطبيعة السؤال، مما يعد خرقا لقاعدة الملاءمة، وفي الوقت ذاته تدل إجابة الرجل الثاني على معنى حرفي أن ابنه تاجر ماهر، وعلى معنى مستلزم أن ابنه لن يعمل بشهادة الحقوق.

المثال الرابع

ـ الرجل الأول: ماذا تريد؟

ـ الرجل الثاني: انهض، توجه نحو الباب، وأدر المفتاح به ثلاث مرات لليسار، وادفعه بلطف.

يظهر الانتهاك لقاعدة الطريقة في إجابة الرجل الثاني؛ لأنه كان بـإمكانه أن يوجز الكلام السابق بقول مباشر: افتح الباب، لكن ربما تباطؤ الرجل الأول هو ما دفع الرجل الثاني إلى خرق قاعدة الطريقة.

وقد شرع الباحث في تلمس الدوافع التي أدت إلى خرق قواعد الاستلزام الأربع، والخروج عن مقتضاها في أربع خطب، وقع عليها الاختيار من كتاب العقد الفريد؛ لمناسبتها لمقتضى عنوان هذا المبحث وطرائق التطبيق عليه، والاختلاف بيّن في خرق هذه القواعد بين خطبة و أخرى، هذا من

جانب أما من جانب آخر فوقف الباحث في هذا الفصل على المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبرية والإنشائية، والخطب المتناولة هي: خطبة عمر بن الخطاب، وخطبة علي بن أبي طالب، وخطبة المنصور، وخطبة قتيبة بن مسلم.

الخطبة الأولى: خطبة عمر بن الخطاب

الخطبة نصا: "أيها الناس، إنه قد أتى عليّ زمان وأنا أرى أن قراءة القرآن إنما تريدون به الله – عز وجل – وما عنده ، ألا وإنه قد خيّل إليّ أن قوما قرؤوه إذ يتنزل الوحي، وإذ رسول الله بين أظهرنا ينبئنا من أخباركم؛ فقد انقطع الوحي وذهب النبي، فإنما نعرفكم بما أقول لكم؛ ألا من رأينا منه خيرا ظننا به خيرا، وأحببناه عليه، ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا، وأبغضناه عليه؛ سرائركم بينكم وبين ربكم؛ ألا وإني إنما أبعث عمالي ليعلّموكم دينكم وسنّتكم، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم؛ ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه إليّ، فوالذي نفسي بيده لأقصّنّكم منه.

فقام عمرو بن العاص•، فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت أن بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه، أتقصّه منه؟، قال: نعم، والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه؛ فقد رأيت رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – يقصّ من نفسه"[1].

الخطبة تحليلا

أولا: مظاهر خرق قواعد مبدأ التعاون في الخطبة

1ـ خرق قاعدة الكم

تقوم على الحيلولة دون زيادة المتحاورين لمقدار الفائدة المطلوبة أو نقصانها، وهو ما يلاحظ على الخطبة السابقة، فقد ضمنها عمر بن الخطاب زيادة لا داعي لها تتمثل في قَسَمه الأول: فوا الذي

• عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن بن غالب القرشي، سلم سنة ثمان قبل الفتح، اختلف في سنة وفاته والأرجح أنه توفي عن سن كبيرة (للمزيد ينظر: المري، جمال الدين: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار معروف، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، 82/22، الكامل في التاريخ، 72/2، سير أعلام النبلاء، 54/3.)

[1]. الأندلسي، بن عبد ربه: العقد الفريد، 154/4.

نفسي بيده ، لأقصّنّكم منه، وقَسَمه الثاني: "قال: نعم، والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه"، فكان بإمكانه، وهو صاحب المكانة السامية، بصفته أمير المؤمنين، وخليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يستغني عنه، ويأتي قوله على النحو الآتي: قال: نعم، أقصه منه. وفي هذا الخرق حصل استلزام حواري الغاية منه التهديد والوعيد لمن يأخذون أموال الناس بالباطل وبالبطش، وحتى لا يخطر ببال أحد عماله أن يفعل هذه الفعلة.

ويظهر خروج الخطيب عن هذه القاعدة، ودخوله في الاستلزام الحواري، بإضافة أدوات التوكيد في ثني الكلام، فكان بإمكانه أن يستعيض عن قوله: "إنه قد أتى عليّ زمان"، بعبارة: أتى علي زمان، وأن يستبدل عبارة: خيّل إليّ أن قوما قرؤوه إذ يتنزل الوحي، بعبارته: "ألا وإنه قد خيّل إليّ أن قوما قرؤوه إذ يتنزل الوحي"، فقد ألقى عمر بن الخطاب على مسامع الحاضرين توكيدين، باستعماله أداة التوكيد إن، واستعماله لحرف التحقيق قد، وهو عن كلا التوكيدين غنيّ للأسباب التي ذكرت آنفا، ولكنه أتى بهما ليغيب أي شك عند السامع، ويثبت ما يصبو إليه، والأمر ذاته في عبارة: "ألا وإني إنما أبعث عمالي ليعلّموكم دينكم وسنّتكم"، فالأجدر أن تكون بلا توكيد، على نحو: إنما أبعث عمالي ليعلّموكم دينكم وسنّتكم، فكان بإمكان الخطيب ومقدرته أن يتدارك هذه التوكيدات، ولكنه ذهب إلى ما ذهب إليه؛ ليخبر السامع خبرا يقينيا بموقفه من المسلمين بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم – والوعيد بحق من يتهاون بأمر الدين، وبحق من أراد شرا بالإسلام والمسلمين، ثم جيء بالتوكيد؛ ليوضح الغاية التي من أجلها يضع عماله.

2ـ خرق قاعدة الكيف

ما تلفظ به عمر لم يكن مقصودا بهذا القول الظاهر، فليس بخاف على أحد من المسلمين أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، وأن الوحي انقطع عن النزول، حين قال: " فقد انقطع الوحي وذهب النبي"، بل أراد من هذا القول إنما نحن بشر نأخذ بظاهر الفعل والعمل، وليس لنا من خفايا الأمور وما تضمره النيات، فقد كانت هذه من قدرات النبي وانقطعت بذهابه.

3ـ خرق قاعدة الطريقة

فقد ظهر التعميم في قول ابن الخطاب: " ألا من رأينا منه خيرا ظننا به خيرا، وأحببناه عليه، ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا"، من جهة تحديد الخير والشر الوارد في العبارة، إذ لا توجد قرائن تظهر المعنى المقصود، وأي خير أو أي شر قصده ابن الخطاب؟ فجاءت عبارته ممزوجة بشيء من التعميم، دون تقديم تفصيلات، ولعل مرد ذلك دعوة منه للناس لتتبع الخير حتى لو كان ضئيلا، والاحتراز من الشر حتى لو كان ضئيلا، امتثالا لقوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [1].

ومما يستحسن الوقوف عنده في أثناء الحديث عن خطبة عمر بن الخطاب، مبد أ آخر من مبادئ الحوار، مكمل لمبد أ التعاون، هو مبد أ التأدب، اقترحته روبين لايكوف (Robin Lakoof)، ويصاغ هذا المبد أ على النحو الآتي: " لتكن مؤدبا"، ويقضي ب أن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ[2].

يبدو التأدب واضحا عند مقاطعة عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب، فقد احترم الموقع الذي يشغله عمر بن الخطاب، فزين كلامه بمخاطبته ب أمير المؤمنين، فلا مبرر للمحكوم إلا مخاطبة الحاكم بذلك، ثم لما وجد ابن العاص الصدق ماثلا في قول ابن الخطاب جاء سؤاله غاية في الأدب، "أرأيت أن بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه، أتقّصه منه؟ "، وهو ما أشار اليه طه عبد الرحمن بقوله : "متى تحّقق المتكلم بالصدق في الخبر ، والصدق في العمل ، والصدق في مطابقة قوله لفعله، انفتح باب التواصل الصادق بينه وبين المخاطب، وتزايدت أسباب التقارب بينهما، واندفع كل منهما فًي طلب التقرب من الآخر [3]. وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن جوهرالعبارة السابقة قائم على ضرورة مراعاة العلاقة التخاطبٌ يةٍ ذات البعد الأخلاقي بين المتكلم

---

[1]. الزلزلة: آية7.

[2]. ينظر: عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان، ص240.

[3]. السابق: ص252.

والمخاطب، وفق ما تقتضيه العلاقات الاجتماعية ، والمعطيات النفسية، فهي تدعو إلى التعفف والتهذيب والتودد[1].

ثانيا: المعاني المستلزمة عن الخبر والإنشاء في نص الخطبة

أ ـ المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبرية

- المدح، والترغيب: وهما من المعاني التي خرج إليها الأسلوب الخبري في الخطبة السابقة، ويظهر ذلك في قول عمر: "ألا من رأينا منه خيرا ظننا به خيرا، وأحببناه عليه "، فهذا القول يتضمن مدحا وثناء من عمر بن الخطاب، لمن مسلكهم وطريقهم وفعلهم الخير، وترغيبا منه في الإكثار من فعل الخيرات.
- التهديد والوعيد: يقول عمر: " ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا، وأبغضناه عليه "، فقد تضمن القول السابق، إلى جانب فعل الإخبار، معنى مستلزما يتمثل في التهديد والوعيد، فيتحول الكلام الخبري بقرينة السياق من مجرد الإخبار إلى تهديد عمر لكل من سلك طريق الشر، بل لكل من ظن أنه سلك هذا الطريق.

ب ـ المعاني المستلزمة عن الأساليب الإنشائية

- **الاستفهام**

من المعاني التي قد يخرج الاستفهام إليها معنى التعجب على نحو ما كان في خطبة عمر على لسان عمرو بن العاص: "أرأيت أن بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه، أتقّصه منه ؟"، فسياق الخطبة لم يحمل هذا التركيب على الاستفهام الحقيقي، فسؤال عمرو لم يكن استفسارا، أو استعلاما بقدر ما كان إنكارا وتعجبا من أن يصدر القصاص من عمر على عماله، ويمكن تمثيل ذلك وفق المعادلة الآتية:

استفهام بالهمزة + خرق قاعدة الكيف = مستلزما حواريا (الإنكار + التعجب)

[1]. ينظر: بن عيسى، عبد الحليم: تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي، مجلة رفوف، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر،عدد9، 2016م، ص16.

- **النداء**

ففي قول عمر في بداية الخطبة: " أيها الناس"، نجد فعلا إنجازيا طلبيا يتمثل في النداء الذي يستلزم معنى يتمثل في تهيئة الناس للتلقي، بالإقبال عليه، والإصغاء إليه، خاصة وأنه جاء في بداية خطبة أراد الخطيب من خلالها أن يقدم لمستمعيه نصائح وإرشادات، فكان عليه أن يبدأ بالنداء؛ ليجلب انتباههم وأسماعهم لما يقول.

- **القسم**

اشتملت الخطبة على أنواع أخرى من المعاني المستلزمة حواريا على نحو قوله: "فوالذي نفسي بيده لأقصّنّكم منه"، وهو إنشاء غير طلبي، يظهر فيه المعنى الاستلزامي بوضوح، وهو التهديد والوعيد، وذلك لوجود القسم، واللام الموطئة للقسم.

الخطبة الثانية: خطبة علي بن أبي طالب

الخطبة نصا: "قالوا: ولما أغار سفيان بن عوف الأزدي• على الأنبار[1] في خلافة علي رضي الله عنه، وعليها ابن حسان البكري•، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها، فخرج علي – رضي الله عنه– حتى جلس على باب السّدّة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء، وألزمه الصغار، وسامه الخسف، ومنعه النّصف؛ ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم : اغزوهم قبل

• سفيان بن عوف الأَزدي الغامدي : قائد، صحابي، من الشجعان الأبطال. كان مع أبي عُبَيْدَة ابن الجَرَّاح بالشام حين افتتحت، وولاه معاوية الصائفتين، فظفر واشتهر. ثم سيره بجيش إلى بلاد الروم فأوغل فيها إلى أن بلغ أبواب القسطنطينية، فتوفي في مكان يسمى (الرنداق) قال ابن عساكر: لما بلغت وفاته معاوية كتب إلى أمصار المسلمين وأجناد العرب ينعاه، فبكى الناس عليه في كل مسجد، ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، 105/3، وينظر: العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ص3323.

[1]. محافظة عراقية تقع غربي العراق.

• الحارث بن حسان بن حوط (ت 36هـ)، صحابي، من الشجعان الفرسان، وصاحب راية بني بكر بن وائل، شهد الحارث بن حسان يوم الجمل مع على بن أبي طالب، فقتل وقتل معه ابن له وخمسة من أهله، ينظر: القرشي، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب، تح: علي البجاوي، نهضة مصر، 1981م، ص316، والزركلي، خير الدين: الأعلام، 154/2.

أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليك قولي ، فاتخذتموه وراءكم ظهريا؛ حتى شنّت عليكم الغارات؛ وهذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار، وقتل ابن حسان البكري؛ وأزال خيلكم عن مسالحها؛ وقتل منكم رجالا صالحين، وقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينزع حَجَلها وقلبها، ورعاثها، ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم؛ فلو أنّ رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان عندي ملوما، بل كان به عندي جديرا؛ فواعجبا من جدّ هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم؛ فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى؛ يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون؛ فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في أيام الحرّ، قلتم : حمارّة القيظ؛ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحرّ! وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى في الشتاء، قلتم: صبارّة القرّ أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القَرّ ، كل هذا فرارا من الحرّ والقرّ؛ فأنتم والله من السيف أفرّ! يا أشباه الرجال ولا رجال! ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال! وددت أنّ الله أخرجني من بين أظهركم، وقبضني إلى رحمته من بينكم، وأني لم أركم ولم أعرفكم! معرفة والله جرّت وهنا ! لقد ملأتم قلبي قيحا، ووريتم والله صدري غيظا، وجرعتموني الموت أنفاسا، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش : إنّ ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب! لله أبوهم! وهل منهم أحد أشدّ لها مراسا وأطول تجربة مني؟ لقد مارستها وأنا ابن عشرين، فها أنا ذا الآن قد نيّفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع!"[1]

الخطبة تحليلا

أولا: مظاهر خرق قواعد مبدأ التعاون في الخطبة

1. خرق قاعدة الكم

تجاوزت الخطبة الحد المطلوب لإفادة المستعمين، فتجاوز علي بن أبي طالب الحد في تقريع قومه لتنكبهم سبيل القتال، وتخاذلهم عن نصرته والدفاع عن جماعته، وكان ب إمكانه أن يشحذ همم عناصره بعبارات مختزلة تفي بالغرض، وقد حصل استلزام حواري في هذا الخرق، غاية ابن أبي

[1]. الأندلسي، بن عبد ربه: العقد الفريد، 160/4.

طالب منه الحث والدعوة إلى عدم التقاعس من جهة، وازدراء القوم من جهة ثانية، خاصة و أن الأمر جلل.

ويبدو الخرق في هذه القاعدة أشد وضوحا في تكرار عليّ للقسم على نحو قوله: "فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا"، وقوله **أيضا:**" فأنتم والله من السيف أفرّ"، وقوله ثالثة: " ووريتم والله صدري غيظا، وجرعتموني الموت أنفاسا"، فالمقام هنا لا يستدعيها لكونه خليفة المسلمين، وعلى المستمعين أن ينصاعوا لقول الخليفة سواء أقسم أم لم يقسم، صدق أم كذب، فترتب على هذا الخرق استلزام حواري الغاية منه تأكيد ما بثه علي بن أبي طالب على مستمعيه ، إقامة للحجة عليهم، أو تشنيعا على فعلتهم

والخرق الآخر الواقع ههنا، ولقع في استماله لأدوات التوكيد استعمالا ظاهرا أمره ، وقد أدى إلى عدم التزامه بالقدر المطلوب عند المخاطبة، منها: " **فإن الجهاد باب من أبواب الجنة**"، وطالما أن مستمعيه ينتمون إلى جماعة المسلمين، كان بإمكانه عدم استخدام التوكيد، فمعرفتهم بهذا الامر حاصلة، وقوله أيضا: " وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا" و" فلو أنّ رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان عندي ملوما "، وغيرها مما استخدمها ليؤكد رغبته في القتال، وترغيب المسلمين به.

2ـ خرق قاعدة الكيف

جاء الخرق في هذه القاعدة في استخدام علي بن أبي طالب الكناية في قوله: " لقد ملأتم قلبي قيحا"، فلفظة "قيحا" لم يعن بها في هذا السياق معناها اللغوي الذي ترمي إليه، وهو المِدَّةُ لا يخالطها دم، بل قصد منه الغيظ وما يستكره، فقد عبر عن تخاذل قومه عن الحرب، والثأر للدماء التي أريقت بهذا الغيظ والكره الذي يملأ قلبه.

3ـ خرق قاعدة المناسبة / الملاءمة

أي مراعاة المقال للمقام، وتظهر في عبارات ألقاها على مسامع قومه لا تناسب المقام الذي قيلت فيه، فالخطبة جاءت في موقف عصيب، سفيان الغامدي يقتل والي الأنبار في خلافة علي – علي السلام– والأخير يستشيط غضبا من تخاذل قومه؛ ليصل به الأمر إلى القول: "ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال! وددت أنّ الله أخرجني من بين أظهركم، وقبضني إلى رحمته من بينكم، وأني لم أركم ولم أعرفكم"، ألم تكن هذه جولة من جولات معاوية وفرسانه، في حين كانت لعلي وجماعته جولات أكثر من ذلك كتب لهم بها النصر ؟ فلأوى أن قول علي لم أركم ولم أعرفكم لا يتناسب مع كبوة واحدة لفرسان سجلت لهم مواقف مشرفة في معارك مختلفة.

4ـ خرق قاعدة الطريقة

بدا الغموض في بعض المفردات التي استخدمها الخطيب، كألفاظ (حَجَلِها)، و(قَلْبِها)، و(رُعَاثِها)، ولعل الخطيب اختار هذه الألفاظ ؛ ليدلل على حجم الم أساة التى يتعرض لها المسلمون، ونساء المسلمين.

وثَمّ خرق آخر في الخطبة، إذ لم يعط علي بن أبي طالب تلك المعلومات الكافية عن كيفية مقتل عامل من عماله، وأين؟ ومتى؟ حتى القاتل لم يفصل المعلومات عنه، و أوجز بقوله: "أخو غامد"، وكأن هذه الأمور ليست محور حديثه الذي يرغب ب إيصاله، فترك الأمور دون تفصيل؛ ليشكل حافزا ومثيرا لمشاعر السامعين للتحرك على وجه السرعة للأخذ بالثأر، ودليل ذلك إبلاغه لهم أن نساءهم لم تسلم من هذه الجرائم.

أما الخرق الآخر، فيظهر في تفصيلات كثيرة واطالة لا داعي لها في وصف تقاعس قومه عن القتال، فقوله: " يُغَارُ عليكم ولا تَغِيرُون، وَتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُون، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضُون" وقوله **أيضا:** " كل هذا فرارا من الحرّ والقرّ"، ووصفه لهم بأشباه الرجال وبأحلام الأطفال وغيرها مما يعد إطنابا لا طائل منه، فكان بإمكانه أن يوجز كلامه هنا لينعتهم بالمتخاذلين، والجبناء، فالاستلزام الحواري الحاصل من هذا الخرق الغاية منه فضح وتصوير الحالة التي وصل إليها اصحاب علي – رضي الله عنه–، والذل والهوان الذي أصابهم.

ثانيا: المعاني المستلزمة عن الخبر والإنشاء في نص الخطبة

أ ـ المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبرية

- التوبيخ: جاءت خطبة علي في مجملها تقريعا ولوما وعتابا لأولئك الذين تقاعسوا عن نصرة علي، فقد وقعت اعتداءات من بعض جيوش بني أمية، فلا عجب أن تأتي عبارات هذه الخطبة متضمنة معنى التوبيخ؛ وذلك نحو قوله: " لقد ملأتم قلبي قيحا، ووريتم والله صدري غيظا، وجرعتموني الموت أنفاسا، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان "، **وقوله أيضا:** "فواعجبا من جدّ هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم؛ فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى؛ يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون "، فهذه العبارات وغيرها تمثل ما يكابده علي بن أبي طالب من حرقة وألم تجاه ما وصل إليه بعض أتباعه من تخاذل وذل، فدلّت العبارات على معنى غير المعنى الذي نستخلصه من معناها الحرفي، وبالتالي فالقارئ أمام فعلين كلاميين:

ـ فعل كلامي مباشر: دلالة هذه العبارات على الخبر المنصوص عليه حرفيا.

ـ فعل كلامي غير مباشر: يتضمن قوة إنجازية غير مباشرة (مستلزمة) مقاميا، هي التوبيخ.

ب ـ المعاني المستلزمة عن الأساليب الإنشائية

- **الاستفهام**

يراد بالاستفهام، طلب العلم بشيء باستعمال أدوات الاستفهام الموضوعة له، والحصول على إجابة بإثبات أو نفي[1]، وقد يخرج عن تلك الوظيفة؛ لتأدية أغراض أخرى يحددها السياق، ويدخل بذلك ضمن مقاصد تداولية.

توقف عديد اللسانيين عند الاستفهام، وعدّوه من أقوى وسائل الحجاج؛ لمناسبته السياق، كونه يحمل معنى غير مباشر يلفت انتباه المتلقي.

[1]، ينظر: يوسف، عبد الكريم: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، ط 1، مطبعة الشام، دمشق، 2000م، ص8.

يقول علي بن أبي طالب: "وهل منهم أحد أشدّ لها مراسا وأطول تجربة مني ؟"، فطبيعة السؤال في قول علي لا تتطلب الإجابة بنعم أو لا، بل ليحمل خطابه معنى النفي والإنكار، أي نفي حقيقة أن أحدا من قريش أشد قوة، وأطول تجربة من قوة علي في الحروب، وتجربته عليه السلام.

وعلى وفق قاعدة غرايس نجد خرقا في قاعدة كم الخبرية، التي تنص على ان المتكلم يجب أن يتكلم بما يعلمه المخاطب، لكنه هنا دفع المتلقي للبحث عما تضمنه معنى الاستفهام من إنكار ونفي، فتتشكل أمامنا المعادلة الآتية:

استفهام بهل + خرق قاعدة الكم = مستلزما حواريا (الإنكار + النفي)

- **الأمر**

هو طلب المتكلم من المخاطب القيام بفعل ما على سبيل الاستعلاء وفق صيغ معينة في اللغة [1]، ويمكن أن يتضمن معاني أخرى، بحسب السياق والقرائن الدالة، ولا ينكر تأثير هذه المعاني في المتلقي، ومن الشواهد الواردة في الخطبة قول علي: "اغزوهم قبل أن يغزوكم"، فهنا جاء توظيف الملفوظ (اغزوهم)، لينجز بواسطته فعلا دالا على النصح والإرشاد، فالمستلزم الحواري يتيح للسامع أن يفهم شيئا آخر بمساندة فعل الأمر، خاصة أن الخطبة جاءت من علي وهو في حالة من الغضب والسخط لتخاذل أعوانه، فكام لزاما أن يقدم بعض النصائح في كيفية مقارعة الأعداء والتصدي لهم.

- **النداء**

ولم يختلف النداء عن الاستفهام في الغرض الذي خرج إليه، خاصة أن الخطبة _ كما تقدم_ جاءت للوم والعتاب، فالمعنى الذي أفاده النداء في قول علي: " يا أشباه الرجال ولا رجال! ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال"، هو التوبيخ والتحقير، فهؤلاء الذين يخاطبهم علي ليسوا رجالا بل أشباه رجال، وعقولهم عقول نساء، وفي هذا تقريع وتحقير لهم لتخاذلهم وجبنهم.

- **القسم**

من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، ففي قوله: " فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا "، تأكيد لفكرة ضرورة الخروج وملاقاة العدو، ورفضه لفكرة الدفاع، ويتبع هذا القسم بالقصر، زيادة في تأكيد فكرة أن الذل نصيب من يتّبعون طريق الدفاع لا الهجوم.

---

[1]. ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص318.

الفصل الرابع

الحجاج في خطب العقد الفريد: دراسة تطبيقية

الروابط الحجاجية

الروابط هي أحدى المؤشرات الحجاجية التي تسند معنًى من المعاني إلى المقولات التي يتلفظ بها المتكلم، وبها يوجه دفة الحجاج بداية ونهاية، افتتاحا واختتاما؛ لأن العلاقات بين القضايا والأحداث إنما يعبر عنها على نحو خاص بوس اطة مجموعة من العبارات من مختلف أنواع التراكيب مما يمكن أن نطلق عليه اسم الروابط[1].

إن الروابط الحجاجية وحدات مورفولوجية (مورفيمات) تصل بين ملفوظين أو عدة ملفوظات يجري سوقها في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة، إنها نوع من العناصر النحوية والظروف مثل: (الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى، لأن، بل، لاسيما، بما أنّ، إذ، لا، ... إلخ) وتقوم بالربط بين فعلين لغويين اثنين، وبالتالي فهي موصلات تداولية تعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي؛ لتجعل منها أفعالا لغوية يحمل عليها وهي منفصل بعضها عن بعض[2].

العوامل الحجاجية

وهي وحدات مورفولوجية (مورفيمات) إذا جرى تطبيقها في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لذلك الملفوظإ إذ يقوم العامل الحجاجي بالربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه، وهو على هذا الأساس موصل قضوي، يحمل على المكونات داخل الفعل اللغوي، فيبقى هذا الفعل ملتحما [3]، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، ولكنها تقوم بحصر الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلا، وجل أدوات القصر[4].

---

[1]. ينظر: دايك، فان: النص والسياق، ص82.

[2]. ينظر: الراضي، رشيد: الحجاجات اللسانية عند أنسكومير وديكرو مجلة علم الفكر، الكويت، مج 34، عدد 1، 2005م، ص234.

[3]. السابق: ص233.

[4]. ينظر: العزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006م، ص64.

السلالم الحجاجية

يسعى المتكلم دائما بكلامه لتقديم حجّة مناسبة قصد الت أثير في مخاطبه الذي لا يستسلم هو الآخر، ولا يرضخ لرأي محاوره، ولا يتخلى عن موقفه بسهولة عن طريق الِدفاع عن موقفه بتقديم حجة مغايرة، والبقاء للحجة الأقوى، وهذا ما يسَمى بالسلم الحجاجي، فهو "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة تراتبية ومستوفيه للشرطين:

- إنّ كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته.

- إنّ كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى"[1].

كما يتميز السلم الحجاجي بجملة من القوانين منها :

1 - قانون الخفض: مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.
2 - قانون تبديل السلم: مقتضى هذا القانون الثاني أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.
3 - قانون القلب: مقتضى هذا القانون الثالث أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول"[2].

تعالج هذه القوانين تصورا لعمل المحاجّة من حيث التلازم بين قبول الحجة ونتيجتها، فالغرض من تدرج الحجج وتراتبيتها ملء الفجوات التي تشكل مجالا لتسرب الشك وعدم الاطمئنان، فالتركيز على مبدأ التدرج الحجاجي في ضوء هذه السلالم يعطي إيحاء بقوة الحجج وضعفها في الأساس، ولا ترتبط بالمحتوى وإحالة هذا المحتوى على مرجع محدد[3].

وتكمن أهمية السلالم الحجاجية أساسا في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري، وهذا يعني أن القيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ لأنها لا تخضع لشروط

---

[1]. عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان، ص275.

[2]. السابق: ص277.

[3]. ينظر: بوقرة، نعمان: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل (قراءات نصية تداولية حجاجية)، ط 1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012م، ص165.

الصدق المنطقي، فهي كما ذكرنا ليست قيمة مضافة إلى البنية اللغوية، بل مسجلة فيها يتكهن بها التنظيم الداخلي للغة[1].

المبادئ الحجاجية

لسلامة العملية الحجاجية لا يُكتفى بتوافر الروابط والعوامل الحجاجية، فلا بد من وجود أسس تضمن الربط بين الحجة والنتيجة ، وهو ما يطلق عليه المبادئ الحجاجية، وهي " مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها"[2]، ولهذه المبادئ مجموعة من الخصائص:

أ- تمثل مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل المجتمع .

ب- العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

ج- التدرجية: قهي تقيم علاقة بين محمولين تدرجيين أو بين سلمين حجاجيين مثل: العمل والنجاح.

د- النسبية: قد يكون المبدأ الحجاجي صالحا في سياق ما، غير أنه يمكن إبطاله في موضع غير ملائم، أو بمبدا حجاجي مناقض[3].

أنواع الحجج

1ـ الحجج شبه المنطقية

إن الحجج شبه المنطقية تستمد قوتها الحجاجية من استخدامها للطرق الشكلية المنطقية والرياضية؛ أي في استخدامها لطريقة البرهنة، ولكنها تختلف عنها في بناء استدلالها [4]، يقول بيرلمان فيها: "

---

[1]. ينظر: المبخوت، شكري: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، سلسلة آداب، مجلد39، 1998م، ص370.

[2]. عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص176.

[3]. ينظر: العزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، ص38.

[4]. ينظر: صولة، عبد الله: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، ص325.

إنها حجج تدعي قدرا محددا من اليقين، من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية، ومع ذلك فإن من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج، والبراهين الشكلية؛ لأن جهدا يبذل في الاختزال أو التدقيق يسمح بمنح هذه الحجج مظهرا برهانيا، ولهذا السبب ننعتها بأنها حجج شبه منطقية" [1]، وتنقسم هذه الحجج إلى نوعين: حجج شبه منطقية تعتمد البنى المنطقية كالتناقض والتعدية وغيرها، وحجج شبه منطقية تستند إلى العلاقات الرياضية كإدماج الجزء في الكل، وتقسيم الكل إلى أجزائه.

وخير ما يمثل هذه الحجج قوله – تعالى– : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [2]، فنجد عدم التناسب والتناقض جليا في كونهم يأمرون غيرهم بأعمال البر، في حين هم لا يعملون بما أمروا الآخرين به.

2ـ الحجج المؤسسَة على بنية الواقع

هذه الحجج المبنية على الواقع تتخذ من الواقع أو التجارب والعلاقات القائمة بين الأشياء والقضايا مرجعا تؤسس عليه وتعول عليه في الاحتجاج والحجاج ، ولا يتأتى لها ذلك إلا "بجعل الأحكام المسلم بها، والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد، يجمع بينها ؛ إذ لا يمكن التسليم بإحداها دون أن يسلم بالأخرى، ومن هنا جاء وصفها بكونها حججا اتصالية أو قائمة على الاتصال[3]، وتنقسم إلى حجج التتابع، والحجج الغائية، وحجج التعايش.

ومن هذه الحجج قول جرير[4]:

فَيَوْمٌ تَحُوطُ المُسْلِمينَ جِيَادُهُ وَيَوْمٌ عَطَاءٌ مَا تُغَبُّ نَوافِلُهْ

وَلِلتّرْكِ مِنْ عِبْدِ العَزِيزِ وَقِيعَةٌ وَلِلرُومِ يَوْمٌ مَا تَتِمّ حَوامِلُهْ

فجرير يربط الأحداث تتابعيا؛ عندما يبين أن أيام عبد العزيز جهاد ونضال متواصلان، وبشدته وقوته يهزم الترك، وينال من الروم.

---

[1]. نقلا عن كتاب الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص191.

[2]- البقرة: آية 44.

[3]. ينظر: صولة، عبد الله: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص331.

[4]. جرير: الديوان، دار صادر، لبنان، (د.ت)، ص349.

3ـ الحجج المُبَنْيِنَة للواقع

إن هذه الحجج ليست كسابقتها لأنها لا تتأسس على الواقع أو تنبني على بنيته، وإنما هي التي تؤسس ذلك الواقع وتبنيه، أو على الأقل تكمله وتظهر ما خفي من علاقات بين أجزائه ، أو تظهر ما خفي منها [1]، وتتخذ هذه الحجج طريقتين في الاستدلال هما : تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، والاستدلال بواسطة التمثيل.

ففي قوله – تعالى–: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، فسياق الآية السابقة وُظف فيه المثل لتشخيص صورة الذين يتخذون من دون الله وليا بصورة بيت العنكبوت.

4. الحجج التي تستدعي القيم

الحجاج فيها يقوم على استدعاء القيم لفرض نمط من الاختيار؛ ليجبر المتلقي على قبوله والإذعان له من خلال اعتماده على حجج ذات السلطة "فاتنة" فيتحول الإقناع إلى هجوم يستهدف عوالم المتلقي الشعورية والفكرية والمعرفية[3].

5ـ الحجج التي تستدعي المشترك

إن هذه الحجج لا تختلف عن سابقتها إلاَ في استدعاء الأولى للقيم، والثانية في استدعائها المشترك أي ما يمثل محل اتفاق بين المتلقي والقائل في مجموعة من المعارف المشتركة المتفق عليها، وقبولها والإذعان لها هو من قبيل ما تعودت عليه النفوس وألفته[4].

---

[1]. ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الأول الهجري، بنيته وأساليبه، ص 242.

[2]. العنكبوت: آية 41.

[3]. ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص270.

[4]. ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم: ص287.

الخطبة الأولى: خطبة علي بن أبي طالب

الخطبة نصا: "أيها الناس، احفظوا عني خمسا ، فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها لم تظفروا بمثلها: ألا لا يرجونّ أحدكم إلا ربّه، ولا يخافنّ إلا ذنبه ولا يستح ييي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا وإن الخامسة الصبر، فإنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ من لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له : ولا خير في قراءة إلا بتدبّر، ولا في عبادة إلا بتفكّر، ولا في حلم إلا بعلم، ألا أنبئكم بالعالم كل العالم؟ من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكره، ولم يؤيسهم من روحه ، لا تُنْزلوا المطيعين الجنة ، ولا المذنبين الموحدين النار حتى يضيء الله فيهم بأمره؛ ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله؛ فإنه يقول :"فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ"، ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله، "فإِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ"[1].

الخطبة تحليلا

اولا: آليات الحجاج اللغوية

أـــ الروابط الحجاجية

- **الرابط الحجاجي (الواو)**

تعدّ من أهم الروابط الحجاجية؛ إذ لا يقتصر دورها على مجرد الجمع بين الحجج، بل تعمل على تقوية الحجج بعضها ببعض؛ لتحقيق النتيجة المرجوة، من أبرز الأمثلة التي تمثل هذا الرابط قول علي: "أيها الناس احفظوا عني خمسا فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها لم تظفروا بمثلها: ألا لا يرجونّ أحدكم إلا ربّه، ولا يخافنّ إلا ذنبه ولا يستحيي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا وإنّ الخامسة الصبر"، فالواو في العبارات السابقة جمعت بين عدد من

[1]. الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، 169/4.

الحجج المتساوقة، كما قامت بترتيبها ؛ لتحقيق النتيجة المرجوة، ويمكن تمثيل الحجج السابقة وفق السلم الحجاجي:

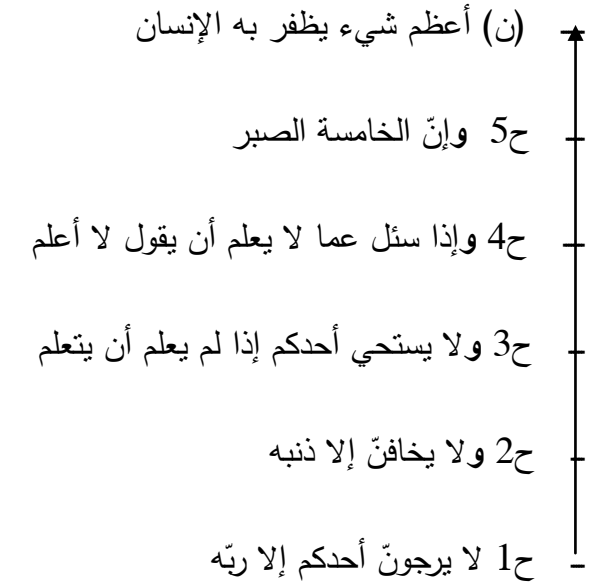

- **الرابط الحجاجي (حتى)**

وهي من الروابط المتساوقة حجاجيا، والمدرجة للحجج القوية، والحجج المربوطة بوساطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة؛ أي "أنها تخدم نتيجة واحدة ، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فـإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي"[1]، ومن أمثلة ذلك من خطبة علي: "لا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يضيء الله فيهم بأمره"، وهي وفق السلم الحجاجي على النحو الآتي:

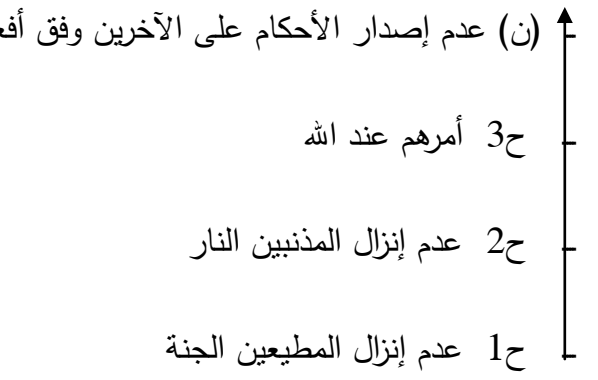

[1]. الغزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، ص73.

يتضمن ها القول مجموعة من الحجج التي تتدرج ضمن مقصد حجاجي واحد، وهو عدم الحكم على الناس بظاهر أعمالهم، فجاءت (حتى) لتنتقل من حجة إلى أخرى في تراتبية تفضي إلى النهاية، وهو ما أقره النحويون من أن هذا الرابط يفيد "انتهاء الغاية"[1].

- **الرابط الحجاجي (فإنّ)**

تعدّ "فإن" من ألفاظ التعليل التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حججه، ومن أمثلتها في الخطبة قوله: "ألا وإن الخامسة الصبر، فإنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد"، وقوله أيضا: "ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله؛ فإنّه يقول :فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ"، فقد ربطت في العبارات السابقة بين الحجة والنتيجة وهما:

النتيجة: الوصية الخامسة الصبر.

الحجة: الصبر في نطاق الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

وفي العبارة الثانية جاءت النتيجة والحجة على النحو الآتي:

النتيجة: لا أمن من عذاب الله حتى للأخيار من عباد الله.

الحجة: لأنه لا يأمن ذلك إلا القوم الخاسرون.

- **حجاجية أسلوب الشرط**

من الأدوات اللغوية التي عوّل عليها المتناظرون أسلوب الشرط الذي تتكون جملته من ثلاثة عناصر: أداة الشرط + جملة فعل الشرط + جملة جواب الشرط

فالجملة الأولى تمثل سببا وعلة للجواب، والجملة الثانية هي نتيجة لها، وتقوم أداة الشر ط بربط الجملتين ربطا دلاليا منطقيا، فتقدم الحجة للوصول إلى النتيجة، ومن الشواهد على ذلك:

[1]. الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط5، دار الفكر، بيروت، 1979م،166/1.

فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها لم تظفروا بمثلها

وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم

فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد

من لا صبر له لا إيمان له

ومن لا رأس له لا جسد له

ب ــ العوامل الحجاجية

• عاملية النفي الحجاجية

النفي أسلوب لغوي يراد به نقض الفكرة أو الدعوى، وهو عند اللغويين عبارة عن الإخبار بعدم صدور الفعل [1]، أي جحد القيام بالفعل؛ لهذا يقول البلاغيون : النفي سلب [2]، والصيغ التي تؤدي النفي كثيرة[3].

لقد استفاض علي بن أبي طالب في الاستدلال على صحة قوله بإثبات أهمية الخصال الخمس، ونفي ما كان دونها، فكان أسلوب الحوار لا غنى عنه في قول الخطيب: "لم تظفروا بمثلها"، وقوله أيضا: "ولا يستح يي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم"، وقوله في ثالثة: "من لا صبر له لا إيمان له،ومن لا رأس له لا جسد له"، إذ تتعدى علاقة المتكلم بالمخاطب في المناظرات مستوى التبليغ إلى مستوى آخر هو مستوى التفاعل "فتنشأ بينهما علاقات سجالية؛ كالدفاع والغلبة والنقد والنقض، وما إليها؛ ولا نستغرب هذه الصبغة السجالية لهذه العلاقات ، فليس السجال أو النزاع عداء ولا

---

[1]. ينظر: الجرجاني، الشريف: التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 2002م، ص240.

[2]. ينظر: ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد، مطبعة الرسالة، مصر، 1967م، ص74.

[3]، الصيغ التي تؤدي النفي في اللغة العربية هي إما أدوات نافية بسيطة (ما، لم، لن، ليس)، أو أدوات نافية مركبة تتألف من إحدى هذه الأدوات وأداة الحصر إلا، أو أسماء شبه نافية (أبدا، أحد، قط)، ينظر في ذلك: المتوكل، أحمد: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، مطابع منشورات عكاظ، الرباط 1993م ،ص80.

تعديا، وإنما هو مبدأ المغايرة ومبدأ الخروج عن الذات وتحقيق لهما [1]، فغدا النفي آلية حجاجية تقصد الإقناع، وترسم مواقف في إثبات حكم، أو دحض آخر.

- **عاملية القصر الحجاجية**

يقول السيوطي في كتابه: "أما الحصر، ويقال له القصر ، فهو تخصيص أمر بأمر آخر بطريق مخصوص، ويقال أيضا: "إثبات الحكم للمذكور" [2]، ولهذا يعد القصر من العوامل الحجاجية التي يرتكز عليها المتكلم لتوجيه خطابه الوجهة التي يريدها، فهو توكيد مضاعف، له بعد حجاجي أعمق وأنجع في توجيه المتلقي إلى النتيجة المضمرة، ويستعمل في حال إنكار المتلقي للخبر ، ويكون ذا قيمة حجاجية عالية، والهدف منه تمكين الكلام وتقويره في الذهن[3].

- **عاملية (ما / إن / ليس/ لا .... إلا) الحجاجية**

تركيب من التراكيب التي تترتب فيه الحجج حسب درجتها الحجاجية؛ حيث تترتب في سلم حجاجي واحد، فهو عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو: الانخفاض، وهو ما يستثمره المرسل لإقناع المرسل إليه[4]، لذا يقوم هذا العامل الحجاجي بحصر الإمكانيات الحجاجية للملفوظ، بمعنى أن دلالة جواب النفي بطريق القصر تكمن في إقرار الجملة المنفية السابقة بغية تثبيت غيرها، وتتضح مكونات الحجاج انطلاقا عملية الحصر والتقييد التي يوفرها القصر عن طريق النفي مع الاستثناء[5].

أداة النفي النتيجة ← أداة الاستثناء ← الحجة ←

---

[1]. ينظر: عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص51.

[2]. السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الأمير فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2003م، 1567/4.

[3]. ينظر: طلحة، محمود: القيمة الحجاجية لأسلوب القصر، في اللغة العربية، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، عدد3، 2008م، ص115.

[4]. ينظر: الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب، ص519.

[5]. ينظر: زحاف، بسمة: آليات الحجاج في عيون المناظرات لأبي علي السكوني،(رسالة دكتوراه)، جامعة باتنة، الجزائر، 2018م، ص186.

والأمثلة الواردة في الخطبة على هذا العامل كثيرة، نورد منها بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر: كقوله: "لا يرجونّ أحدكم إلا ربّه، ولا يخافنّ إلا ذنبه"، وقوله أيضا: "لا خير في قراءة إلا بتدبّر، ولا في عبادة إلا بتفكّر، ولا في حلم إلا بعلم".

ففي الأمثلة السابقة افتتح أسلوب الاستثناء بالنفي، فلا رجاء لأحد، ولا خوف من شيء، ولا خير في قراءة، ولا خير في عبادة، ولا خير في حلم، لي أتي ما بعد أداة الاستثناء حجة، وعليه فإن الكلمات: رب، ذنب، والتدبر، والتفكر، والعلم شكلت حججا للنتائج: الرجاء، والخوف، وخير قراءة، وخير عبادة، وخير حلم على الترتيب.

ج ــ الوصف

يدخل ضمن هذا النوع من الأدوات: الصفة واسم الفاعل واسم المفعول، وقد وردت هذه الأدوات في خطبة علي؛ "ذلك أن الصفة تمثل حجة في حد ذاتها، إذا استعملت على سبيل الإقناع أو الحجاج"[1]، ومن أمثلتها قول علي في خطبته: " ألا أنبئكم بالعالم كل العالم؟ من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكره، ولم يؤيسهم من روحه"، فالصفات السابقة تزيد من حضور الشيء في نفس المتلقي، وهذ هأحدى غايات الحجاج؛ ذلك أنّ حضور الشيء ورسوخه في ذهن المتلقي

[1]. الشهري، عبد الهادي: إستراتيجيات الخطاب، ص486.

يؤدي إلى الإقتناع به والإذعان له، فعملت الصفات السابقة على تقريب صورة الموضوع، وسهّلت توضيحه.

وهذا الأمر ينطبق كذلك على اسم الفاعل واسم والمفعول وهو ما يظهر في الخطبة في ألفاظ (العالم، المطيعين، المذنبين، الموحدين، الخاسرون، ..)، إذ أكسبت هذه الألفاظ الخطاب قوة وطاقة حجاجية وساعدت على الإقناع والإقتناع.

ثانيا: المبادئ الحجاجية

سيحاول الباحث تطبيق المبادئ التي ذكرت آنفا على خطبة علي بن أبي طالب بعدّها نموذجا واحدا يسري على باقي الخطب المتناولة.

تتكون هذه الخطبة من نتيجة، ومجموعة من الحجج التي تخدمها، والملاحظ أن النتيجة سبقت الحجج، وفحواها الطريقة المثلى للفوز، فالمتكلم يقدم نصائحه للمستمعين للظفر بالآخرة، وقد جاء بمجموعة من الحجج تثبت ما ذهب إليه وهي:

الحجة الاولى: لا يرجونّ أحدكم إلا ربّه.

الحجة الثانية: لا يخافنّ إلا ذنبه.

الحجة الثالثة: لا يستحيي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم.

الحجة الرابعة: إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم.

الحجة الخامسة: الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

إن لهذه العملية مجموعة من المبادئ وهي:

أ ـ تمثل مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل المجتمع، فالنصح مطلوب لدى أفراد كل المجتمعات مهما كانت الاختلافات بينهم، والعمل لليوم الآخر محبوب ومطلوب، فلا نجد من ينكر أثر هذه الحجج في الوصول إلى الغاية الرئيسة.

ب ـ العمومية: لا تقتصر هذه الحجج على سياق محدد، فهي تصلح في سياقات أخرى، فإن كانت قد جاءت هذه الحجج أجل الظفر والفوز باليوم الآخر، فهي تصلح أيضا فيما لو استخدمت في سياق التفوق والنجاح، أو في سياق بر الوالدين، أو في سياق الوقوع في المحرمات.

ج ـ التدرجية: الملاحظ في هذه الحجج أنها تربطها علاقة تدرجية، فهي تخدم نتيجة واحدة، وكل حجة تخدم سابقتها، لذلك يمكن تمثيلها في سلم حجاجي واحد، كالآتي:

- (ن) أعظم شيء يظفر به الإنسان
- ح5 الصبر
- ح4 **و**إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم
- ح3 **و**لا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم
- ح2 **و**لا يخافنّ إلا ذنبه
- ح1 لا يرجونّ أحدكم إلا ربّه

د ـ النسبية: مهما كانت قوة هذه الحجج فإنها قابلة للإبطال بحجة تناقضها ، أو إذا وظفت في موضع لا يلائمها، خاصة إذا كانت هـ ذهـ النصائح في غير أهلها، كأن تقدم لغير المسلمين، كما يمكن إبطال بعضها بحجج أقوى كما في الحجج الثالثة والرابعة والخامسة، فهي حجج قوية، لكنّ هنالك حججا أقوى تقود إلى الظفر والفوز باليوم الآخر.

ثالثا: آليات الحجاج البلاغية

أ ــ الحجاج بالتصوير البياني

- **التشبيه**

لقد اتخذ علي بن أبي طالب التشبيه سبيلا للإقناع ، و للتأثير في النفوس ؛ لما له من قدرة على تفصيل المعاني، ولما له من أثر في قبول تلقي الدعوة والاستجابة لها.

وهذه الطريقة تعد من الطرائق المقبولة لدى جمهور المستمعين، إلحاقا لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة؛ لأن النفس إلى المحسوس أميل[1].

ومن العبارات التي ورد فيها التشبيه في الخطبة السابقة قول علي: " فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد"، فكما كان للرأس تلك المنزلة العظيمة والأهمية البالغة، إذ يعد المحرك الأساس للجسد، كان للصبر تلك المنزلة الكبيرة من الإيمان، والأهمية البالغة في الربط بين الصبر والإيمان، وتظهر هنا قدرة التشبيه في التأثير على المتلقي، فساق الخطيب الحجة بعيدا عن الجدل؛ ليلقى ذلك الأمر قبولا واستحسانا لدى جمهور المستمعين.

تعتمد العبارة السابقة على التشبيه الذي يزيد المعنى وضوحا ، والتعبير جمالا، فالتشبيه يوضح ما خفي فهمه، وذلك "بإبراز المعقول الخفي في صورة المحسوس الجلي، ليتمكن المتلقي من إدراك المعنى المقصود"[2].

ب ـ الحجاج بالبديع

- **السجع**

يرفع علي بن أبي طالب الخطاب إلى أعلى مستوياته الإيقاعية، فيتفنن في انتقاء الألفاظ المسجوعة، أو المتجانسة بين الفواصل؛ مبتغيا بذلك أساليب التأثير والإقناع في نفوس السامعين.

جاء هذا الأسلوب البديعي في خضم وصايا قدمها لمستمعيه، فكان حريا به أن يتصيد مواطن التأثير، بحيث لا يجد القارئ مشقة وهو يقرأ (ربّه، ذنبه/ يتعلم، أعلم/ تدبر، تدبر)، فقد ألقى علي بن أبي طالب إيقاعا موسيقيا على المستمعين متنقلا بين أحرف الهاء والميم والراء، وهذا أضفى على الخطبة نوعا من التنوع الإيقاعي الذي شد انتباه السامعين، وعمل على " تنشيط ذهن السامع وطرد السآمة، والإسهام في إيضاح المعاني وزيادة الإفادة"[3].

---

[1]. ينظر: ابن عاشور، الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، 302/1.

[2]. بطّاهر، بن عيسى: أساليب الاقناع في القرآن الكريم، ط1، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، 2000م، ص106.

[3]. الغنيم، ابراهيم: الفنية في الشعر العربي، ط1، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م، ص264.

ج ــ الحجاج بالتدليل

دأب الكتاب والخطباء على استلهام ما جاء في الموروث القديم، وما تناقلته الأجيال عبر التاريخ، ويمكن أن تصنف هذه النقولات على أنها " حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها" [1]، يوظفها المتكلم في نصه، ويختفي من خلالها وراء سلطة المستشهَد به ، ومن النماذج التي استلهمها الخطيب للتدليل على ما جاء به:

- **الاحتجاج بالقرآن الكريم**

يأتي في أعلى مراتب الحجج في السلم الحجاجي، ويتجلى من خلال نصوص قرآنية يعمد إليها المتكلم لتأكيد أقواله، وفيما يأتي بعض المقاطع التي اعتمد عليها علي بن أبي طالب لتقوية حجته؛ لإقناع المستمع بوجهة نظره:

يقول في جزء من خطبته مستلهما قوله تعالى: ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ ﴾[2]، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "إنّ مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجًا، مع مقامهم على كفرهم ، وإصرارهم على معصيتهم"[3]، وهو الأمر الذي أراد علي بن أبي طالب تأكيده وإقناع المستمعين به، إذ كان يحذر مستمعيه من الحكم على الناس بظاهر أعمالهم، فالعالم بالنيات هو الله.

ويقول في أخرى: ﴿ فإِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ ﴾[4]، وقد جاء بهذه الحجة ليؤكد خلاف ما التفت إليه سابقا، فالرحمة والمغفرة من الله وحده حتى لو كان المرء من أشرار هذه الأمة، فقد تكون النيات هي التي أكسبته رحمة الله، والمقصد أن هذه المنقولات تؤكد صدقية القول الذي ذهب إليه علي بن أبي طالب، وأراد إقناع المتلقي به.

---

[1]. العمري، محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية– الخطابة في القرن الأول نموذجا، ط2، إفريقيا الشرق، بيروت، 2000م، ص65.

[2]. الأعراف: آية 99.

[3]. الطبري: ص163.

[4]. يوسف: آية 87.

رابعا: الأساليب الإنشائية

تعمل هذه الأساليب على إثارة النفس وشحنها بطاقة حجاجية تحمل المتلقي على الاقتناع بالجواب، أو المساءلة والإذعان لها بخلاف الأساليب الخبرية[1]، ومن الأمثلة الواردة في الخطبة:

- **حجاجية السؤال**

يؤدي الاستفهام وظيفة حجاجية، فتبرز عملية الحجاج والإقناع حين تبرز الأسئلة، فالقضايا محل السؤال هي القضايا محل الخلاف، وبالتالي التي تستوجب بناء الاستدلالات وحشد الحجج لِبَلّرة المواقف [2]، وليس بالضرورة أن تأتي كل الاستفهامات لتستخبر عن مجهول، فقد تكون أسئلة تقريرية، والتقرير حسب ابن وهب: " يكون سؤالا عما تعلمه ليقر لك به"[3]، وهو ما كان من علي بن أبي طالب، فلم يأت سؤاله في قوله: "ألا أنبئكم بالعالم كل العالم" سؤالا عن أمر يجهله، بل جاء ليقر به أمرا هو على علم به، ودليل ذلك أنه اتبع ذلك بالجواب، فالأسئلة و إن كانت في الظاهر تبتغي الاستعلام عن المجهول؛ فهي لا تعد أسئلة حقيقية، فليس الهدف منها تحصيل المعلومة، بل فتح أفق الحوار والجدل والمحاج.

- **حجاجية الأمر والنهي**

من الأساليب الحجاجية التي تجدر الإشارة إليها هذان الأسلوبان؛ لما يوفرانه من طاقة وقدرة إقناعية، إنّ الأمر والنهي يفرضان سلطة على المتلقي ، ويحملانه على الإذعان والاقتناع دون الحاجة إلى استخدام الحجج والبراهين، وبالرجوع إلى الخطبة السابقة نجد أنّ الخطيب وظف أسلوب الأمر على سبيل النصح والإرشاد، ليخرج عن معناه الحقيقي الذي هو الإلزام، وهو ما يتنافى مع طبيعة الحجاج كقوله: "احفظوا عني خمسا "، وكأن هذه العبارة تجعل الطرف الآخر مجبرا على تنفيذ أوامر الخطيب.

---

[1]. ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الأول الهجري، بنيته وأساليبه، ص 139.

[2]. ينظر: عادل، عبد اللطيف: بلاغة الاقناع في المناظرة، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، 2013م، ص209.

[3]. الزركشي، بدر الدين: البرهان في وجوه البيان، ص94.

أما أسلوبا النهي والنفي فقد زخرت الخطبة بهما؛ لأنهما يقومان على الاختيار، والحرية في القبول أو الرفض، ومن الأمثلة على ذلك:

لا يرجونّ أحدكم إلا ربّه / لا يخافنّ إلا ذنبه / لا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم / ولا خير في قراءة إلا بتدبّر / ولا في عبادة إلا بتفكّر / ولا في حلم إلا بعلم / من لم يزين لعباد الله معاصي الله / لم يؤمّنهم مكره / لم يؤيسهم من روحه / لا تنزلوا المطيعين الجنة / ولا المذنبين الموحدين النار / ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله / لا تقنطوا شر هذه الأمة.

فدلالتا النهي والنفي السابقتان وجهتا للمتكلم، بقصد التأثير فيه، فاشتمال الخطبة على هذه الكثرة من أساليب النهي والنفي تظهر جليّا سعة علم علي بن ابي طالب، ودرايته في أثر هذه الأساليب وقدرتها الإقناعية، فاستغلها خير استغلال.

خامسا: استراتيجيات الحجاج

- **إستراتيجية الحجاج بتقديم النتائج على المقدمات**

يقصد بهذه الإستراتيجية أن تكون النتيجة سابقة على المقدمة، ومن أمثلتها من الخطبة قوله: " ألا أنبئكم بالعالم كل العالم؟ من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكره، ولم يؤيسهم من روحه"، ففي الحالة العادية تكون العبارة: من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكره، ولم يؤيسهم من روحه ، هو العالم كل العالم، فقدمت النتائج على المقدمات؛ لأن الخطيب أراد إقناع المستمعين بأن هذه القضايا حتمية، فتظهر الفعالية الكبرى للحجاج؛ إذ النتيجة أمر مسلم به، وجعلها في مقام المقدمة حث للسامع، وجذب لانتباهه.

- **إستراتيجية الحجاج بالتقابل**

تتقابل القضايا في هذه الإستراتيجية بالتضاد، وهذه القضايا استدلالية مباشرة، تتكون من مقدمة ونتيجة، ومن الأمثلة على هذه الإستراتيجية قول علي بن أبي طالب:

القضية الأولى: ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله

القضية الثانية: ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله

فالملاحظ في القضايا السابقة أن الأفعال تتقابل بالتضاد على نحو: تأمنوا/ تقنطوا ــ خير/ شر ـ عذاب الله/ رحمة الله

ويمكن تحليل هذه الإستراتيجية وفق الجدول الآتي:

القضية	النتيجة	المعنى للنتيجة
لا تأمنوا خير هذه الأمة عذاب الله	لا يأمن ذلك إلا القوم الخاسرون	الحذر من الحكم على الناس وفق مظاهرهم بل العبرة في النيات، فربما وقع في عذاب الله من اعتُقد أنه من خيرة الناس
لا تقنطوا شر هذه الأمة رحمة الله	لا ييأس من ذلك إلا القوم الكافرون	الحذر من الحكم على الناس وفق مظاهرهم بل العبرة في النيات، فربما منح رحمة الله من اعتُقد أنه شر الناس.

سادسا: أنواع الحجاج

1ـ الحجج شبه المنطقية

أ ـ الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية

- **الحجج القائمة على التناقض وعدم الاتفاق**

تقوم هذه الحج ة على التناقض الذي يقصد به "ما يحتوي على طرفين لا يجتمعان ولا يمكن أن يرتفعا معا"[1]، يجد المتأمل للخطبة السابقة أن التناقض قد يجتمع في النفس البشرية الواحدة، وذلك

[1]. مفتاح، محمد: دينامية النص، تنظير وإنجاز، ص 199.

في قول الخطيب: " لا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار "، فالطاعة والمعصية قد تجتمعان في نفس واحدة، فمنهم من تُظهر ألسنتهم الطاعة والإخلاص، وتخفي قلوبهم المعصية والجحود، والعكس صحيح، وهو ما يحمل تناقضا صريحا بين ظاهر الإنسان وباطنه.

- **الحجج القائمة على التماثل والحد في الحجاج**

إن المحتج في هذا الحجاج يعمد إلى تعريف المفاهيم ، وضبط الحدود أو الأشياء بشكل ربما قد يكون غير واضح أو دقيق أو في بعض الأحيان يكون ذاتيا باعتباره ناجم ا عن تجربته الخاصة، وهذا الحجاج نجده حتى في استخدامنا اليومي، فقولنا مثلا:" الحياة هي الحياة والموت هو الموت"، هو حجاج مبني على التماثل، فهو بهذا يكون من قبيل تحصيل الحاصل، فالحياة هي الحياة والموت هو الموت، فالحدان متماثلان إلاَ أنهما ليسا حدا واحدا ؛ إذ أحدهما حقيقي ، والآخر مجازي[1].

من النماذج الواردة في الخطبة وتمثل هذه الحجة قول علي: "ألا أنبئكم بالعالم كل العالم؟ من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكره، ولم يؤيسهم من روحه"، فالمثال السابق يعتمد على تعريف المفهوم وتوضيحه للمتلقي ومن ثم إقناعه به، فالفهم طريق الإقناع لا محالة لأن أهم عناصر الحجاج هو الإفهام والفهم، فلا يمكن أن يكون هناك إقناع ما لم يكن هناك فهم للخطاب والكلام، وهذا ما يتكفل به التعريف، فهو يعمل على توضيح ماهية الشيء بتعريف حده، ومن ثم إقناع المتلقي بذلك الكلام ، فحرص الخطيب على ابراز صورة العالم كما اختزنها في ذاكرته، وأنتجتها تجاربه.

- **الحجج القائمة على التبادلية**

تقوم هذه الحجة على إسناد الحكم ذاته إلى أمرين ندعي أنهما متماثلان وفي جوهرهما فروق عديدة[2]، ومثال ذلك قول علي: "من لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له "، فسَحَب

[1]. القارضي، محمد: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 327.

[2]. ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص201.

الحكم نفسه بين عدم الفائدة المرجوة من إيمان بلا صبر، وبين جسد بلا رأس، وساوى بينهما، مع أن الفروق بين الأمرين جلية واضحة، ولكن الخطيب بهذه العلاقة يحاول جعل المتلقي يقبل بجميع ما يقوله، ويقتنع به، متكئا على حجاج قائم على التبادلية والتماثلية.

ب ـ الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية

- **تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له**

ينضوي تحت هذا القسم الحجج التي يمكن أن يطلق عليها حجج التقسيم والتوزيع، وقد انضوت الخطبة برمتها تحت هذا الصنف من الحجج؛ إذ جاءت خطبة علي في صورة الإيمان الحقيقي، وقد قسمها إلى خمسة أجزاء، فانطلق من الموضوع الكلي، ثم فصل وتدرج في أجزائه؛ ليزيد من قوة الموضوع الأساس وتأكيده في الخطبة.

2ـ الحجج المؤسّسَة على بنية الواقع

- **حجة التتابع (الحجة السببية أو الحجة البراغماتية)**

تربط هذه الحجة بين حدثين متتابعين: إما من خلال رابط سببي أو رابط براغماتي، وقد وظف علي بن أبي طالب هذه الحجة في قوله:

لا خير في قراءة إلا بتدبّر.

ولا في عبادة إلا بتفكّر.

ولا في حلم إلا بعلم.

ألا أنبئكم بالعالم كل العالم؟ من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكره، ولم يؤيسهم من روحه.

فاعتمد الخطيب الربط السببي في الجمع بين القضايا والنتائج، فمثلا خير قراءة أو خير عبادة تقع بسبب التدبر أو التفكر، فكانت خير قراءة وخير عبادة مسببتين، والتدبر والتفكر سببان لهما.

3ـ الحجج التي تستدعي القيم

إن الحجج التي تعتمد القيم تجعل المتلقي يحتج لآرائه ومواقفه بالاعتماد أو الرجوع إلى قيم محددة، ويرفض أو يعارض حججا أخرى بالرجوع إلى قيم أخرى، ويمكن تقسيم هذه القيم إلى ثلاثة أنواع أو أقسام يتخذها الحجاج نموذجا أو منوالا له ، وهي " قيم كونية وقيم التزام مجردة وقيم فعل محسوسة"[1].

نجد الخطيب يستدعي قيم الخير والحب والجمال والحق والصدق والأمانة، ويجعلها مستندا له للدفاع عن رأي أو موقف يطرحه، فكلام الخطيب في خطبته السابقة جاء عبارة عن نصح وإرشاد، لا سيما أنّ صاحب هذا القول ذو خلق كريم، وفي نصحه يبغي قيمة الخير.

إنّ توظيف هذا النوع من الحجاج يساعد المحتج في اقناع المستمع، خاصة أنه يقدم قيما ترتبط بالخير والحق، وما على المتلقي إلا قبول هذه القيم دون اعتراض أو مناقشة.

الخطبة الثانية: خطبة صالح بن علي•

الخطبة نصا: "يا أعضادَ النفاقِ وعبد الضلالة، أغركم لين إبساسي ، وطول إيناسي؛ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حدّ، وفتور جدّ، وخور قناة! كذبت الظنون؛ إنها العترة بعضها من بعض، فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال وفطام وسيف يقدّ الهام، وإني أقول:

أغـرَّكُمُ أنـّي بأَكْـرَمِ شِيـمَةٍ رَفِيقٌ وأنّي بالفَواحِشِ أَخْرَقُ

وَمِثْلي إذا لَم يُجْزَ أَحْسَنَ سَعْيِهِ تَـكَلّمَ نَعْمـاهُ بَدَيْـها فَتَنْطِقُ

لِعَمْرِي! لَقَدْ فاحَشْتَنِي فَغَلَبْتَنِي هَنِيئًا مَرِيئًا أَنْتَ بِالفُحْشِ أَرْفَقُ"[2]

---

[1]. ينظر: آمال، شيخ: البنية الحجاجية في كتاب المقابسات (رسالة ماجستير)، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009م، ص167.

• صالح بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (ت 151هـ)، أول ولاة بني العباس على مصر، في عهد أبي العباس السفاح.

[2]. الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، 187/4.

الخطبة تحليلا

أولا: آليات الحجاج اللغوية

أـ الروابط الحجاجية

- **الرابط الحجاجي (الواو)**

تؤدي الواو دورا كبيرا في الربط على المستوى الدلالي، وإذا ما أردنا البحث في حجاجية هذا الرابط، فإنّ قيمة الخطاب تتأتى من حجة صاحبه [1]، والحجج لن تحقق مقاصد المتكلم إلا إذا وُظّف لذلك رابطا يجمعها مثل الواو الذي يرتب الحجج، ويصل بعضها ببعض، ويقوي صلة كل حجة منها بالأخرى، والطريف في (الواو والفاء) أنهما يعملان على الربط النسقي على المستوى الأفقي، وتتجاوزان ذلك إلى الترتيب العمودي للحجج[2].

ويمكن أن نمثل على هذا الرابط بقوله: " يا أعضاد النفاق وعبد الضلالة، أغركم لين إبساسي وطول إيناسي" وقوله كذلك: "حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حدّ، وفتور جدّ، وخور قناة!"، وقوله أيضا: " فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال وفطام وسيف يقدّ الهام".

- (ن) شدة صالح بن علي وحزمه، ووجوب الحذر منه
- ح3 عندي سيف يقد الهام

ـــــ و

- ح2 عندي فطام

ـــــ و

- ح1 عندي فصال

[1]. ينظر: مانفونو، دومينيك: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص12.

[2]. الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب، ص473.

فالمخطط السابق يبين الرصف الدلالي والتداولي الحجاجي لهذه الوضعية الحجاجية التي لعبت فيها الواو دورا بارزا.

- **الرابط الحجاجي (حتى)**

ومن النماذج الواردة على هـ ذا الرابط من الخطبة قوله: "أغركم لين إبساسي وطول إيناسي؛ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حدّ، وفتور جدّ، وخور قناة"، يتكون هذا القول من مجموعة من الحجج التي تنتمي إلى باب حجاجي واحد؛ لأنها حجج لفائدة نتيجة ضمنية من قبيل تبيان شدة غضب صالح بن علي، وهذه الحجج هي:

الحجة الأولى: اعتقاد الناس أنّ الوالي لين

الحجة الثانية: اعتقادهم أنّ الوالي حسن المؤانسة

الحجة الثالثة: ظنهم أنّ ذلك ضعف من الوالي

وقد جاء الرابط "حتى" ليزيد في قوة الحجة الأخيرة التي أتت بعده، والمتمثلة في عدم خوف الطرف الآخر من الوالي، وعدم الانصياع لأوامره، وبذلك ف إنّ هذه الحجج جاءت متدرجة حسب القوة والصعف، ويمكن تمثيلها في السلم الحجاجي على النحو الآتي:

(ن) شدة غضب الوالي وشدة حزمه

ح3 ظن الناس أن الوالي ضعيف

(را) حتى

ح2 اعتقادهم أن الوالي حَسَنُ المؤانسة

ح1 اعتقاد الناس أن الوالي لين

- **حجاجية أسلوب الشرط**

يؤدي الشرط دورا بارزا في ربط الجملتين ربطا دلاليا منطقيا، فتقدم الحجة للوصول إلى النتيجة والجزاء، وبالنظر إلى الخطبة السابقة نجد قول صالح بن علي: " فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال وفطام وسيف يقدّ الهام"، يرتبط بالشرط، من خلال استخدامه اسم الشرط (إذا)، وبيان الشرط السابق في الترسيمة الآتية:

مقدمة (مق) النتيجة (ن)

إذا استويتم العافية فعندي فصال وفطام وسيف يقدّ الهام

فمحصلة الشرط السابق أنه لن يتهاون مع من يركن للدعة والراحة، وأن سيفه سيكون لهم ولأعدائه بالمرصاد.

ب ـ العوامل الحجاجية

- **أسلوب التوكيد**

هناك أدوات لتأكيد القول ودفع الإنكار مثل، (إن، لام التوكيد)؛ إذ تقوم بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم بعض الأمور للمتلقي بل فرضها عليه، ويكون هذا الأسلوب بقصد رد إنكار المخاطب ودفع الشك، وقد استعمل الخطيب هذا الأسلوب بقوله: " أن ذلك لفلول حدّ "، فدرجة الحجاج ازدادت قوة من مجرد الإخبار إلى تأكيد الأمر، فجاءت هنا لإنكار ما قد توهمه بعضهم من أن ذلك تخاذل أو جبن من الأمير، وهذا ما يعرف في البلاغة العربية بالخبر الإنكاري.

ثانيا: آليات الحجاج البلاغية

أ ـ الحجاج بالتصوير البياني

- **الاستعارة**

ما يميز الاستعارة الحجاجية انفتاحها على التأويل، فالمؤول ينطلق إلى تأويل القول الاستعاري عندما يدرك أن لا جدوى من المعنى الحرفي، فأخذت الاستعارة في الدراسات المعاصرة "مساحات

كبيرة على مختلف الأصعدة الفنية والأدبية والإبداعية، نظرا لما تتميز به بنيتها من مرونة وانفتاح على التأويل والقراءة، مما جعلها أدق أنواع المجاز الكلامي لاتصافها بخصائص عديدة منها: الحيوية والوضوح والاختصار والتعظيم والتفخيم والتحسين.[1]

ومن خير ما يمثل الاستعارة في الخطبة السابقة قول الخطيب: " فإذا قد استوليتم العافية" ، ففي لفظة العافية استعارة مكنية، جعل منها شيئا ماديا محسوسا بالإمكان الحصول والاستحواذ عليه، وفي هذه الصورة تأكيد للمتلقي للعمل والدفاع عن الخلافة، وعدم التخاذل والركون إلى الدعة والراحة.

ب . الحجاج بالبديع

- **السجع**

يعد السجع من المحسنات البديعية التي يستخدمها المتكلم قصد التأثير والإقناع، لما يمتلكه من سلطة حجاجية تزيد في قوة الملفوظ، وهذا ما أثبتته البلاغة العربية، فهي تحفل بالشواهد التي تبين أن الحجاج من وظائف البديع الرئيسة، هذا بالإضافة إلى الناحية الشكلية المتمثلة في الزخرف اللفظي[2].

يكون المحسن البديعي حجاجيا إذا كان يهدف إلى تغيير وجهة النظر، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيكون للزخرف اللفظي، وتحسين الأسلوب، وسبب ذلك هو تقصيره عن أداء دور الإقناع[3].

وقد أضفى السجع على الخطبة نغما موسيقيا ، فشدّ انتباه القارئ، وعمد إليه الخطيب ؛ ليزيد في القوة الحجاجية لعباراته، ومن عباراته المسجوعة الواردة في الخطبة: "أغركم لين إبساسي وطول

---

[1]. ينظر: الأمين، محمد: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، ط 1، منشورات المركز العالمي للدراسات، ليبيا، 2004م، ص45.

[2]. الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب، ص498.

[3]. الحباشنة، صابر: التداولية والحجاج، ص50.

إيناسي"؛ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حدّ، وفتور جدّ"، وقوله أيضا: " فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال وفطام، وسيف يقدّ الهام".

يحاول الخطيب تحذير المستمعين من بطشه وجبروته، و أن هدوءه ما هو إلا هدوء ما قبل العاصفة، وقد جاء بمجموعة من الحجج التي تخدم هذه النتيجة، وقد اعتمد فيها على السجع لتقويتها، لذلك نجد أن السجع لا يقتصر دوره على الزخرف اللفظي، بل يحمل وظيفة حجاجية؛ تهدف إلى الإقناع والتأثير في المستمعين.

ج ـ الاحتجاج بالتدليل

- **الاحتجاج بالشعر**

يقول ابن خلدون فيه: " واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب؛ لذلك جعلوه ديوان علومهم و أخبارهم وشاهد صوابهم وخط هم، وأصلا يرجعون إليه في كثير من علومهم وحكمهم"[1].

يظهر من خلال التنبيه الذي بثه صالح بن علي أنه فارس شجاع لا يهاب، و إن كان في بعض المواقف يكتم غيظه، ولإثبات هذه الحجة ربطها ب أبيات شعرية تمثل هذه الخصلة فيه، فقال في خطبته:

أغـرّكم أنـّي بأكـرم شيـمة رفيـق وأنّي بالفـواحش أخـرق

ومثلي إذا لم يجز أحسن سعيه تـكلم نعمـاه بديـها فتنطق

لعمري! لقد فاحشتني فغلبتني هنيئا مريئا أنت بالفحش أرفق[2]

---

[1]. ابن خلدون، ولي الدين: مقدمة ابن خلدون، تح: أ. م كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م، 396/2.

[2]. الأبيات للشاعر الجاهلي لقيط بن زرارة، يقال له ابو نهشل، وأبو دختنوس. ينظر: الروضان عبد عون: موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001م، ص280.

ثالثا: الأساليب الإنشائية

- **حجاجية السؤال**

السؤال وسيلة لإثارة المستمع، ودفعه إلى إعلان رأيه نحو قضية معينة؛ فتجعل المتكلم قائدا للخطاب يوجه خطابه كيفما شاء، وقد برز الاستفهام في بداية الخطبة في قول الخطيب: " أغركم لين إبساسي وطول إيناسي"، ففي الاستفهام السابق قوة حجاجية تتمثل في فعل كلامي غير مباشر للاستفهام الغاية منه التعجب والاستنكار، وذلك حين ظنّ القوم أنّ طول راحة الأمير ولينه ما هو إلا جبن وتخاذل، فجاء التعجب من هذا الاعتقاد الخاطئ.

رابعا: أنواع الحجج

1. الحجج شبه المنطقية

أ ـ الحجج شبه منطقية التي تعتمد البنى المنطقية

- **الحجج القائمة على التناقض وعدم الاتفاق**

تبنى هذه الحجج على التناقض ، فتتضح الأمور فيها بمناقضتها لقضية أخرى ، وتؤكد صدقها بمناقضتها للقضية الأولى ، فتصل بذلك إلى تأكيد حجتها وبطلان نقيضتها، وتكون هي الحجة الأقوى، من خلال مخالفتها ومناقضتها لما سبقها، وتؤكد صحتها وأحقيتها في القبول[1].

وتظهر هذه الحجة في قول الخطيب: " فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال وفطام وسيف يقدّ الهام"، وذلك أن التناقض جليّ بين من يبحث عن الراحة والعافية ليجد السيوف الحادة بانتظاره ، فيتضح المعنى المقصود من خلال هذا التناقض، ففي الجمل حجج قوية تؤكد الأفكار الموجودة، إذ إنه يدفع بالتناقض ليجبر المتلقي على القبول برأيه ويذعن له، فالحجة الأقوى هي الثانية وهي المطلوبة عند الخطيب، إذ إنه يرفض الاستكانة والتخاذل، ومن يفعل ذلك ستكون عاقبته وخيمة.

[1]. آمال، شيخ: البنية الحجاجية في كتاب المقابسات، ص135.

وتبرز هذه الحجة كذلك في الأبيات المقتبسة في الخطبة من خلال اقتباس الخطيب للبيت القائل:

أغـرّكم أنـّي بأكـرم شيــمة رفيـق وأنّي بالفواحش أخرق

وهو ما يظهر تناقضا بيّنا في النفس البشرية، فهي كريمة فاحشة، فكيف يجتمع الكرم والفحش في النفس في آن واحد؟ إلا أن يكون هذا تناقضا وعدم اتفاق.

- **الحجج القائمة على العلاقة التبادلية**

"وتتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة، وهو ما يعني أنّ تينك الوضعيتين متماثلتان، وإن بطريقة غير مباشرة ، وتماثلها ضروري لتطبيق قاعدة العدل ، وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة"[1].

ومن الأمثلة التي تبنى على علاقة التبادل قول الخطيب: "حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حدّ، وفتور جدّ، وخور قناة"، فالخطيب ساوى بين جميع الأمور التي ذكرها في خطابه وجعلها على مرتبة واحدة، ففلول حد، وفتور جد، وخور القناة، كلها في دائرة واحدة تمثل اعتقاد الناس ضعف الأمير وقلة حيلته، بدأت من ضعف العتاد إلى ضعف الجسم وانتهت بضعف العتاد، فقام الخطيب بتبديل تلك العلاقة بشيء معروف لدى المستمعين، وذلك من أجل إثبات غايته وهدفه من الخطاب، وهو إقناع السامعين برأيه وموقفه وفكرته، وأن كل ما اعتقدوه كان باطلا، وأنه ما زال في قوته وجبروته.

[1]. صولة، عبد الله: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص328.

الخطبة الثالثة: خطبة لقطري بن الفجاءة• في ذمّ الدنيا1

الخطبة نصا "صعد قطري بن الفجاءة منبر الأزارقة– وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم– فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد، فإني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحببت بالعاجلة، وغمرت بالآمال، وتحلّت بالأماني وزيّنت بالغرور؛ لا تدوم حسرتها، ولا تؤمن فجعتها؛ غدّارة ضرارة، وحائلة زائلة، ونافدة بائدة؛ لا تعدو– إذا هي تناهت إلى أمنيّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها –أن تكون كما قال الله عز وجل: { كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا }[2]، مع أن امرأً لم يكن منها في حَيْرَة، إلا أعقبته بعدها عَبْرَة؛ ولم يلق من سرائها بطنا، إلا منحته من ضرائها ظهرا؛ ولم تطلّه منها ديمة رخاء، إلا هطلت عليه مزنة بلاء؛ وحريّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له خاذلة متنكرة؛ وإن جانب منها اعذوذب واحلولى، أمر عليه منها جانب فأوبا؛ وإن لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعما، أرهقته من نوائبها غمّا؛ ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن، إلا أصبح منها في قوادم خوف؛ غرّارة، غرور ما فيها؛ باقية، فان ما عليها؛ لا خير في شيء من زادها إلا التقوى، من أقلّ منها استكثر مما يؤمّنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه، وزال عما قليل عنه، استكثر مما يوبقه؛ كم واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعته، وكم من ذي اختيال فيها قد خدعته؛ وكم من ذي أبّهة فيها قد صيّرته حقيرا، وذي نخوة فيها قد ردّته ذليلا، وذي تاج قد كبّته للیدین والفم؛ سلطانها دول وعيشها رَنَقٌ، وعذبها أجاج، وحلوها مرّ، وغذاؤها سمام، وأسبابها رمام ، وقطافها سلع؛ حيها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ومنيعها بعرض اهتضام؛ مليكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وصحيحها وسليمها منكوب؛ وحائزها وجامعها محروب؛ مع أنّ من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته، وهول المطّلع، والوقوف بين يدي الحكم العدل؛ { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَا ؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى }[3]

• قطري بن الفجاءة الأمير أبو نعامة التميمي المازني، توفي سنة 79 هـ ، رأس الخوارج، له وقائع مشهودة، وشجاعة لم يسمع بها، وكان خطيبا بليغا، ينظر: المبرد: الكامل، 355/3، وينظر: الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، ص3098

[1]. ترد هذه الخطبة في مصادر أخرى منسوبة لعلي بن أبي طالب، ينظر: نهج البلاغة، 217/1.

[2]. الكهف: آية 45.

[3]. النجم: آية 31.

ألستم في مساكن من كان أطول أعمارا، وأوضح آثارا، وأعدّ عديدا، وأكثف جنودا، وأعتد عتادا، وأطول عمادا؟ تعبّدوا للدنيا أيَّ تعبد، وآثروها أي إيثار، وظعنوا عنها بالكرّة والصّغار؛ فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية، وأغنت عنهم فيما أمّلتهم به بخطب! بل أثقلتهم بالفوادح، وضعضعتهم بالنوائب، وعفّرتهم للمناخر، وأعانت عليهم ريب المنون، وعقرتهم بالمصائب؛ وقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر الأمد. هل زوّدتهم إلا الشقاء، وأحلّتهم إلا الضنك، أو نوّرت لهم إلا الظلمة، وأعقبتهم إلا الندامة؟

أفهذه تؤثرون، أم عليها تحرصون، أم إليها تطمئنون؟ يقول الله تبارك وتعالى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[1]؛ فبئست الدار لمن لم يتّهمها، ولم يكن فيها على وجل منها؛ اعملوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بدّ؛ فإنما هي كما نعت الله عز وجل: { لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ }[2]، فاتّعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية يعبثون، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون، وبالذين قالوا : {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً }[3]؛ واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الضريح أكنان، ومن التراب أكفان، ومن الرّفات جيران؛ فهم جيرة لا يجيبون داعيا، ولا يمنعون ضيما، إن أخصبوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جمع وهم آحاد، جيرة وهم أبعاد، متناؤون وهم يزارون ولا يزورون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، وهم كمن لم يكن، قال الله تعالى : { فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ }[4]، استبدلوا بظهر الأرض بطنا، وبالسعة ضيقا، وبالآل غربة، وبالنور ظلمة، فجاءوها حفاة عراة فرادى، غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يقول الله تبارك وتعالى: {كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ }[5]، فاحذروا ما حذركم الله، وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله، عصمنا الله وإياكم بطاعته، ورزقنا وإياكم أداء حقه"[6].

---

[1]. هود: آية 15-16.

[2]. الحديد: آية 20.

[3]. فصلت: آية 15.

[4]. القصص: آية 58.

[5]. الأنبياء: آية 104.

[6]. الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، 225/4.

الخطبة تحليلا

أولا: آليات الحجاج اللغوية

أـ الروابط الحجاجية

- **الرابط الحجاجي (الواو)**

من معاني الواو " إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول"[1]، وقد أسس الخطيب خطبته على هذا الرابط، فزخرت الخطبة به، على نحو قوله: " ألستم في مساكن من كان أطول أعمارا، وأوضح آثارا، وأعدّ عديدا، وأكثف جنودا، وأعتد عتادا، وأطول "، وقوله أيضا: " فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الضريح أكنان، ومن التراب أكفان، ومن الرّفات جيران "، وغيرهما الكثير مما يصعب حصره، فقد جاءت لإفادة معان متعددة في حكم واحد وإشراكها فيه.

- **الرابط الحجاجي (بل)**

أداة ربط بين قولين، ومعناها الإضراب عن الأول والإثبات للثاني [2]. ترتب حجتها في السلم الحجاجي بما يعرف بالحجج المتعاكسة؛ فيكون القول بعدها أقوى حجة في درجة السلم الحجاجي من القول الذي هو قبلها.

ومن أمثلة ذلك قول الخطيب: " فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية، وأغنت عنهم فيما أمّلتهم به بخطب! بل أثقلتهم بالفوادح، وضعضعتهم بالنوائب "، فجاء الكلام بعد "بل" في القول السابق في درجة عليا، وما قبلها في درجة دنيا من الحجاج، ويمكن تمثيل ذلك وفق السلم الحجاجي الآتي:

---

[1]. أبو العباس، المبرد: المقتضب، ص4.

[2]. السابق: ص12.

(ن) الدنيا فانية غرارة بالإنسان لا تغني عن الآخرة

ح4 بل ضعضعتهم بالنوائب

ح3 بل أثقلتهم بالفوادح

ح2 الدنيا لم تغن عنهم فيما أملتهم به

ح1 الدنيا لم تسمح لهم نفسا بفدية

فرفع الرابط الحجاجي مستوى الإقناع في الخطاب الحجاجي، فوجّه المتكلم المتلقي إلى مسار حجاجي يقضي بإقناعه أنّ الدنيا فانية لا تساوي شيئا، مثقلة بالفوادح والمصائب.

- **الرابط الحجاجي (حتى)**

لهذا الرابط دور فعال في ترتيب منزلة العناصر، وتراتبية الحجاج، ويتمثل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تقومان بالنتيجة نفسها بدرجات متفاوتة[1].

وفي خطبة ابن الفجاءة يقول: "وقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر الأمد"، فسلك الخطيب تتابعا منطقيا وصولا إلى النتيجة المرجوة، فالدنيا تتنكر للجميع، القريب والبعيد، ومن آثرها، ومن أطاعها، إلى أن يصل إلى الغاية المنشودة الظاهرة وهي مفارقة الدنيا فراقا بلا عودة، فانتظار المتلقي للنتيجة لم يختلف عما جاء به الخطيب قبل حتى، ولكن بدرجة أكبر وأقوى.

- **الرابط الحجاجي (إنّ / أنّ)**

تأتي هذه الروابط للتأكيد والتحقيق حيث يزعم النحاة أنها تؤكد ما بعدها وتحققه[2]، وتأتي هذه البنية في صورة أخرى تحمل أيضا معنى الإيضاح والتفسير ، وتزيل الغموض والالتباس في المعاني

[1]. العزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، ص33.

[2]. ينظر: المخزومي، مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1987م، ص317.

الموجودة في الخطبة، وكل ذلك لأجل الوصول إلى إقناع المتلقي بمضمون الخطبة، ومن الأمثلة التي وردت:

"فإني أحذركم الدنيا / فإنها حلوة خضرة / مع أنّ من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته / أنّ الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية"، فجاءت (إن) في جملتها لإزالة الغموض، وجذب انتباه المتلقي لما تحمله جملة التفسير، وقد حملت معنى التوكيد الذي وظف في هذه البنى بطريقة تلفت الأنظار.

واقتران الرابط (أنّ) مع (الفاء) يفيد معنى الربط والتعليل والتعقيب والتأكيد لاجتماع (الفاء) مع (أن)، وتظهر بفعل ذلك العلاقة الاقتضائية التي تعد من أهم العلاقات الحجاجية، فيجمع الرابط الحجاجي (فإن) بين معان متعددة ليصل إلى النتيجة التي يرجوها الخطيب وهي الإقناع.

- **حجاجية أسلوب الشرط**

تقدّم في صفحات سابقة أنّ لهذا الأسلوب دورا بارزا في ربط جملتي الشرط وجوابه ربطا دلاليا منطقيا، ومن الشواهد التي وردت في الخطبة وتدلل على ذلك:

إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له خاذلة متنكرة

وإن جانب منها اعذوذب واحلولى، أمر عليه منها جانب فأوبا

وإن لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعما، أرهقته من نوائبها غمّا

إن أخصبوا لم يفرحوا

وإن قحطوا لم يقنطوا

من أقلّ منها استكثر مما يؤمّنه،

من استكثر منها استكثر مما يوبقه، وزال عما قليل عنه، استكثر مما يوبقه

ففي الجمل السابقة تعلق أمر بآخر؛ مما جعل منه آلية حجاجية كان للمتكلم فيها سلطة في التأثير والإقناع؛ "إذ إن جملة الشرط تنهض بدور توجيه المتلقي إلى الجزاء ، ليعود فيوجه فهمه لمحتوى الشرط، وهو ما يعني أن التأثير متبادل بين الشرط والجزاء"[1].

- **حجاجية التعليل باللام**

تجسدت صورة من صور التعليل في الخطبة بحضور حرف التعليل اللام؛ فيقوم بربط الأسباب بالنتائج أو ربط الحجج بالنتائج بعلاقة سببية أو تعليلية، ومن ذلك ما نجده في قول قطري بن الفجاءة: "والوقوف بين يدي الحكم العدل؛ ليجزي الذين أسا ؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى".

يتضح ذلك من خلال ربط العلل بمعلولاتها، والأسباب بمسبباتها، وبذلك يكون الربط والتعليل، وهذا الربط التعليلي يمكن أن يصل المتلقي إلى الإقتناع والإذعان لما يقوله المتكلم أو المحتج.

ب ـ العوامل الحجاجية

- **عاملية النفي الحجاجية**

مما تجدر الإشارة إليه أنّ أسلوب النفي من الأساليب الحجاجية الشائعة، لذا فقد كان حضوره في الخطبة حضورا بارزا؛ لقناعة الخطيب أنّ كل قول يأتي منفيا يكون حجة لإقناع السامع، وقد تنوعت أدوات النفي في الخطبة، نذكر منها على سبيل المثال:

لا تدوم حسرتها / لا تؤمن فجعتها / لا خير في شيء من زادها / لا يدعون ركبانا / لا يدعون ضيفانا / لا يجيبون داعيا / لا يمنعون ضيما.

جاءت (لا) في الأمثلة السابقة نافية دخلت على المضارع؛ إذ قيل إنّ دخولها على الماضي قبيح لئلا تشبه الدعاء [2]، وجاءت في أمثلة أخرى نافية للجنس، وقد جاءت جل الأمثلة النافية لتؤكد حقيقة مفادها أنّ الدنيا تافهة زائلة بما عليها.

---

[1]. صولة، عبد الله: الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار المعرفة، تونس، 2007م، ص404.

[2]. الزجاجي، أبو القاسم: حروف المعاني، تح: علي الحمد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص4.

وعامل النفي الثاني الذي حاز مساحة من الخطبة حرف الجزم (لم) الذي يقوم بجزم الفعل المضارع، ويقلب زمنه من الحاضر إلى الماضي وينفي حدوثه، لذا فتأثيره في جانبين، النفي والنقل إلى الماضي[1]، ومن الأمثلة المختارة من الخطبة:

لم يكن منها في حيرة / لم يلق من سرائها بطنا / لم تطلّه منها ديمة رخاء / لم يمس امرؤ منها في جناح أمن / لم يكن فيها على وجل منها/ لم يفرحوا / لم يقنطوا.

و"لم" في الأمثلة السابقة لم تختلف في وظيفتها عن تلك الوظيفة التي أدتها "لا" في تأكيدها ونفيها لأهمية الدنيا إذا ما قورنت بالآخرة، فضلا عن دلالتها النحوية الوظيفية المفترقة عن دلالة "لا".

جاء النفي في صورة ثالثة وذلك من خلال النفي بليس، وقد جاء في موضع واحد عند اقتباس الخطيب آيات من القرآن، وذلك في قوله تعالى: **{** لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ **}**.

- **حجاجية الحصر بـ (إلا)**

من التراكيب الحجاجية المهمة، تترتب فيها الحجج حسب درجة قوتها الحجاجية، وهو " عامل يوجه القول نحو وجهة واحدة نحو الانخفاض"[2]، ومن الشواهد التي أوردها الخطيب على ذلك:

مع أن امرءا لم يكن منها في حيرة، إلا أعقبته بعدها عبرة

ولم يلق من سرائها بطنا، إلا منحته من ضرائها ظهرا

ولم تطلّه منها ديمة رخاء، إلا هطلت عليه مزنة بلاء

ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن، إلا أصبح منها في قوادم خوف

لا خير في شيء من زادها إلا التقوى

---

[1]. ابن يعيش: شرح المفصل، 263/4.

[2]. الشهري، عبد الهادي: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص520.

فاستعمال الخطيب لأسلوب الحصر جاء لإقناع المتلقي بتعظيم الشيء بإدخال عوامل مثل: (النفي... إلا)، ففي الأمثلة بإمكان القارئ أن يلحظ هول الأمور التي جاءت بعد إلا مقارنة لما قبلها، لقد ألجأ الخطيب المتلقي إلى موضع ضيق، فقد ضيّق عليه دائرة التأويلات والاحتمالات إلا تلك التي يريدها المتكلم بفضل أسلوب الحصر الوارد في الأمثلة السابقة.

- **حجاجية القصر بـ (إنما)**

تأتي (إنما) لتصحيح معتقد يذهب إلى عكس المفهوم، واستعمالها " لا تقوله لمن يجهل ذلك، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنه يريد ان تنبهه"[1]، وقد وردت في الخطبة في موضع واحد في قول الخطيب: " اعملوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بدّ؛ فإنما هي كما نعت الله عز وجل: **{**لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ **}**، فجاء القصر بإنما للتنبيه والتذكير بأمر معروف لا يجهله السامع، فالدنيا لعب وزينة ولهو، تركها أمر محتوم، وهذه الأمور جميعا لا ينكرها السامع، وإنما أراد الخطيب التذكير بها حتى لا يكون الناس في غفلة من الأمر.

ثانيا: آليات الحجاج البلاغية

تنوعت الآليات البلاغية الموجودة في الخطبة ، فمن تشبيه إلى استعارة إلى كناية إلى استخدام صور البديع بأنواعه، فهذه الصور البلاغية تخلّق الجمال وتقرنه بالإقناع ، "فالمعنى يكون مقنعا ولكنه يحتاج إلى جمال يُوشّيه، ويحفظ له رونقه، ويدعم فعله، والمعنى يكون جميلا ، فتزداد قدرته على الفعل في المتلقي"[2].

[1]. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، ص330.

[2]. الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص122.

أ ـ الحجاج بالتصوير البياني

- **الحجاج بالتمثيل**

ينطلق هذا الحجاج من منطلق الاستدلال بالغائب على الشاهد؛ لأجل تقريب الصورة للمستمع؛ ليكون على يقين واقتناع بما يطرح المحاجّ، ويتضح هذا اللون في قول الخطيب: " واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الضريح أكنان، ومن التراب أكفان، ومن الرّفات جيران....{ فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ }، فقد مثّل ابن الفجاءة زوال الدنيا وأنها لا تبقي على أحد بأحوال الأقوام السابقة، فلو أبقت الدنيا على أحد لأبقت على الأقوام السالفة التي كانت أطول أعمارا، وأشد قوة.

- (ن) الدنيا ومن عليها الى زوال.
- ح2 حال الأقوام السابقة التي لم يبق من ذكرها شيء.
- ح1 تمثيل قطري بن الفجاءة بالآية القرانية.

- **التشبيه**

يوظف المحاجُّ التشبيه ليقرب الصورة للمتلقي، فيجعله يراها رأي العين، ومن التشبيهات التي أوردها الخطيب في خطبته قوله: { كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً }، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى : واضرب يا محمد للناس مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض أي: ما فيها من الحب ، فشب وحسن ، وعلاه الزهر والنور والنضرة، ثم بعد هذا كله فأصبح هشيما يابسا تذروه الرياح أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال [1]، فهو بذلك يجعل المتلقي يتصور حالة الدنيا التي يعمل لها ويغتر بها.

[1]. ابن كثير: نفسير القرآن الكريم، ص161.

- **الاستعارة**

للاستعارة دور في الخطاب الحجاجي يقوم على إثارة النفوس بغرض إقناع المتلقي، وحمله لاحقا على الإذعان بعد أن يُعْمِلَ عقله في تأويلها، وإدراك حقيقتها، فهي وسيلة يتصرف فيها المتكلم؛ لينقل رسالة ويعقد الحوار والاتصال مع المتلقي [1]، وقد اعتمد الخطيب على الاستعارة اعتمادا ظاهرا؛ إذ إن حديثه عن الدنيا ألزمه التشخيص في جل عباراته، ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال: "وإن لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعما، أرهقته من نوائبها غمّا"، وقوله أيضا: "وقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها وآثرها"، فالاستعارات السابقة وغيرها استعارات مكنية طوعها الخطيب وجعلها تعبر عما يقصده في أبلغ صورة، وأبسطها للفهم، جامعا بذلك بين الإفهام والإبلاغ والإمتاع، فجعل الدنيا حينا كائنا حيّا في غضارته، وحينا آخر انسانا متعِبا، وثالثة جعلها إنساناً يتنكر، مدركا بهذه العبارات أنّ الاستعارة أقوى تأثيرا من الحقيقة.

- **الكناية**

هي عند أفذاذ البلاغة " لفظ أريد به ملزوم معناه الوضعي من حيث هو كذلك، فإن لم يكن اللازم ملزوما احتاج فيه العقل إلى تصرف، وبذلك التصرف يصير اللازم ملزوما" [2]، ومما يحسب للكناية أنها تتطلب جهدا ذهنيا وفكريا من المتلقي في تأويل صورتها.

ومما يحسن الاستشهاد به على هذا الضرب من الحجاج قول الخطيب: "لم يلق من سرائها بطنا، إلا منحته من ضرائها ظهرا؛ ولم تظلّه منها ديمة رخاء، إلا هطلت عليه مزنة بلاء"، وهي كناية عن سرعة انقلاب حال الدنيا وتغيّرها ، وفي قوله: "وأحلّتهم إلا الضنك، أو نوّرت لهم إلا الظلمة"، كنايةٌ عن القبر وظلمته.

فجاءت الصورة الكنائية في الأمثلة السابقة وغيرها من الأمثلة الواردة في الخطبة حجة وظّفها المخاطب لبلوغ مقاصد بذاتها، ومرتبطة بالمقام التداولي للخطبة، فكانت الكناية بذلك " أبلغ من الإفصاح والتعريض"[1].

---

[1]. بوحوش، رابح: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص 152.

[2]. الجرجاني، عبد القاهر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م، ص216.

ب . الحجاج بالبديع

- **الطباق**

أكثر ما يلفت النظر في الخطبة السابقة تضمين صاحبها لنماذج متعددة من الطباق، وكأن الخطبة قائمة على حالين متناقضين، وهذا ما كان فعلا، فقد ارتكزت الخطبة في مضمونها على تصوير حال الدنيا الزائلة الفانية بحال الآخرة الباقية الدائمة.

ولما كان من العسير تدوين كل النماذج التي اشتملت عليها الخطبة، سأكتفي هنا بإيراد بعض النماذج التي تمثل هذه الظاهرة: (سرائها، ضرائها / بطنا، ظهرا / يمس، أصبح / أمن، خوف / باقية، فان / أقلّ ، استكثر / عذب، أجاج / حلو، مرّ)، فتعد المتضادات السابقة تقنية حجاجية فهي تقابل بين حالين بحجج متوازية، وص حة المقابلة كما يقول قدامة بن جعفر: هو أن يُصنع معاني يريي التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتى في الم وافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة [2]، فجاءت النماذج السابقة لتؤكد حجاجية الطباق، إضافة إلى البعد الجمالي، ولم تكن الغاية منها ترفا لفظيا، أو زخرفة للألفاظ، بل رغبة من الخطيب في إبراز الجوانب المتناقضة بين الدنيا من جهة والآخرة من جهة أخرى، وإثبات حجية الثانية على الأولى.

- **السجع**

وظف قطري بن الفجاءة السجع في خطبته في مواضع مختلفة؛ من أجل التسهيل على المتلقي في تلقيها والاقتناع بها، بفعل الجرس الموسيقي الذي تحدثه، إذ إن "الموسيقى رافد من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما وقع على النفوس، وامتلاك الأنغام للأسماع ، وما كان أملك للسمع كان أفعل باللب وبالنفس"[3]، إذ للجانب الصوتي دوره في إحداث نوع من الإقناع في نفس السامع، واستعمال نغمات الصوت في الخطاب عند التواصل عن بعد من أجل إقناع المرسل إليه[4].

---

[1]. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، ص55.

[2]. ينظر: قدامة، ابن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 141.

[3]. الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص127.

[4]. الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية وتداولية، ص456.

ومن الأمثلة الواردة في الخطبة: "واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الضريح أكنان، ومن التراب أكفان "، وقوله أيضا: " مليكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وصحيحها وسليمها منكوب؛ وحائزها وجامعها محروب"، فانتهاء فواصل الجمل بحروف متشابهة جاء ليدعم كلام الخطيب أن لا معين ولا ناصر للمرء عند زوال الدنيا، فكانت العبارات منسابة داخل النص بعيدة عن التكلف والصنعة، غير كجتلبة ولا مغتصبة.

ج ـ الاحتجاج بالتدليل

- **الاحتجاج بالقرآن الكريم**

لقد أدت الشواهد المنقولة دورا مهما في عملية إقناع المستمع أو الخصم، حتى عدت "سلطة مرجعية معترفا بها قادرة على تجاوز معارضة الخصم وانتزاع تسليمه، وترتبط تحديدا في التراث العربي الإسلامي بالآيات القرآنية والحديث النبوي والأمثال والحكم"[1].

يمثل القرآن الكريم سلطة مركزية في تأكيد الحجج، ومقدمة على ما سواها من الحجج، ويؤكد هذا الكلام قول ابن رشيق: " وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله"[2]، والملاحظ أنّ المعرفة الخلفية لقطري بن الفجاءة قد اعتمدت بشكل أساسي على القرآن الكريم، الذي وجد فيه حججا ملائمة لكل ما ينطق به، وكل ما يسوغ له.

وأول ما ابتدأ به الخطيب الحجاج اقتباسه لقوله تعالى: **{** كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِر **}**، وذلك في سياق بيانه أنّ الدنيا فانية زائلة، فجاء التشبيه من القرآن ليؤكد هذه الحجة ويدعمها، فهي أشبه ما تكون بالهشيم الذي لا يبقى له أثر إذا ما تلاعبت الريح به.

أما بشأن بيان خسران أولئك الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة، ويحرصون عليها، نجد احتجاجه بقوله تعالى: **{** مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ

---

[1]. عادل، عبد اللطيف:بلاغة الاقناع في المناظرة، ص233.

[2]. القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 61/2.

أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ }، فالآية صريحة في بيان خسرانهم، فلن تكون عاقبة هؤلاء إلا النار، ففي الآية تشديد على ترك زينة الحياة الدنيا، والالتفات إلى ما هو أهم منها، وهي الآخرة لمن أراد النجاة.

اتسمت الخطبة باشتمالها على موضوع واحد، هو ذم الدنيا وبيان حقارتها، والعمل للآخرة، فالصورة التي رسمها القرآن للدنيا جاءت في قوله تعالى: { لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ }، ولكن العبرة في الخاتمة، وكيف بنا إذ لم نأخذ العبرة من الأقوام السابقة الذين تحدث القرآن بلسانهم حين قالوا: { مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً }، ولكن ظاهر الأرض يوحي بعكس ذلك، فلا أثر لهم، ولا أثر لمساكنهم: { فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ } لتعود الحياة الدنيا كما بدأها رب العزة: { كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ }، فالتدليل الذي استحضره الخطيب كان ينتقل بين فقرات خطبته ليؤكد الحقيقة والغرض الأساس الذي جاءت الخطبة لأجله.

ثالثا: الأساليب الإنشائية

- **حجاجية الاستفهام**

يحتل الاستفهام مواقع كثيرة، ويحضر بتمظهراته الاستفهامية التي تحمل معاني متعددة، فجاءت بعض الاستفهامات في الخطبة أسئلة تقريرية وإن كانت تستخبر المتكلم عن مجهول، والتقرير حسب ابن وهب " يكون سؤالا عما تعلمه ليقر لك به"[1].

ومن نماذج الاستفهام التقريري من الخطبة السابقة:

ـ ألستم في مساكن من كان أطول أعمارا، وأوضح آثارا، وأعدّ عديدا، وأكثف جنودا، وأعتد عتادا، وأطول عمادا؟

ـ هل زوّدتهم إلا الشقاء، وأحلّتهم إلا الضنك، أو نوّرت لهم إلا الظلمة، وأعقبتهم إلا الندامة؟

[1]. الزركشي: البرهان في وجوه البيان، ص113.

فهذه الأسئلة مع كونها تستعلم عن مسألة؛ فهي تستهدف ضمنيا تأكيد أمر معلوم لدى المتكلم، وجاء به على هذه الصورة ليقر به المستمع، وكأن لسان حال المتلقي حين يلقى عليه هذا السؤال يقول: بلى.

ففي السؤالين السابقين قوة حجاجية تتمثل في تسليم المتلقي بما يعلمه ويقر به المتكلم، وهو أننا نعيش على أنقاض من كانوا أعظم منا جسما وعدة، وفي أنّ الدنيا لم تزود ساكنها إلا الشقاء والتعب.

وقد يكون الفعل الكلامي غير المباشر للاستفهام النفي، على نحو قوله: " فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية، وأغنت عنهم فيما أمّلتهم به بخطب ؟"، أو قد يخرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى آخر يفيد التعجب والإنكار على وذلك نحو قوله: " أفهذه تؤثرون، أم عليها تحرصون، أم إليها تطمئنون؟".

- **حجاجية الأمر**

وظف قطري بن الفجاءة الأمر في خطبته توظيفا ظاهرا أمره، وقد دلّ على ذلك الألفاظ التي جاءت على صيغة الأمر (اعملوا، اتعظوا، احذروا، انتفعوا، اعتصموا)، في العبارات: "اعملوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بدّ"، "فاتّعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية يعبثون "، "فاحذروا ما حذركم الله، وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله"، ففي الألفاظ السابقة لا يخرج الأمر عن أغراض النصح والإرشاد والتأمل.

- **حجاجية النداء**

لم تحفل الخطبة بهذا الأسلوب بشكل لافت للنظر، فقد جاء في موضع واحد عند قوله: أيها الناس، وهذا يعكس دعوته لجميع المذاهب والأحزاب والاتجاهات المناصرة أو المناهضة له دون تفريق أو تمييز، غايته التأثير في السامع، وتهيئته لتلقي الكلام.

ثالثا: أنواع الحجاج

1ـ الحجج شبه المنطقية

أ ـ الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية

- **الحجج القائمة على التناقض وعدم الاتفاق**

تقدّم آنفا أنّ التناقض هو أن تكون هناك فكرتان تنفي إحداهما الأخرى، وخير شاهد على هذا المعنى قول الخطيب في وصفه للدنيا: " فإنها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات ..... غدّارة ضرارة "، فانبنت هذه العبارة على التناقض الواضح، فكيف تكون الدنيا حلوة خضرة، وغدارة ضرارة في وقت واحد؛ لينتهي الأمر إلى اختيار الثانية وإقصاء الأولى؛ لأنها خاطئة من منظور المفاضلة بين الدنيا والآخرة.

ومن العبارات الأخرى الذي تمثل فيها التناقض والاختلاف بوضوح قوله: " جمع وهم آحاد، جيرة وهم أبعاد"، فليس من المعقول والمنطق أن يكون الناس جمعا وواحدا، أو جيرانا ومتباعدين في آن واحد، إلا لتأكيد الحجة الأقوى وهي الثانية (آحاد، متباعدون)، ومناقضتها لما سبقها (جمع، جيران)، وتأكيد صحة الأولى وأحقيتها في القبول.

وقد تظهر حجة التناقض بشكل جليّ في الطباق بين المتضادات، وهو ما يبرز بشكل لافت، كما ذكرنا آنفا، في الخطبة؛ إذ استعان الخطيب بهذا القدر الكبير من المتضادات، وباستدلال منطقي عمد إلى تأكيد الحجة الثانية الأقوى.

- **الحجج القائمة على التماثل والحدّ في الحجاج**

يلجأ المحاجُّ إلى هذا النوع من الحجاج من خلال استخدام التعريف بعدّه حجة لرأيه ومذهبه، رغم أنّ هذه التعريفات غالبا ما تميل إلى الغموض، باعتباره ناجما عن تجربة خاصة ذاتية، ولما كانت الخطبة مرتبطة بذم الدنيا، فقد استرسل الخطيب بوضع تعريفات ومواصفات للدنيا تنم عن معرفة ذاتية، صقلتها تجارب الحياة، على نحو تعريفه للدنيا بأنّ: " سلطانها دول وعيشها رنق، وعذبها

أجاج، وحلوها مرّ، وغذاؤها سمام، وأسبابها رمام وقطافها سلع؛ حيّها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ومنيعها بعرض اهتضام؛ مليكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وصحيحها وسليمها منكوب"، بعبارات قصيرة واضحة تلامس آذان المستمعين؛ لتوضيح ماهية الدنيا، ومن ثم إقناع المتلقي بذلك.

- **الحجج القائمة على العلاقة التبادلية**

تقوم هذه الحجة على علاقة العدل في معاملة واحدة لتصنيفات ووضعيات في عبارة واحدة، من مثل قوله: "ألستم في مساكن من كان أطول أعمارا، وأوضح آثارا، وأعدّ عديدا، وأكثف جنودا، وأعتد عتادا، وأطول عمادا؟ تعبّدوا للدنيا أيّ تعبد، وآثروها أي إيثار، وظعنوا عنها بالكرّة والصّغار؛ فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية"، فقد ساوى الخطيب بين عدة أمور، وجعلها في مرتبة واحدة، فمن كانوا أطول أعمارا، وأكثر جنودا، وأكثر عدة، وأشد قوة، ..، كلها في دائرة واحدة، دائرة الدنيا التي لن تفتدي أيا منهم، وبذلك يصل المتكلم إلى مبتغاه في أنّ الدنيا لن تبقي على أحد أيا كان.

ب ـ الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية

- **الحجج القائمة على التعدية**

عملية منطقية لها دور حجاجي يتمثل في إقناع المتلقي، وتأخذ التعدية شكل البرهان لتثبيت القول بطريقة شبه منطقية، ويمكن التمثيل على ذلك من خلال ما جاءت به الخطبة، فهي قائمة على أن:

الدنيا فتكت وقضت على السابقين ولم تبق لهم أثرا.

السابقين بشر وأناس يشبهون اللاحقين.

إذن: الدنيا ستفتك وتقضي على اللاحقين ولن تبقي لهم أثرا.

- **إدماج الجزء في الكل**

تقوم هذه العلاقة على أنّ ما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل، ومنها ما نجده في حديث ابن الفجاءة عن الموت، "مع أنّ من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته، وهول المطّلع، والوقوف بين يدي الحكم العدل؛{ ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى }، فالموت مصير كل ابن أنثى، وما الأقوام السابقة إلا جزء من هذا الكل يجري عليه ما يجري على الكل، وبهذا تكون هذه الحجج مقنعة للمتلقي، وبها يصل إلى غرضه من خلال استخدامه للعلاقة الرياضية في تلك الحجج، التي يقبلها العقل ولا يعترض عليها؛ لأنها تعتمد على مبدأ الكم من خلال دمج الجزء في الكل.

- **تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له**

ينص هذا الصنف من الحجج إلى تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، "وبيان أنّ حكما ما ينطبق على كل جزء من أجزائه ينطبق تبعا لذلك على الكل" [1]، مع أنّ الأجزاء لا تعبر دائما وبدقة عن الكل.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك، حديث الخطيب عن الدنيا، واقتباسه لقوله تعالى: اعْلَمُوا { أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ }، فالدنيا التي نعرفها هي الدنيا المكونة من بشر وعمران ومعدات، ولكن الدنيا الواردة في المثال المقتبس دنيا غير التي نعرف، مقسمة إلى أجزاء: اللعب واللهو وزينة وتفاخر بالمال والولد، "وبهذا التقسيم تتضح الصورة أكثر، وتثبت في ذهن المتلقي ويقتنع بها، فغاية هذا النوع من الحجج هو إبراز حضور الأشياء وثباتها بتأكيد حضور أجزائها، فتقسم الشيء إلى أجزائه المكونة له لتزيد من قوة ذلك الكل ، وتزيد من درجة إقناعه في الخطاب" [2].

---

[1]. الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص207.

[2]. آمال، شيخ: البنية الحجاجية في كتاب المقابسات، ص142.

2ـ الحجج المؤسسة على بنية الواقع

- **حجة التتابع (الحجة السببية والحجة البرغماتية)**

تعد حججا سهلة في البناء، وسهلة في الفهم؛ لأنها تعتمد الربط بين المقدمات والنتائج وفق روابط سببية أو نفعية، ومن الشواهد على ذلك: "تعبّدوا للدنيا أيّ تعبد، وآثروها أي إيثار، وظعنوا عنها بالكرّة والصّغار؛ ..... هل زوّدتهم إلا الشقاء، وأحلّتهم إلا الضنك، أو نوّرت لهم إلا الظلمة، وأعقبتهم إلا الندامة".

فالمثال السابق اعتمد الربط السببي بين القضية والنتيجة، وتخلص هذه الحجة بقبول المتلقي للنتائج المطروحة، فمثلا الشقاء والتعب والندامة تقع بسبب التعبد والانغماس في الدنيا، فالثاني هو المسبب، والأول هو النتيجة.

ومن هذه الأمثلة أيضا:

{ مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ }.

أما الشق الآخر من هذه الحجج فهي الحجج البراغ مـاتية التداولية، وهذه الحجج تكون موجهة بمقاصد المتكلم وأهدافه، أي أنها تعتمد على مبدأ نفعي تداولي يقوم على هدف التواصل أولاً ، ثم توجيه الخطاب، ومن ثم إقناع المتلقي بوجهة نظره.

ويبدو المثال الأبرز على هذه الحجة هو تشديد الخطيب الجاد من بداية الخطبة حتى نهايتها على تأكيد فكرته التي يروج لها، وهي أنّ الدنيا زائلة فانية، وعمل الإنسان يجب أن ينصب إلى ما بعد الدنيا، وجل تفكيره حول إيصال هذه الفكرة، والحجج التي يقنع بها المتلقي؛ ليتقبّل هذه الفكرة، وبهذا تكون تلك الحجج التي قدمها ابن الفجاءة لا تعد نتائج فحسب، بل هي حجج موجهة نحو هدف محدد رسمه الخطيب في بداية خطبته، وهو تأكيد الفكرة السابق التي كانت محور تفكيره ، وحديثه، والهدف الذي يسعى إلى تحقيقه.

- **الحجة الغائية (حجة التبذير، حجة الاتجاه، حجة التجاوز)**

تركز على الغاية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها من خلال خطابه، فتصبح اللغة الوسيلة التي يقدم بها حججه، فيكون الخطاب أكثر قربا إلى إفهام الناس، ويتداولها أكبر عدد منهم.

جاءت الخطبة على صرورة كلمات انتقاها الخطيب لهذه الغاية، فغايته من مجيء هذه الكلمات على هذه الصورة إيصالها بسهولة ويسر الى أذهان الناس، فجاءت هذه الكلمات حججا معبرة عن قدرة قطري بن الفجاءة الفكرية واللغوية، وحاول جاهدا إقناع المستمع بـأمرين: الأول إقناعه بالأفكار والكلمات التي طرحها، والثاني إقناعه بقدرته اللغوية، فمثلا مجيء عبارات مثل: (وصحيحها بعرض سقم،.. ومنيعها بعرض اهتضام ... مليكها مسلوب ... وعزيزها مغلوب ... وصحيحها وسليمها منكوب ... جمع وهم آحاد ... جيرة وهم أبعاد،.. متناءون وهم يزارون ولا يزورون..، حلماء قد ذهبت أضغانهم،.. وجهلاء قد ماتت أحقادهم،.. لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم)، جاءت كلماتها وعباراتها قصيرة موجزة منفصلة غير متلاصقة مع بعضها بعضا، فكان ذلك بمثابة الغاية التي حددت شكل الخطبة في تلك المواضع.

- **حجة التعايش: حجة السلطة، حجة الشخص وأعماله**

قد تكون هذه السلطة سلطة شخصية مثل: الإجماع أو الرأي العام أو العلماء أو الفلاسفة أو الكهنوت أو الأنبياء، ومنها ما تكون غير شخصية مثل: الفيزياء أو العقيدة أو الدين أو الكتاب المقدس ...، وقد يعمد المحتج لذكر أشخاص معينين بأسمائهم ويكون هؤلاء الأشخاص ذوي مكانة رفيعة في جمهور السامعين معترفا بهم في المجال الذي ذكروا فيه[1].

ولا ينكر ما للقرآن الكريم من سلطة حجاجية كبيرة في الخطاب، وقد وظف الخطيب ذلك في كثير من مضامين خطبته، وكنا في مبحث سابق قد وقفنا على بعض النماذج.

[1]. صولة، عبد الله: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص335.

3ـ الحجج المؤسسة لبنية الواقع

- **تأسيس الواقع بواسطة الحالات خاصة**

ترتبط هذه الحالات في المثال، فيؤتى بالمثال في حالات بناء الحكم؛ من أجل تأسيس الواقع والبناء عليه، فيصبح المثال حالة خاصة ينطلق منها المحتج، ويبني عليها خطابه وحجاجه، "فتوظيف المثال في الحجاج يكسب النص طاقة حجاجية يستطيع من خلالها المحتج إقناع المتلقي ، وجعله يذعن لما يقول وذلك أن المثال له قدرة على استحضار الوقائع والأشياء ، وتقوية حضورها في الواقع؛ لأنه يجسد ويؤكد حضور الصورة في ذهن المتلقي؛ وبذلك يكون الاقتناع والإذعان"[1].

وبالعودة الى الخطبة نجد الخطيب يستخدم المثال لتوضيح فكرته و إقناع المتلقي بها من خلال اقتباسه لقوله تعالى: **{** قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً **}**، فاستمد الخطيب حالة عاد قوم هود، وطبقها على الواقع الحالي، فقابل بذلك بين حالتين متشابهتين، واستخلص النتيجة التي يريد إيصالها، وهي أنّ ما حل بقوم هود رغم ما كانوا عليه من شدة وقوة سيحل بالأقوام التي ستتكبر ؛ ولتحذر عقاب الله، وتتقي سطوته.

*4*ـ الحجج التي تستدعي القيم

تقوم الخطبة في مجملها على النصح والإرشاد القائم على قيم الخير والحق، وهذا يدفع بالمتلقي إلى الأخذ بهذه الوصايا والنصائح، فلجأ الخطيب إلى تكريس قيمة دينية، فحديثه عن الدنيا وزوالها، وأنّ البقاء لما يقدمه الإنسان لآخرته، قيمة مؤثرة تفضي بمن يسمع هذا الخطاب أن ينكب على العمل الذي يؤهله إلى ثواب الآخرة والفوز بها، وكأن الخطيب يقدم مبادئ لا يمكن للمتلقي أن يتناقض معها، ولا يمكن لعاقل أن يقبل بغيرها.

ومن القيم الأخرى التي تندرج تحت هذا العنوان القيم المحسوسة القائمة على الصدق، والأمانة، والتقوى، والاستقامة، وبالنظر إلى عديد الخطب نجد أنها تشتمل على هذه القيم، ومثالها من

---

[1]. الولي، محمد: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص 408.

الخطبة السابقة: "وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفانا، وجعل لهم من الضريح أكنان، ومن التراب أكفان، ومن الرّفات جيران؛ فهم جيرة لا يجيبون داعيا، ولا يمنعون ضيما، إن أخصبوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جمع وهم آحاد، جيرة وهم أبعاد، متنا ؤون وهم يزارون ولا يزورون "، فالقول السابق قول صادق، وحقيقة لا يمكن ردها أو رفضها، فالموت حقيقة ووحدة القبر حقيقة، وبهذا يكون ابن الفجاءة قد ضمن خطابه قيما هي في حد ذاتها مقومات ومبادئ يشترك فيها الجميع، ويؤمنون بها.

5ـ الحجج التي تستدعي المشترك:

من المواضع التي يعتمد عليها المحتج ضمن هذا النوع من الحجاج موضعية الممكن وغير الممكن، وموضعية الكائن وغير الكائن، والنوع الأخير هو موضعية الأكثر والأقل، ومن النماذج على ذلك قول الخطيب: "من أقلّ منها استكثر مما يؤمّنه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه، وزال عما قليل عنه"، فاحتجاج الخطيب جاء للموازنة بين الإكثار من متاع الدنيا والذي سيؤدي إلى كثرة هلاكه، والتقليل من متاع الدنيا، والذي سيؤدي إلى الأمن والطمأنينة.

الخاتمة

مهاد

وقف الباحث على درس لساني حديث يهتم بالخطاب، ويعالج عناصر تسهم في توضيح بعض المقاصد التي تخفيها البنية السطحية وراءها، فمن الجميل أن يقف المحلل على المنطوق، ولكن من الأجمل أن يقف على المسكوت عنه؛ للولوج في عالم يختفي خلف الكلمات ذلك أن الآليات التداولية تسمح بالولوج في مضامين النصوص التراثية من خلال ما صُرّح به، وما سُكِت عنه، لاستكناه خباياها، ومعرفة أسرارها.

استذكار

جمع هذا الدرس في ثني صفحاته السابقة بين دراستين، أولاه ما الدراسة النصية، وثانيتهما الدراسة التداولية، جاءت مقسمة على أربعة فصول تسبقها مقدمة، وتعقبها خاتمة. وبرجع البصر فيما تقدّم

نجد أن الدراسة في عناوينها ائتلفت من تمهيد تعريفي بابن عبد ربه، ونبذة عن كتابه العقد الفريد، أما الفصل الأول فقد تناول الباحث فيه المادة التنظيرية لهذه الدراسة، فاشتمل على مفاتح الدراسة لغة واصطلاحا، واقفا على تاريخها وكيفية ظهورها قديما وحديثا.

جاءت الفصول الثلاثة التالية مادة تطبيقية أتى فيها الباحث على محاور متنوعة، فابتدأ الباحث بآليات التماسك النص، منتقلا في الفصل الثالث إلى الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري، ومنتهيا في الفصل الرابع إلى نظرية الحجاج، وقف الباحث في هذه الفصول على نماذج مختارة من خطب واردة في كتاب العقد الفريد.

استشراف

ويجدر القول هنا إن هذه الدراسة رغم حداثتها، وتناولها لكتاب من كتب التراث، إلا أن المقومات الأساسية الحديثة التي تقوم عليها لها أصل متجذر في التراث العربي القديم ، وخير ما يمثل ذلك نظرية النظم الجرجانية القائمة على الاختيار الدقيق لمعاني النحو حسب الغرض الذي صيغ الكلام من شأنه، وغيرها من نظريات تقوم على مطابقة الكلام للمقام، وهذا ما تقوم عليه الأنظار التداولية مراعاةً للمقاصد والأغراض بكلام منسجم مع المقام والسياق، وهو الأمر المماثل في النصية ، فآثارها وبعض مقولاتها في كتب القدماء ماثلة في الحذف والتكرار والإحالة وهلم جرا.

تتبع

تتبع الباحث في دراسته وظائف اللغة من خلال تحليله الخطاب في خطب مختارة من كتاب العقد الفريد، فوقف على وظيفتين، أولاهما دراسة النصية، وثانيتهما دراسة التداولية، فعالج في الأولى الخصائص التي أفضت إلى الاتساق والانسجام، وطرق الكشف عنهما، بالاستناد إلى نحو النص الذي يقوم على تفكيك البنية اللغوية، وينظر للنص بعدّه كلا واحدا.

واستند في الوظيفة الثانية – أعني التداولية – للغة ودراستها حال استعمالها في السياق، فالتداولية تتعامل مع اللغة بعدّها ظاهرة خطابية اجتماعية تقوم على الاتصال والتواصل في سياق معين، والاهتمام بكيفية إنتاج المتكلم فعلا كلاميا في موقف معين ؛ للوصول إلى المعنى المراد الكامن خلف الفعل الكلامي، وتحقيق ردّ الفعل المطلوب.

لا ينكر الباحث أن افتراقات بارزة ظهرت في تحليل الخطب، من أبرزها موضوع الخطب، وحجمها، ومقام المتكلم والمتلقي، وخلو بعض عناصر تحليل الخطاب من بعض الخطب، وأخيرا الاختلاف في السياق، ورغم ذلك كله ثمة أمور متطابقة بين الدراستين، النصية والتداولية.

استخلاص

وختاما أقف على ما خلصت إليه هذه الدراسة، وهذا أهم ما وقع البصر عليه

1ـ الدرس اللساني عامة، والأفعال الكلامية خاصة، درس حديث النشأة، ومع ذلك لا ينكر وجودها في التراث العربي القديم إلا جاحد، فقد ظهرت في مظان اللغويين والبلاغيين.

2ـ مع أن الدرس اللساني التداولي درس حديث إلا أن ذلك لا يمنع من دراسة التراث العربي القديم وفق هذه الأنظار والمقولات اللسانية الحديثة، وتحليله ضمن عناصر وخصائص هذا الدرس.

3ـ يُنظر للجمل النصية نظرة كلية، ولا تدرس منفصلة عن السياق الذي قيلت فيه، مرتبطة بما سبقها وما لحقها من جمل؛ ليكتمل المعنى الذي قصده المتكلم.

4ـ الاتساق والانسجام عنصران متداخلان تطبيقيا، يعملان معا للوصول إلى الفهم الصحيح للنص، ويرتبطان بعلاقة وشيجة بين الظواهر اللغوية، والمضمون المختفي خلف الكلام والتراكيب، أما من الناحية النظرية فبالإمكان الفصل بينهما لاعتماد كل منهما على خصائص فارقة، وعناصر وتعريف مميزة.

5ـ الآليات والأدوات المتبعة لتحديد انسجام النص من عدمه ليست نهائية ثابتة، وهي كذلك ليست قوانين مطلقة يتبعها الباحث أثناء التحليل، ودليل ذلك تنوعها واختلاف تصنيفها عند الباحثين.

6ـ هناك ارتباط وثيق بين الفعل الكلامي والواقع، لذا فقصدية الأفعال الكلامية لا تتعين إلا من السياق الذي ترد فيه، أو تتخلق فيه.

7ـ التفاعل الخطابي قائم على عنصرين: المتكلم والسامع، ومنهما تتنامى أشكال التفاهم بين الطرفين، ومن خلال هذا التفاعل تظهر طبيعة الفعل الكلامي، وطرائق تحقيقه سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

8ـ الغاية الأساسية للأفعال الكلامية التأثير في السامع من خلال فعل القول والفعل الإنجازي وصولا إلى الفعل التأثيري، فالحروف أقوال تؤدي أفعالا إنجازية؛ للقيام بوظيفة تأثيرية في السامع، فحرف القسم "الواو" في تأديته لمعناه ليس حرفا فقط، بل يخرج من هذه البوتقة إلى أن يعد فعلا كلاميا يرمي إلى إنجاز أفعال معينة ، أو الإفصاح عن حالة نفسية ، أو موقف اجتماعي، يدلنا السياق عليه[1].

9ـ احتوت الخطب موضع التحليل على ثلاثة أنواع من أفعال الكلام، أولها الفعل النطقي، وثانيها الفعل القضوي، وثالثها الفعل الإنجازي.

10ـ تنوعت الأفعال الكلامية في الخطب التي تناولها الباحث، فقد سجل الباحث حضورا لافتا للأصناف الخمسة: الإخباريات، والوعديات، والطلبيات، والتعبيريات، والإعلانيات،

11ـ يظهر الارتباط الوثيق بين النصية والحجاج، فقد لعبت الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية دروا بارزا أضفت على النصوص انسجاما وترابطا محافظة على الانسجام والاتساق الشامل للخطاب.

12ـ يعد الحجاج فعالية خطابية حوارية يقوم بمهمة توظيف التقنيات اللازمة لإنجاحه التي من شأنها أن تؤدي إلى التسليم بما يعرض عليها، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم

13ـ مما يميز بنية الملفوظ الحجاجي للخطب السابقة تفاعل الجوانب الحجاجية مع الآليات البلاغية، من خلال الحجاج بالتصوير البياني والبديع، وبروز الأساليب الإنشائية.

---

[1]. **ينظر: الصرّاف، علي محمود: في البراجماتية** ، ص**105**.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1. إبراهيم، عبد الله: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1999م.
2. ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.
3. أحمد فرج، حسام: نطرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م.
4. أحمد نحلة، محمود: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة، الإسكندرية، 2002م.
5. إدراوي، العياشي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ط1، دار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2011م.
6. إسماعيل، صلاح: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.
7. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داودي، ط4، دار القلم، دمشق، 2009م.
8. الأمين، محمد: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، ط1، منشورات المركز العالمي للدراسات، ليبيا، 2004م.
9. الأنباري، عبد الرحمن: أسرار العربية، تح: محمد شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
10. الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

11. الأندلسي، ابن عبد ربه: الديوان، تح: محمد الداية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م.
12. الأنصاري ، أبو بكر : أحاديث الشيوخ الثقات (المَشيَخَة الكُبرى)، تح: الشريف حاتم العَوني، ط1، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، 1422هـ.
13. الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط5، دار الفكر، بيروت، 1979م.
14. أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.
15. البحراني، كمال الدين: مقدمة شرح نهج البلاغة، تح: عبد القادر حسين، ط1، دار الشروق، بيروت، 1987م.
16. بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990م.
17. بحيري، سعيد: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2005م.
18. بحيري، سعيد : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ط7، الشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت، 1997م.
19. البطاشي، خليل: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، 2009م.
20. بطّاهر، بن عيسى: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ط1، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، 2000م.
21. بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، مشورات الاختلاف، 2003م.
22. بوجادي، خليفة: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م.
23. بوحوش، رابح: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، (د.ت).

24. بوقرة، نعمان: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل (قراءات نصية تداولية حجاجية)، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012م.
25. بوقرة، نعمان: المصطلح اللساني النصي، قراءة سياقية تأصيلية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية،الجزائر، 2006م.
26. بوقرة، نعمان: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م.
27. الترمذي، محمد بن عيسى: صحيح سنن الترمذي، تح: محمد الألباني، مكتبة المعارف، 1998م.
28. الجاحظ: البيان والتبيين، ط7، مكتبة الخانجي، 1998م.
29. جاسم، جاسم: أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.
30. جبور، جبرائيل: ابن عبد ربه وعقده، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
31. الجرجاني، علي بن محمد : معجم التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان، 2002م.
32. الجرجاني، عبد القاهر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م.
33. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
34. الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: محمد وفايز الداية، ط1، دار الفكر، القاهرة، 2008م.
35. جرير: الديوان، دار صادر، لبنان، (د.ت).
36. الجزري، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

37. بن جعفر، قدامة: نقد الشعر، تح: محمد خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
38. الجوزية، ابن القيم: بدائع الفوائد، تح: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت).
39. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956م.
40. الحباشة، صابر: التداولية والحجاج مداخل نصوص، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008م.
41. الحربي، فرحات: الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2000م.
42. حسان، تمَّام: الخُلاصة النحوية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.
43. حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2004م.
44. حسان تمام: مقالات في اللغة والأدب، ط1، عالم الكتب، 2006م.
45. حسن، عباس: النحو الوافي، ط13، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
46. حمداوي، جميل: محاضرات في لسانيات النص، ط1، الألوكة، 2015م.
47. الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد: شذا العَرف في فن الصرف، ط12، دار كيان، 1957م.
48. حمو الحاج، ذهبية: التداولية واستراتيجية التواصل، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.
49. حميدة، مصطفى: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1997م.
50. الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.
51. الحميري، عبد الواسع: الخطاب والنص (المفهوم.العلاقة.السلطة) ، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008م.
52. أبو حيب، سعدي: القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988م.

53. خالفي، حسين: البلاغة وتحليل الخطاب، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2011م.
54. خطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1991م.
55. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
56. ابن خلدون، ولي الدين: مقدمة ابن خلدون، تح: أ. م كاترمير، مكتبة لبنان، بيروت، 1992م.
57. ابن خلكان، أبو العباس: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.
58. خليل، إبراهيم: في اللسانيات ونحو النص، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007م.
59. الداودي، زهر: الترابط النصي بين الشعر والنثر، ط1، دار جرير ، عمان ، 2010م.
60. الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011م.
61. الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومجموعة، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001م.
62. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.
63. الرماني، أبو الحسن: النكت في إعجاز القران، مكتبة الجامعة الإسلامية، 1934م.
64. الرواشدة، سامح: إشكالية التلقي والتأويل، ط١، أمانة عمان، عمان، ،٢٠٠١م.
65. الروضان عبد عون: موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001م.

66. الزجاجي، أبو القاسم: حروف المعاني، تح: علي الحمد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
67. أبو زرعة، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م.
68. الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، حلب، 1958م.
69. الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
70. الزمخشري، أبو القاسم: أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1966م.
71. الزمخشري، ابو القاسم: أساس البلاغة، ط1، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
72. الزمخشري، أبو القاسم: تفسير الكشاف، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2009م.
73. الزناد، الأزهر: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993م.
74. أبو زنيد، عثمان: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2010م.
75. أبو زيد، نواري: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م.
76. أبو زهرة، محمد: الخَطَابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط1، مكتبة العلوم، مصر، 1934م.
77. السكاكي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
78. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
79. السيوطي، جلال الدين:الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الأمير فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2008م.

80. الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ط1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001م.
81. شبل محمد، عزة: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2019م.
82. الشرقاوي، عفت: بلاغة العطف في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
83. الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.
84. صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، دار الطليعة، بيروت، 2005م.
85. الصرّاف، علي محمود: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2010م.
86. صقر، شحاتة: معاوية بن أبي سفيان كشف شبهات ورد مفتريات، مكتبة الأصولي، مصر، (د.ت).
87. صولة، عبد الله: الحجاج في القران من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، ط2، دار المعرفة، تونس، 2007م.
88. الطبري، أبو جعفر: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 1962م.
89. طرفة بن العبد: الديوان، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
90. طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009م.
91. عادل، عبد اللطيف: بلاغة الاقناع في المناظرة، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، 2013م.
92. ابن عاشور، الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م

93. عبابنة، يحيى، وآمنة الزعبي: علم اللغة المعاصر: مقدمات وتطبيقات، إربد، دار الكتاب الثقافي، د.ط، ٢٠٠٨م.
94. عبد الحق، صلاح: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1، دار التنوير، بيروت، لبنان، 1993م.
95. عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م.
96. عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المرز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 1998م.
97. عبد المجيد، جميل: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
98. العبد، محمد: اللغة والإبداع الأدبي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1989م.
99. العبد، محمد: النص والخطاب والاتصال، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005م.
100. عتيق، عبد العزيز: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
101. عرار، مهدي: ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتفاصل، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2003م.
102. العزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006م.
103. العسكري، أبو هلال: الفروق اللغوية، ط3. الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
104. العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط1، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1995م.
105. ابن عصفور، أبو الحسن: شرح جمل الزجاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
106. عفيفي، أحمد: الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005م.

107. عفيفي، أحمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م.
108. العقيلي، عمر: خلافة معاوية، ط1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م.
109. عكاشة، محمود: تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، ط1، مكتبة الرشد، القاهرة، 2014م،
110. عكاشة، محمود: النظرية البراجماتية اللسانية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013م.
111. علوي، حافظ إسماعيلي: التداوليات: علم استعمال اللغة، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2011م.
112. عليان، سليمان: التماسك النصي في اللغتين، العربية والانجليزية دراسة تقابلية في"الربط النحوي"، رسالة دكتوراه جامعة اليرموك، 2002م.
113. عياش، منذر: العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، 2003م.
114. عيد، يوسف،: دفاتر أندلسية، في الشعر والنثر والنقد والحضارة والإعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، (د.ت).
115. الغنيم، ابراهيم: الفنية في الشعر العربي، ط1، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م،
116. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1999م،
117. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تج: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال، (د.ت)،
118. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م،
119. فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992م،
120. الفقي، صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

121. فودة، عبد العليم: أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، دار العلوم، مصر، 1952م.
122. الفيروزأبادي : القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، (د.ت).
123. الفيروزأبادي: القاموس المحيط ، تح: محمد نعيم العرقسوسي ، ط8 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م.
124. القرشي، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب، تح: علي البجاوي، نهضة مصر، 1981م،
125. قياس، ليندة: لسانيات النص: النظرية والتطبيق- مقامات الهمذاني أنموذجا، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م .
126. القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تح: محمد عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 1981م،
127. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تح: حكم بن بشير بن ياسين، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1431هـ.
128. ابن كثير، أبو الفداء: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م،
129. المبرد، أبو العباس: الكامل، تح: محمد الدّالي، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م،
130. المبرد، أبو العباس: المقتضب، تح: محمد عضيمة، ط1، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994م
131. المتوكل، أحمد: اللسانيات الوظيفية، منشورات عكاظ، الرباط، 1989م،
132. المتوكل، أحمد: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م.
133. المتوكل، أحمد: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، مطابع منشورات عكاظ، الرباط 1993م
134. مداس، أحمد: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م،
135. بن محمد، أحمد: النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس، مضامنه وأشكاله، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990م،

136. محمد داود، محمد: المعجم الوسيط واستدراكات المستشرقين، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م،
137. محمود، جاد الرب: ط1، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م.
138. محمود الصراف، علي: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، جامعة الكويت، 2010م.
139. مختار عمر، أحمد: علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة، 1998م،
140. المخزومي، مهدي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1987م.
141. المراغي، أحمد: علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1993م،
142. مرتاض، عبد الجليل: اللغة والتواصل اقترابات لسانية للتواصليين الشفهي والكتابي، دار هومة، الجزائر، 2012م.
143. المري، جمال الدين: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.
144. المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ط٢، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٢م،
145. المسدي، عبد السلام: قاموس اللسانيات: عربي فرنسي فرنسي عربي مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت).
146. مصطفى، إبراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، ط1، القاهرة، 1960م.
147. مصلوح، سعد: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1990م.
148. ابن معطي، زين الدين: الفصول الخمسون، تح: محمود الطناحِي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).
149. مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1992م،

150. مفتاح، محمد: دينامية النص تنظير وإنجاز، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990م،
151. مقبول، إدريس: الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م .
152. المقدسي، ابن قدامة: التبيين في أنساب القرشيين، تح: محمد الدليمي، ط1، منشورات المجمع العلمي العراقي، 1982م،
153. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت).
154. المنظري، سالم: الترابط النصي في الخطاب السياسي، ط1، بيت الغشام للنشر والترجمة، عمان، 2015م.
155. ميلز، سارة: الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2016م،
156. ناصر، عمارة: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط1، الجزائر منشورات الاختلاف، 2009م.
157. نوفل، يسري: المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، ط1، دار النابغة، 2014م
158. النويري، أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
159. ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد، مطبعة الرسالة، مصر، 1967م.
160. هارون، عبد السلام: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط5، مكتبة الخانجى، القاهرة، 2001م،
161. ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 1994م.
162. الولي، محمد: الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ط1، منشورات دار الأمان، المغرب، 2005م.

163. ابن يعيش، بن علي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ت)،
164. يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.
165. يقطين، سعيد: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987م
166. يوسف، عبد الكريم: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، ط1، مطبعة الشام، دمشق، 2000م.

المصادر المترجمة:

1. آن يافو، ماري وجورج سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، تر: محمد الراضي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013م.
2. أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة–كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 1991م.
3. إيزر، فو لفغانغ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر: حميد لحمداني، والجلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس، 1994م.
4. بالمر، فرانك: مدخل إلى علم الدلالة، تر: خالد جمعة، ط1، مكتبة العروبة، الكويت، 1997م.
5. برينكر، كلاوس: التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.
6. بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2007م،
7. ج.ب.براون ، و ج. يول: تحليل الخطاب تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة الملك سعود، السعودية، الرياض، 1997م.
8. جينيت، جيرارد: خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرين، ط2، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع, 2000م.

9. دايك، فان: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م.
10. دي بو جراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1998م،
11. روبول، آن، وجاك موشلر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2003م.
12. زتسيسلاف وأورزنياك: علم النص، مدخل إلى مشكلات بناء النص، تر: بحيري، سعيد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2010م.
13. سورل، جون: اللغة والعقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006م.
14. شبلنر، برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، تر: فوكو، ميشيل: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007م .
15. كريستيفيا، جوليا: علم النص، تر: فريد الساعي، ،ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997م.
16. مانغونو، دومينيك: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
17. لوتمان، يوري: تحليل النص الشعري، دار المعارف، القاهرة، 1994م،
18. مكدونيل، ديان: مقدمة في نظريات الخطاب، تر: عز الدين إسماعيل، ط، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2001م،
19. موشلار، جاك، وآن روبول: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدي دعفوس ومحمد الشيباني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،، 2003م،

الدوريات والرسائل الجامعية:

1. آمال، شيخ: البنية الحجاجية في كتاب المقابسات (رسالة ماجستير)، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009م.
2. بريجة، عثمان وبلقاسم مالكية: المقصدية وترتيب الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، عدد25، 2016م،
3. بودرع، عبد الرحمن: أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الإحياء، المغرب، عدد 25، 2007م.
4. بوقرة، نعمان: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، مجلة اللغة والأدب، عدد 17، 2006م.
5. جاهمي، آمنة: آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء (رسالة ماجستير)، جامعة باجي مختار، عنابة، 2011م.
6. جبريل، عبد السلام: الإحالة والتكرار في قصيدة دموع على فقيد، مجلة العلوم الانسانية والتطبيقية، جامعة المرقب، عدد7، 2019م،
7. الجراح، عبد المهدي: الأبعاد النصية لواو العطف في متن الأربعين النووية، مجلة المجمع العلمي العربي الهندي، مج34، عدد 1،2، 2014م،.
8. جربوعة، إيمان: القصص القرآني في ضوء اللسانيات التداولية قصتا إبراهيم ويوسف أنموذجا، (رسالة دكتوراه). جامعة الأخوة منتوري، الجزائر، 2014م.
9. حسن، هادي نور: الفصل والوصل في خطب نهج البلاغة، مجلة كلية الآداب، جامعة المثنى، العراق، ع 101، مج2، 2012م،
10. حوحو، صالح: الاتساق النصي في المعلقات(رسالة دكتوراه)، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2015م.
11. الراضي، رشيد: الحجاجات اللسانية عند أنسكومير وديكرو مجلة علم الفكر، الكويت، مج34، عدد 1، 2005م.

12. رزقي، حورية: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية(رسالة ماجستير)، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2005م.
13. زحاف، بسمة: آليات الحجاج في عيون المناظرات لابي علي السكوني،(رسالة دكتوراه)، جامعة باتنة، الجزائر، 2018م.
14. أبو زنيد، عثمان: نحو النص، دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب(رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية، 2004م،
15. سالم، محمد: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، ع2، 2000م،
16. السيد حامد، عبد السلام: نحو النص عند سعد مصلوح، جامعة السلطان قابوس، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، (د.ت).
17. صحراوي، مسعود: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي (رسالة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2004م،
18. صولة، عبد الله: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة(د.ت).
19. طلحة، محمود: القيمة الحجاجية لأسلوب القصر، في اللغة العربية، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، عدد3، 2008م،
20. عبابنة، يحيى، وآمنة الزعبي: عناصر الاتساق والانسجام النصي، قراءة نصية تحليلية في قصيدة "أغنية لشهر أيار"، مجلة جامعة دمشق، مج:٢٩، عدد١+٢،٢٠١٣م.
21. عبد اللطيف، محمد حماسة: منهج في التحليل النصي للقصيدة، مجلة فصول، مجلد 15، عدد2، 1996م.
22. عبد الله، وليد: دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها (رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية، عمان، 2002م،

23. عرابي، امحمد: العلاقات الحجاجية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2014م،
24. عزام، منى: السبك النصي في معاهدة الرسول مع نصارى نجران، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد 116، 2008م.
25. العمري، محمد: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية– الخطابة في القرن الأول نموذجا، ط2، إفريقيا الشرق ،بيروت، 2000م،
26. بن عيسى، عبد الحليم: تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي، مجلة رفوف، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر،عدد 9، 2016م.
27. فتيحة، بن عياد: مصطلحات التداولية بين المعجم والاستعمال(رسالة ماجستير)، جامعة وهران، الجزائر، 2015م.
28. فرج، باقر: السبك والحبك في جزء المجادلة(رسالة ماجستير)، جامعة المثنى، العراق، 2018م
29. قواوة، الطيب العزالي: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، الجزائر، عدد 8، 2012م،
30. المبخوت، شكري: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، سلسلة آداب، مجلد 39 ، 1998م.
31. بن مخلوف، ربعية: الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون(رسالة ماجستير)، جامعة العقيد لخضر باتنة، الجزائر، 2008م .
32. مزعل، خالد: مصطلحا البنية الكبرى والبنية العليا عند فان دايك، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، مج: 10، عدد 18، 2016م.
33. المشني، مروة: تحليل الخطاب في كتاب الكامل (رسالة ماجستير)، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2019م.
34. مصلوح، سعد: نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلد 10، عدد 1،2، 1991م.

35. مليكة، اعمارن، ووسيلة بوسويرة: الاتساق والانسجام في سورة المجادلة دراسة في ضوء لسانيات النص، (رسالة ماجستير)، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، 2017م،
36. نعامنة، عماد: عناصر الانسجام النصي في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق، دراسة نصية تحليلية، جامعة آل البيت، مج22، عدد4، 2016م.
37. الولي، محمد: السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء، المغرب، عدد 25، 2007م.
38. الولي، محمد: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، مج40، عدد 2، 2011م.

المواقع الإلكترونية

1. إسماعيلي علوي، عبد السلام: التلفظ والإنجاز، 2011م،
brahmiblogspotcom.blogspot.com/2011/05/blog-post

المراجع الأجنبية

1. Halliday.M.A.K and R. Hassan, cohesion in English, longman, London, 1976

AN-Najah National University

Faculty of Graduated Studies

DISCOURSE ANALYSIS IN THE BOOK OF ALEQED ALFAREED SPEECH AS A MODEL OF A TEXTUAL DELIBERATUVE STUDY

By
Moaiad A alraof Mahmod Odeh

Supervised by
Prof. Mahdi Arar

This Thesis/Disseration is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Ph.D in Arabic Language and Litrerature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus - Palestine.

2022

DISCOURSE ANALYSIS IN THE BOOK OF ALEQED ALFAREED SPEECH AS A MODEL OF A TEXTUAL DELIBERATUVE STUDY

By
Moaiad A alraof Mahmod Odeh
Supervised by
Prof. Mahdi Arar

Abstract

This study looks into an old valuable Arab book Al-Aqd Al-Fareed, translated as "The Unique Necklace" by Ibn Abed Rabbo; the study takes the speeches contained in the book as a model for pragmatic textuality; it analyzes these speeches in accordance with modern linguistic conventions; thus reflecting on two broad basic sections, pragmatics and textuality.

The study is divided into four chapters, the first of which is theoretical, including five topics: discourse and discourse analysis, text and textuality, syntactic grammar, pragmatics, and argument. The researcher touches on these concepts linguistically and idiomatically as well as studying principles, specifications, and criteria.

The other chapters look into the applied analytical material, divided as follows: the second chapter researches the text syntax. Consistency, harmony, verb usage, and dialogue imperative are dealt with in two sections in the third chapter; the triple classification of speech acts and their types are studied in the first topic; the manifestation of violation of the principle of cooperation and the meanings required are touched on in the second. The argument theory is discussed in the fourth chapter with focus on argumentative connections, argumentative factors, argumentative principles, and argumentative types, all of which are discussed through four addressed speeches.